سمير المؤمنين

في المواعظ والحكم والقصص

محمد الحجار

توزيع

دار البشائر الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السادسة

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

قامت بطباعته وإخراجه دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان - ص.ب: ٥٩٥٥ - ١٤ ويطلب منها

سمير المؤمنين

في المواعظ والحكم والقصص

محمد الحجار

توزيع

دار البشائر الإسلامية

تقريظ

لشاعر طيبة الأستاذ
ضياء الدين الصابوني

لله درك يا "حجار" من علم
يهوى المعالي ولا يرضى بها بدلا
يا خادم العلم أبقاك الإله لنا
حصناً حصيناً مدى الأيام مكتملا
هذي جهودك لا تخفى على أحد
أصبحت حقاً لطلاب الهدى مثلا
نزلت في "طيبة" الزهراء في رغد
فحبذا منزلاً وحب من نزلا
فقل لمن رام في العلياء منزلة
هذا "محمد" نالت كفه زحلا
هذا الكتاب "سمير المؤمنين" هدى
للمتقين، ونبراس لمن عملا
فيشرح الصدر من أخبار رائعة
ويثلج القلب مما عزه وغلا
وهبت روحك للإسلام ترفعه
فما ونيت، وما في نصره بخلا
إني لأشكركم من كل عاطفتي
وأسأل الله يجزيكم، وقد فعلا

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـــدّمة

الحـمْدُ لله على نعـمَائهِ ، وَالصَّـلاة والسَّلام على خير أنبيـائهِ .

وَبَعـد :

لقَد طلبَ منّي بعضُ الأحبَاب ، أن أقوم بنَشر هٰذا الكِتَاب وَأقدّمه للشّيُوخ وَالشّبَاب ، وَكلّ من يحمل مشعَل الإيمَان ، وَفكرَة الإسْلَام ، فهوَصَالح أن يكُون أنيسًا في الوَحْدَة ، وَسَميرًا عندَ الوحشَة ، فقَد جَمَع - وَالحمدُ لله - منَ القصَص الطريفَة ، وَالحكَايَات الظّريفَـة ، والأحَاديث النّبويّة الشّريفَة ، مَع حِكمٍ عِليّة ، وَأشعَارٍ أدبيّة ، تجلو عَن القَلْبِ الصّدىٰ ، وَتُزيلُ عَنه الرّدىٰ . - فالله - تعَـالىٰ أسْأل أن يعمّ به النّفع ، وَيفتح به السّمْع ، وَيُلطّف بهِ الطبْع ، وَيجعَله خَالصًا لوجْههِ الكريم .

محمّد الحجّار

بسم الله الرحمن الرحيم

PHONE: 22948
29174
TELE. : NADWA

Abul Hasan Ali Nadwi
DARULULOOM NADWATULULAMA
LUCKNOW – 226007 (INDIA)

أبو الحسن علي الحسني الندوي
ندوة العلماء – لكهنؤ – الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فقد اطلعت على كتاب "سمير المؤمنين" لفضيلة الشيخ محمد الحجار من علماء حلب، وأنا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأجلت النظر في محتوياته، فوجدت أن الاسم قد طابق المسمى، والكتاب كحديقة زاهية واسعة متنوعة الأزهار والرياحين، ينتقل الإنسان فيها من جميل إلى أجمل ومن مفيد ممتع إلى مفيد ممتع، فلا يسأم ولا يمل، وهذا شأن السمير النافع الحاذق، ففيه الخطب والوصايا والشعر الأدبي وقطوف من السيرة النبوية وحكايات لأبطال المسلمين والأئمة والمرشدين وفضائل السور ولطائف من التفسير ونماذج من الوعظ والنصائح وأمثلة من الأسلوب الحكيم ومجموعة من جوامع الدعاء.

نسأل الله أن ينفع به ويتخذه من يريد به خيراً سميراً وأن ينتفع به في دينه ودنياه، وجزى الله جامعه ومؤلفه والذي عني بنشره وطبعه وإيصاله إلى راغبيه ومقدريه.

كتبه
أبو الحسن علي الحسني الندوي
على عجل وتزاحم أشغال
٢٥ من ربيع الآخر
سنة ١٤٠٥ هـ

الخطب والوصايا

الحمدُ لله الذي أنزل على قلب نبيه القرآنَ، وعلَّمه التبيانَ، ومنحه فصاحةَ اللسان، حتىٰ ساد مَنْ قَبْلَه ومَنْ بعده من فرسان البلاغةِ والخَطابة والبيان، فكان نطقه ـ والحمد لله ـ مصوناً عن الخطإ والزلل والنسيان.

وبعد؛ فإن الخطب والوصايا أسلوبٌ من أساليب الوعظ والإرشاد، وضربٌ من ضروب التذكيرِ المحمود والنصحِ المحبوب، فإن من البيان ما يَسحرُ القلوبَ، ويُذل النفوسَ، ويُخضِع العقولَ.

فالوصايا والخطب: يُهذبانِ الطبعَ، ويَذهبان بالإنسان من اتجاه إلى اتجاه، ومن مَنهج إلى منهج، ومن سبيلٍ إلى سبيل.

ولقد كانت الخَطابة عندَ العرب: تَنطلقُ عن سليقة من نفوسهم عفواً بلا عَناءٍ، تقع في الآذان، وتؤثر في الجنان. وتسحرُ الأذهانَ!.

والوصايا ضربٌ من ضروب التذكير، ونوعٌ من أنواع النصح والتبشيرِ، فقد التزمها الكثير من السلف، وأوصى بها الجمُ الغفير من الخلف، ولهذا قد وشَّحنا هذه العُجالةَ بكلا النوعين، لتكونَ للقارىءِ قرةَ عين. واللَّهَ تعالىٰ أسألُ، أن ينفعَ بها القريبَ، ويقربَ البعيدَ.

الخطبة الأولى التي خطبها النبي عليه الصلاة والسلام في مكةَ المكرمة:

بعد أنْ حَمِدَ اللَّهَ تعالىٰ وأثنىٰ عليه قال:

«إنَّ الرائد[1] لا يكْذِبُ أهلَه، والله لو كذبتُ الناسَ جميعاً ما كذبتُكم، ولو غَررتُ الناسَ جميعاً ما غررتُكُم، واللَّهِ الذي لا إلَه إلا هو، إني لَرَسُولُ اللَّهِ إليكُمْ خاصةً، وإلى الناسِ عامَّةً، واللَّهِ لَتمُوتُنَّ كما تَنامُونَ، ولَتُبْعَثُنَّ كما تَستيقظون، وَلَتُحَاسبُنَّ بما تَعملون، ولَتُجْزَوُنَّ بالإحسان إحساناً، وبالسُّوءِ سوءاً، وإنها لجنةٌ أبداً، أو لنارٌ أبداً»[2].

خطبة الوداع للنبي ﷺ:

بعد أن حَمِدَ اللَّهَ تعالىٰ وأثنىٰ عليه قال:

«يا أيها الناسُ! اسمعوا قولي، فإني لا أدري لعلي لا أَلقاكُم بعدَ عامي هذا بهذا الموقف أبداً.

أيها الناسُ! إن دماءَكُم، وأموالَكُم عليكُم حرامٌ إلى أن تلقَوْا ربَّكُم، كحُرْمَة يومِكُم هذا، وكحُرمة شهرِكُم هذا، وإنكُم ستلقون ربكُم، فيسألُكُم عن أعمالِكُم، فمَنْ كانت عنده أمانةٌ فليؤدِّها إلىٰ من ائْتَمَنَه عليها؛ وإن كلَّ رباً موضوعٌ ولكن لكُم رؤُوسُ أموالِكُم لا تَظْلِمُون ولا تُظْلَمون»[3]

خطبة النبي عليه الصلاة والسلام في النساء:

روى عبدالله بنُ عمرَ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«يا معشرَ النساءِ تصدَّقن، وأكثرنَ الاستغفار؛ فإني رأيتُكن أكثرَ أهلِ النار!»، فقالتِ امرأةٌ منهن جَزْلة[4]: وما لنا يا رسولَ اللَّهِ أكثرُ أهلِ النار؟!.

---

(١) الرائد: الدليل الذي يتقدم القوم.

(٢) «السيرة الحلبية» (١/٢٧٢)، «والكامل» لابن الأثير: (٢/٢٧).

(٣) راجع: «نور اليقين في سيرة سيد المرسلين» ﷺ.

(٤) الجزلة: تامة الخَلْق. ويجوز أن تكون ذات كلام جزل أو قوي شديد. اهـ. النهاية.

قال: «تُكْثِرنَ اللعنةَ، وتَكفرنَ العشيرَ، وما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين أغلبَ لذي لبٍ منكن!».

قالتْ: يا رسول الله! وما نقصانُ العقلِ والدينِ؟.

قال عليه الصلاة والسلام: «أما نقصانُ العقلِ، فشهادةُ امرأتين تَعدلُ شهادةَ رجل، فهذا نقصانُ العقلِ، وتمكثُ الليالي ما تُصلي، وتُفطر في رمضانَ، فهذا نقصانُ الدينِ»[1].

خطبة الصديق رضي الله عنه:

بعد أن حَمِدَ الله وأثنى عليه قال:

«أيها الناسُ! نحنُ المهاجرونَ أولُ الناسِ إسلاماً، وأكرمُهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنُهم وجُوهاً، وأكثرُ الناس وِلادةً في العرب، وأمَسُّهم رَحِماً برسول الله ﷺ أسْلَمنا قبلَكُم، وَقُدِّمْنَا في القرآن عليكُم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾[2].

فنحن المهاجرونَ، وأنتم الأنصارُ إخوانُنا في الدِّين، وشركاؤنا في الفيءِ[3]، وأنصارُنا على العدُوِّ، آويتُم وواسيتُم[4]، فجَزاكُم الله خيراً، فنحنُ

---

(١) رواه مسلم.

(٢) التوبة: ١٠٠.

(٣) الفيء: الخرَاج والغنيمة. يقال: أفاء الله علينا مالَ الكفار بالمد يُفيء إفاءة. ومنه قوله تعالى في سورة الحشر، آية: ٧: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾.

(٤) آساه بماله مؤاساة: أي جعله أسوته فيه؛ وواساه لغة ضعيفة فيه.

الأمراءُ وأنتم الوزراءُ، لا تَدِينُ[1] العربُ إلا لهذا الحي من قريش، فلا تنفَسوا على إخوانكم المهاجرينَ ما منحهم الله من فَضْلِهِ!».

رِثاءُ السيدة عائشة رضي الله عنها:

وقفت رضي الله عنها، على قَبرِ أَبيها فقالت: «نَضَّر اللَّهُ وجهَك، وشكَر لك صالحَ سَعْيِك، فلقد كُنْتَ للدنيا مُذِلاًّ بإعراضِكَ عنهـا، وللآخـرة مُعِزّاً بإقبالكَ عليها. وإن أَجَلَّ الحوادثِ بعـدَ رسولِ الله ﷺ رِزْؤُك[2]، وأعـظمَ المصـائبِ بعده فَقْدُك».

خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«الحمدُ للّه الذي أعزَّنا بالإسلام، وأكْرَمَنا بالإيمان، ورحِمَنا بنبيه عليه الصلاة والسلام، فهدانا به من الضَّلالة، وجَمَعَنا به من الشَّتات، وأَلَّفَ بينَ قلوبِنا، ونصرَنا على عدُوِّنا، ومكَّنَ لنا في البلاد، وجعلنا به إخْواناً مُتَحابِّينَ، فاحمَدوا الله على هذه النعمةِ، واسألوه المزيدَ فيها، والشكرَ عليها، فإنَّ الله قد صَدقكُم الوعْدَ بالنصر على مَنْ خالَفكُم؛ وإيَّاكم والعملَ بالمعاصي وكُفْرَ النعمةِ! فقلَّما كَفَرَ قوم بنعمةٍ، ولم يَنزعوا إلى التوبة إلاَّ سُلبوا عِزَّهُم، وسُلِّط عليهم عدوُّهم!».

خطبة عمرَ بنِ عبد العزيز رضي الله عنه:

«أيها الناسُ! إنكُم لم تُخْلَقوا عَبثاً، ولم تُتْركُوا سُدىً، وإن لكُم مَعاداً يحكُم اللَّهُ بينكُم فيه، فخَاب وخَسر مَنْ خَرج مِنْ رحمة اللَّهِ التي وَسِعَتْ كلَّ شيءٍ، وحُرِمَ من الجنة التي عَرْضُها السمواتُ والأَرضِ! واعلموا أن الأمان

---

(١) تخضع وتذل وتنقاد: بمعنى.

(٢) الرزء: المصيبة.

غداً لمن خاف الله اليومَ، وباع قليلاً بكثير، وفائتاً بباقٍ! ألا ترونَ أنكُم في أسلاب الهالكين، وسيُخَلِّفُها مَن بَعدكُم الباقون، كذلك تَرِدُونَ علىٰ خيرِ الوارثين».

خطبة طارقِ بنِ زياد:

بعد أن عَبرَ طارق وجنودُه البحرَ، نَزَلُوا في شواطىءِ الأندلس بعدَ خروجهم منه، فأخذَ يُفكِّر طارق إلى خُطةٍ رهيبةٍ، ليضعَ جنودَه أمامَ الأمرِ الواقع! فقام بإحراق الناقلات من السفن التي عَبَر بها البحرَ، حتىٰ لا يُفَكِّرَ أحدٌ في الرجُوع إلىٰ بلاده؛ بل يُقاتل العدُوّ بكلِّ بَسَالةٍ دونَ أن يحسُب أيَّ حساب للعودة قبلَ النصرِ.

فوقف في الجنود خَطِيباً فقال: «أيها الناس! أيْنَ المفرُّ؟ البحْرُ من ورائِكُم، والعَدُوّ أمامَكُم، وليس لكُم - والله - إلا الصِّدْقُ والصَّبر، واعْلَمُوا أنكُم في هذه الجزيرة أضْيَعُ من الأيتَام على مَأْدُبة اللئام!.

وقد استقبلكُم عدوكُم بجيشِه، وأسْلِحَتُه وأقواتُه موفورةٌ، وأنتم لا وَزَرَ لكُم إلاَّ سُيوفكُم، ولا أقواتَ لكم إلاَّ ما تَستخلِصُونه من أيْدِي عَدُوِكم، واعْلَمُوا أني أولُ مُجيبٍ إلى ما دعوتُكُم إليه».

خطبة أبي طالب:

بمناسبة عَقدِ النبي ﷺ على خديجةَ رضي الله عنها:

«الحمدُ لله الذي جَعَلنا مِنْ ذُريَّة إبراهيمَ، وزَرْع إسماعيل، وجَعَل لنا بلَداً حَراماً، وَبَيْتاً مَحْجوجاً، وجعَلَنا الحكامَ على الناس..

ثم إنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ الله ابنَ أخي، مَنْ لا يُوزَنُ به فَتىً من قريش إلا رجحَ عليه: بِراً، وفَضلاً، وكرَماً، وعَقلاً، ومجداً، ونُبْلاً؛ وإن كان في المال قُلٌّ؛ فإنَّ المال ظِلٌّ زائل، وعَارِيةٌ مُسْتَرجَعَةٌ!.

وله في خديجةَ بنتِ خُويلد رَغْبَةٌ، ولها فيه مِثْلُ ذلك، وما أَحْبَبْتُمْ من الصَّداقِ فَعليَّ، وهو ـ والله ـ بعدَ هذا له نبأٌ عظيم، وخَطَرٌ جليلٌ جسيم»[1].

نموذج من مدح أبي طالب للنبي ﷺ:

والله لَنْ يَصلوا إليكَ بجمعِهِم ... حتى أُوسَّدَ في التُرابِ دَفينَا
فاصدَعْ بأمرك ما عَليكَ غَضَاضَةٌ[2] ... وأبْشِرْ بذَاكَ وقَرَّ مِنْكَ عُيونا
ودَعَوْتَني وعَلِمْتُ أنَّكَ صَادِقي ... ولَقَد صَدَقْتَ وكُنتَ ثَمَّ أمِينا
ولَقَد عَلِمْتُ بأنَّ دِينَ مُحَمدٍ ... مِنْ خَيْرِ أدْيانِ البَرِيَّةِ دينَا

وله أيضاً:

وأبيضَ يُسْتَسقَى الغَمامُ بوجهه ... ثِمَالُ[3] اليتامى عِصْمةٌ للأراملِ

خطبة قس بنِ ساعدة الإيادي[4]:

«أيها الناس! إسْمَعُوا وَعُوا[5]، مَنْ عاشَ ماتَ، ومَنْ ماتَ فاتَ، وكلُ ما

---

(١) موقفُ أبي طالب مع النبي ﷺ وذبِه عنه الأعداء، وخطبتُه هذه وشعره!.
فهذه المشاهد تعرب عما يُكنه في نفسه، من إجلال وإعظام، وحبٍ واعتقاد بالنبي ﷺ بأنه أفضل الأولينَ والآخرين. راجع: «التاج» (١٣٧/٤) تجدُ بعضَ رأي الأئمة الأعلام حول عم النبي عليه الصلاة والسلام.

(٢) الغضاضة: الذلة والمنقصة. اهـ. مختار.

(٣) ثمال: ملجأ اليتامى وغياثُهم. راجع «النهاية» (١٣٤/١)؛ مادة «ثمل».

(٤) خَطب قس بنُ ساعدة الأيادي هذه الخطبةَ بسوق عكاظ، وهو يبغي النصحَ والإرشاد.
وروي أن الرسول ﷺ قد سمعه يُلقي هذه الخطبة، على جملٍ أورقَ ـ لونه أسودُ في غُبْرة، أو لونه لون الرماد ـ وهو من مشاهير خطباء العرب وحكمائهم.
وقد نسبوا له أوليات الخطابة؛ كما نسبوا أوليات الشعر لامرىء القيس؛ زعموا أنه أول من علا على شرف، وأول من قال في كلامه: «أما بعد» وأول من اتكأ في خطبة على سيف أو عصا، وعاش ولم يُدرك البعثة.

(٥) وعى القولَ يعي إذا أحسن فهمه.

هـو آتٍ آت، ليـلٌ داجٍ[١]، ونهـارٌ سَـاجٍ[٢]، وسَمـاءٌ ذاتُ أبـراجٍ، ونجومٌ تزهَرُ[٣]، وبحارٌ تزخرُ[٤]، وجبَـالٌ مُرْسَـاة، وأرضٌ مُدْحَـاة[٥]، وأنهَار مَجراة، إن في السماءِ لَخبراً، وإن فِي الأرْض لَعِبراً! ما بالُ الناسِ يذهَبُونَ ولا يَرجِعُون؟! أرَضُوا فأقامُوا أم تُركُوا فنامُوا؟!.

يُقسمُ قِسٌ بالله قَسَماً لا إثْمَ فيه: إنَّ لله ديناً هو أرضىٰ لكُم، وأفضلُ مِنْ دينكُم الذي أنتم عليه، إنكُم لَتأْتونَ مِنَ الأمر منكراً». ثم أنشد فقال:

في الـذاهـبيـنَ الأوَلِـيـنَ ... مِنَ القـرونِ لنـا بَصَـائـرُ
لـمَّـا رأيـتُ مـوارداً ... للمـوت ليس لهـا مصـادرُ
ورأيت قـومِـيَ نَحْـوَهـا ... تمضي الأكـابـرُ والأصـاغـرُ
لا يـرجـعُ المـاضي إلـيَّ ... ولا من البـاقيـنَ غـابـرُ[٦]
أيـقـنـتُ أنّـي لا مـحـا ... لَةَ حيثُ صار القومُ صَائِـرُ[٧]

وصية سيدنا نوح عليه السلام لابنه:

رُويَ أن سيـدنا نُوحاً عليه السلام قال لابنِه: «إنِّي مُوصِيكَ بوصِيَّة، وقاصِرُها كَيْ لا تنساها؛ أُوصيك باثنتين؛ وأنهاك عن اثنتين:

---

(١) من الدجىٰ، والدجية: الظلام.
(٢) اسم فاعل من سجا يسجو إذا هدأ وسكن. ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.
(٣) تضيء وتتلألأ.
(٤) تمتلىء ويرتفع مدها.
(٥) مِنْ دحا يدحو، فهي مدحوة. يقال: دحا الرقاقة، إذا مدها وبسطها.
(٦) الباقي: المقيم.
(٧) من فعل صار، وصار هنا تامة، بمعنى آل وانتهى الأمر. راجع: «مختار الصحاح» في حل هذه الألفـاظ.

أما اللتان أُوصيك بهما، فيستبشر الله بهما وصالحُ خَلْقِه، وهما يُكثرانِ الولوجَ على الله تعالىٰ:

١ - أُوصيك بلا إله إلا الله، فإن السمواتِ والأرضَ لو كانتا حَلْقَةً قَصَمَتْها، ولو كانتا في كفة وزنتها.

٢ - وأُوصيك بسبحان اللهِ وبحمده، فإنهما صلاةُ الخلق؛ وبهما يُرزق الخلقُ. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1].

وأما اللتان أنهاك عنهما؛ فيُحجَب اللَّـهُ منهما، وصالحُ خلقِه، أنهاك عن الشركِ، والكبر».

وصية سيدنا يحيىٰ عليه السلام:

رُوِيَ عن الحارث الأشعري رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله تعالىٰ أَمَر يحيى بنَ زكريا بخمسِ كلماتٍ، أن يَعمل بهن، ويأمرَ بني إسرائيل أن يَعملوا بهن، وكاد أن يُبطيءَ.

فقال له عيسىٰ عليه السلام: إنك قد أُمرتَ بخمس كلمات، أن تَعملَ بهن، وتأمرَ بني إسرائيل أن يعملوا بهن؛ فإمّا أن تُبلغهن، وإمًّا أنْ أُبلغَهُن.

فقال يحيىٰ عليه السلام: يا أخي! إني أخشىٰ إنْ سبقْتني أن أُعذَّبَ، أو يُخْسفَ بي.

قال: فجمع يحيىٰ بني إسرائيلِ في بيت المقدس، حتىٰ امتلأ المسجدُ، فقعَدُوا على الشُّرَفِ، فحَمِدَ الله تَعالىٰ وأثنىٰ عليه، ثم قال:

---

(١) الإسراء: ٤٤.

إن الله عز وجلَّ أمر بخمسِ كلماتٍ أن أعملَ بهنَّ، وآمركم أن تَعملوا بهن:

١ ـ أُولاهن: أن تَعبدوا اللَّهَ تَعَالىٰ: لا تُشْركُوا به شيئاً؛ فإنَّ مَثَلَ ذلك مَثلُ من اشترىٰ عبداً من خالص مالِه بِوَرق[1] أو ذهبٍ، فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده! فأيكُم يَسرُه أن يكُونَ عبدُه كذلك؟ وإن اللَّه تعالىٰ خلقكُم ورزقكُم، فاعبدوه ولا تشركُوا به شيئاً!.

٢ ـ ثانيهن: وآمركُم بالصَّلاة، فإن الله تعالىٰ ينصِبُ وجهَه قِبَلَ عبدِه ما لم يَلتفتْ، فإذا صلَّيتُم فلا تلتفتوا!.

٣ ـ ثالثهن: وآمركُم بالصِّيام، فإنَّ مَثَلَ ذلك كَمَثَل رجُلٍ معه صُرَّةٌ منْ مِسْكٍ في عِصابة، كلهم يَجد ريحَ المسك، وإن خُلُوفَ فمِ الصَّائمِ أطيبُ عند الله من ريح المسك!.

٤ ـ رابعهن: وآمركُم بالصَّدقة، فإن مَثَل ذلك كمثل رجُل أسرَه العدوُّ، فشدوا يَده إلى عُنُقِهِ، وقدمُوه ليضْربُوا عُنقَه، فقال: هل لكُم أن أفتديَ نفسي منكم؟ فجعلَ يفتدي نفسَه منهم بالقليل والكثير، حتى فكَّ نفسَه!.

٥ ـ خامسهن: وآمركُم بذكر الله تعالىٰ كثيراً، فإن مَثَل ذلك كَمَثَل رجُل طلبه العدوُّ سِراعاً في إثْره، فأتىٰ حِصْناً فتحصَّنَ فيه، وإن العبد أحصَنُ ما يكون من الشَّيطان إذا كان في ذِكْر اللَّهِ تعالىٰ»[2].

وصية عمرَ بنِ الخطاب لأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:

كَتَب عمر بنُ الخطاب إلى عامِله أبي موسىٰ رضي الله عنهما فقال:

«أما بعد؛ فإنَّ للناس نُفْرَةً من سلطانهم، فأعوذ بالله أن تُدْركني وإياك!.

---

(١) الوَرِق بكسر الراء: الفضة.

(٢) «البداية والنهاية» (٢/٥٢).

فأقِم الحدودَ ولو ساعةً من النهار، وإذا حضَر أمران: أحَدُهما لله، والآخرُ للدنيا، فآثِرْ نصيبَك من الله؛ فإن الدنيا تَنْفَد، والآخرة تبقىٰ؛ عُد مريضَ المسلمين، واحضُرْ جنائزَهُم، وافتحْ بابَك، وباشر أُمورَهم بنفسك؛ فإنما أنت رجُل منهم، غيرَ أنَّ الله تعالىٰ جعلك أثقلَهم حِمْلاً؛ وقد بلغني أنه نشأ لك ولأهل بيتك هيئةٌ في لباسِك، ومطعمِك، ومركبِك، ليس للمسلمين مثلُها!.

فإياك أن تكونَ بمنزلة البهيمةِ، مرتْ بوادٍ خِصْبٍ، فلم يكُن لها هَمٌ إلاَّ السِمَنَ، وإنما حتفُها في السِمَنِ!.

واعلم أن العاملَ إذا زاغ زاغتْ رعيتُه، وأشقىٰ الناسِ من شقيتْ به رعيتُهُ!».

وصية عثمانَ ذي النورين رضي الله عنه:

حُكِيَ أنه لما قُتِل عثمانُ رضي الله عنه، فَتشُوا خزائنَهَ، فوجدوا فيها صندوقاً مُقْفلاً ففتحوه، فوجدوا فيه ورقةً مكتوبٌ فيها:

هذه وَصِيَّة عثمانَ: «بسم الله الرحمٰنِ الرحيم، عُثْمان بنُ عَفَّان يشهد أن لا إلٰه إلا الله وحدَه لا شريك له، وأن محمداً عبدُه ورسوله، وأن الجنة حق، وأن النار حقٌ، وأن الله يبعث مَنْ في القبور ليوم لا ريبَ فيه، إن الله لا يُخلِفُ الميعادَ، عليها يحيا، وعليها يموت، وعليها يُبعث إن شاءَ اللَّهُ».

وصية أبي عبيدةَ بنِ الجراحِ رضي الله عنه:

عن سعيد بنِ المسيب قال: لما طُعِنَ أبو عبيدةَ رضي الله عنه بالأُرْدُنِّ، دعا مَنْ حضره من المسلمين، وقال:

«إني مُوصيكُم بوصية، إنْ قَبلتمُوها لن تزالُوا بخير: أقيمُوا الصلاة

وصوموا شهرَ رمضانَ، وتَصَدَّقوا، وحُجُّوا، واعتمروا، وتواصَوْا، ولا تُلْهِكم الدنيا، فإن امرأً لو عُمِّر ألفَ حولٍ، ما كان له بُدٌّ من أن يصيرَ إلى مَصْرَعي هذا الذي ترون!.

إن الله كتبَ الموتَ على بني آدمَ فهم ميتونَ، فأكْيسُهم أطوعُهم لربه، وأعمَلُهم ليوم مَعادِه، والسلامُ عليكمُ ورحمة الله!».

وصيـة لقمـان لابنـه:

«يا بُنَيَّ إن كُنتَ تَشُك في الموت فلا تَنم! فكمَا أنك تنـام كذلـك تموتُ.

وإن كُنْتَ تشُك في البعث فلا تنتبه بعدَ نومِك! فكـذلك تُبعث بعـد موتك».

وصية عبدِالله بن عباس رضي الله عنهما:

قال: «صاحبُ المعروفِ لا يَقعُ، وإن وَقَعَ وَجدَ متكأً».

وقال: «لمَّا ضُرِب الدرهمُ والدِّينار، أخذه إبليسُ فوضَعَه على عينيه، وقال: أَنْتَ ثمرةُ قلبي، وقُـرَّةُ عيني، بكَ أُطغي، وبـكَ أُكَفِّر، وبـكَ أُدخلُ النارَ!».

معاوية يستوصي عائشةَ أم المؤمنين رضي الله عنها:

رُوِيَ عن معاويةَ رضي الله عنه، أنه كتب إلى عائشةَ رضي الله تعالىٰ عنها: أن اكتبي إليَّ كتاباً، تُوصيني فيه ولا تُكثري!.

فكتبت: «سلامٌ عليكَ، أما بعد؛ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«من التَمَسَ رِضا اللهِ بسخطِ الناسِ، كفاه الله مؤنةَ الناسِ، ومن التَمَسَ رضا الناس بسخط الله، وكَله الله تعالىٰ إلى الناس والسلام»[1].

وصية الحسن البصري لبعض طلابه:

قال: «يا بُني! خذ هذه البطاقةَ، فهي خيرٌ لك من ألفِ كتاب:

١ ـ لا تغتَر بمكانٍ صالحٍ، فلا مكانَ أفضلُ من الجنة، فقد لَقِيَ فيها أبونا آدمُ ما لقي!.

٢ ـ ولا تغتَر بكثرة العبادة؛ فإن إبليس بعدَ مُكْثه في العبادة فانْظُرْ ماذا لقي!.

٣ ـ ولا تغتَر برؤية الصالحينَ، فلا شَخصَ أعظمُ من المصطفىٰ ﷺ، فلم يَنتفعْ به الكفارُ والمنافقون!.

٤ ـ ولا تغتَر بكثرة العلمِ، فإن بلعامَ بنَ باعوراءَ بعدَ نظَرِه في اللوح المحفوظِ فانظرْ ماذا لقي؟»[2].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) في تفسير القرطبي: كان بلعم من بني إسرائيل في زمن سيدنا موسىٰ عليه السلام، وكان بحيث إذا نظر رأىٰ العرش، وكان في مجلسه ـ إذا حدث الناس ـ اثنا عشر ألفَ مِحبرةٍ للمتعلمين الذين يكتبون عنه؛ وهو المعنيُّ بقوله تعالى:

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

قصته مبسوطة في كتب التفسير عند شرح هذه الآية، في سورة الأعراف: ١٧٥ ـ ١٧٦.

وصية الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ:

حُكيَ أن الفضيل بنَ عياضٍ رضي الله تعالىٰ عنه، وَعَظَ أصحابَه وأوْصَاهُم، وفيهم الشابُّ والشيخ فقال:

«يا معشرَ الشبابِ! كَمْ من زرْعٍ أُدركته الآفةُ قبلَ بلُوغِه وتمامِه!.

ويا معشَر الشيوخ! هل يُحْصَد الزرعُ إلا بعد نُضْجِه وتمامِه؟ وما الذي تنتظرونَ؟ وبأيِّ عُذْر تعتذرونَ؟ وما الذي يقول منكُم الصغيرُ والكبير؟ إذا قال لكُم اللطيفُ الخبير:

﴿ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾[1].

وصية مالك بن دينار لبعض طلابه:

«إذا رأيتَ قساوةً في قلبك؛ ووَهْناً في بَدَنِك؛ وحِرْماناً في رِزْقـك؛ فاعلم أنك تكلمتَ فيما لا يَعنيك!».

(١) فاطر: ٣٧. وهو متناول لكل عُمُرٍ تمكن منه المكلف من إصلاح نفسه وإن قَصُرَ، إلا أن التوبيخ في المتطاول أعظم!.

ثم قيل: هو ثمان عشرة سنة، وقيـل: أربعون، وقيـل: ستون سنـة. ﴿ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ﴾ الرسول عليه الصلاة والسلام، الذي أرسله الله تعالىٰ بشيراً ونذيراً. وقيل: النذير هو المشيب.

وروى البخاري: «من عَمَّره الله ستينَ سنةً، فقد أعذر الله إليه» أي: أسقط عذره حيث أمهله الله طولَ هذه المدةِ ولم يعتذر!.

وفي تفسير القرطبي: «والمعنىٰ أن من عَمَّره الله ستين، لم يبقَ له عذر؛ لأن الستين قريب معترك المنايا. وهو سن الإنابة والخشوع، وترقب المنيةِ، ولقـاء الله؛ ففيه إعذار بعد إنذار».

وصية السلطان إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه:

قيل لسُلطانِ الزاهِدينَ إبراهيمَ بنِ أدهمَ رضي الله عنه: أَوْصِنا بما ينفعُنا! فقال رضي الله تعالى عنه:

١ - «إذا رأيْتُم الناسَ مَشْغولينَ بأَمْرِ الدنيا؛ فاشتغلوا أنتم بأَمْرِ الآخرة.

٢ - وإذا اشتغلوا بتَزْيينِ ظواهِرهم؛ فاشتغلوا بتَزْيينِ بواطِنِكُم.

٣ - وإذا اشتغلوا بعمارةِ البساتينِ والقُصورِ؛ فاشتغلوا بعمارةِ القُبور.

٤ - وإذا اشتغلوا بخدمةِ المخلُوقِينَ؛ فاشتغلوا بخدمةِ رَبِّ العالمينَ.

٥ - وإذا اشتغلوا بعُيوب الناسِ؛ فاشتغلوا بعُيوب أُنفسِكُم.

٦ - واتخِذُوا من هذه الدنيا زاداً يُوصِلكُم إلى الآخِرة؛ فإنما الدنيا مَزْرَعةُ الآخرة».

ولله در القائل:

إن لله عِبَاداً فُطَناً ... طلَّقُوا الدنيا وخافُوا الْفِتَنا

نظرُوا فيها فلَمَّا عَلِمُوا ... أنها ليسَتْ لحيٍّ وَطَنا

جَعَلوها لُجَّةً واتخذوا ... صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنا

وقال بعضهم:

تَزَوَّد للذي لا بُدَّ منه ... فإن الموتَ ميقاتُ الْعِبادِ

وتُبْ مما جَنيتَ وأنتَ حَيٌّ ... وكُنْ مُتنبِّهاً قَبلَ الرقادِ

ستندَمُ إن رحَلتَ بغيرِ زادٍ ... وتشقَى إذْ يُناديكَ المنادِي

أترضَى أن تكونَ رفيقَ قَوْمٍ ... لهُم زادٌ وأنْتَ بغيرِ زادِ؟!

وصية السلطان محمد الفاتح لابنه:

«ها أنذا أمُوت، ولكني غيرُ آسفٍ؛ لأني تاركٌ خلَفاً مثلَك».

كُن: عادلاً، صالحـاً، رَحِيماً، وابْسُط على الـرعية حِمـايَتَكَ بـدونِ تمييز.

واعمل على نشرِ الدينِ الإسلامي، فإن هذا هو واجبُ الملوكِ على الأرض.

قَدِّم الاهتمامَ بأمر الدينِ على كل شيءٍ، ولا تفتُر في المواظبةِ عليه، ولا تستخدمِ الأشخاصَ الذين لا يهتمونَ بأمر الدِّين، ولا يجتنبون الكبائرَ، وينغمسون في الفحش! وجانِبِ البِدَع المفسدةِ، وباعد الـذين يُحرضُـونَك عليها.

وَسِّعْ رُقعةَ البلادِ بالجهاد، واحرُس أموالَ بيتِ المال من أن تتبدد.

إياك أن تمدَّ يدَكَ إلى مال أحَدٍ من رَعِيتكَ إلَّا بحقِ الإسلام، واضمَن للمعوِزين قُوتَهم، وابذل إكرامَك للمستَحقين.

وبما أن العلماءَ هم بمثـابة القـوةِ المبثوثـة في جسم الدولـة، فعظِّم جانبَهم وشَجِّعهُم، وإذا سَمِعْتَ بأحدٍ منهم في بلدٍ آخر، فاستقْدِمْه إليك، وأكرمه بالمال!.

حَذارِ، حَذارِ! لا يغرنَّكَ المالُ ولا الْجُند! وإيَّاك أنْ تُبْعِدَ أهلَ الشريعة عن بابك، وإيَّاك أن تُميلَ إلى أيِّ عمل يُخَالِف أحكام الشريعة؛ **فإن الدِّين غايتنا، والهدايةَ منهجنا، وبذلك انتصرنا!**.

خُذْ مِنِّي هذه العبرةَ! حضرتُ هذه البلادَ كَنملةٍ صغيرة، فأعطاني الله تعالى هذه النِّعَمَ الجليلةَ!.

فالْزَمْ مَسلَكِي، واحذُ حَذْوِي، واعمل على تعزيز هذا الـدِّينِ وتوفيـر أهله، ولا تصرف أموالَ الدولة في تَرفٍ أو لَهْوٍ، أو أكثرَ من قَدْر اللزوم، فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك».

وصية أسماء بنتِ خارجة:

حُكِي أن أسماء بنتَ خارجةَ قالتْ لابنتها ليلةَ زِفافها:

«يا بُنَيَّةُ! إنَّكِ خرجْتِ من العشِ الذي فيه دَرجْتِ، فصُرتِ إلى فراش لم تعرفيه، وقَرين لم تألفيه! فكُونـي له أَرْضاً، يكُنْ لك سماءً، وكُوني له مِهاداً يكُنْ لك عِماداً، وكُوني له أَمَةً يكُنْ لك عبداً، واحفظي أنفه، وسَمعه، وعَينه: فلا يَشَمَّ منك إلا طِيباً، ولا يسمعَ إلا حسناً، ولا ينظر إلا جميلاً»[١].

وصية علي الخواص رحمه الله تعالىٰ:

«ينبغي لكل مؤمن في هذا الزمان، إذا حضَره طعامٌ أو شـراب، أن لا يأكل منه حتىٰ يقولَ بتوجهٍ تام هذا الدعاءَ:

اللهمَّ إنْ كان في هذا الطعام شُبْهَةُ حرامٍ فاحْمِني منه! وإن لم تحمني منه، فلا تجعله يُقيم في بَطْني! وإن جعلته يقيمُ في بـطني فاحفـظني من المعاصي الناشئة من أكْله، فإن لم تحفظني منها فَمُنَّ عليَّ بالتوبة النَّصُوح! فإن لم تمنَّ عليَّ بالتوبة فالْطُفْ بي ولا تؤاخذني يا أكرم الأَكْرَمِين! ويا أرحم الراحمين!»[٢].

---

(١) النور يتجلىٰ من خلال هذه الحروف، التي صدرتْ عن قلب مليءٍ بالإيمان، ونفس فائضةٍ بالإخلاص، كيف لا! وقد غرست «أسماء» المرأةُ الصالحة، في نفس ابنتها حقوقاً وآداباً، لو عملت بهـا الفتاةُ في بيت زوجهـا، وتَحلَّتْ بها المـرأةُ لسَعِدتِ البيوتُ، وتم الوفـاقُ بينَ الزوجين، ونشأ الأولاد على الفضيلة، حينما يرونَ تبادلَ الحُب والتقدير يتراوحُ بينَ الأبوين، كلٌّ يسعىٰ لمصلحة الآخر، ويُقدم راحتَه على راحة نفسِه، فهناك تتجلىٰ السعادةُ المغبوطة بـأبهىٰ حللها، وهنـاك تسعد الأسـرُ بسعادة الزوجين.

(٢) «المنن والعهود».

الشِّعر الأدبي

رَوائع شِعريَّة

حمداً لله تعالىٰ، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمدٍ رسولِ الله.

وبعد؛ لقد أحببنا أن نقدم في كتابنا هذا نَموذجاً من الشعر الأدبي البعيد عن التعقيد اللفظي، أو الغموضِ المعنوي.

فهذا النوع مما يُرقق القلبَ، ويهذِّب النفسَ، ويلطِّف الطبع!.

والشعرُ منه ما هو محمود، ومنه ما هو مذموم؛ وما ورد في ذم الشعر والشعراءِ كقوله عليه الصلاة والسلام:

«لأَنْ يَمتلىءَ جوفُ رجلٍ قيحاً حتىٰ يَرِيَه، خيرٌ له من أن يَمتلىءَ شعراً»(1).

فالمراد به: الغَزَل المُزري، مِنْ ذِكْرِ ما لا يُستحسنُ: من أوصاف الخدود والقدود، ووصف الخمرة مما يُستقبح ويُستهجن؛ لأنه يحرِّك النفوسَ المريضة إلى ما لا يحل!.

والمحمودُ منه ما اخترناه لك في هذا المختصر، وعليه يحمل قوله عليه الصلاة والسلام:

---

(1) متفق عليه.

«إن من الشعر لَحكمةً، وإن من البيان لَسِحْراً»[1].

وقولُه لحسان:

«أجب عني، اللهم أيده برُوح القُدُس»[2].

وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام سَمِعَ الشِّعر، وارتاحَ لسماعه.

وقال للنابغة الجَعدي عندما سمعه يقول قصيدةً طويلة، فلما وصل إلى قوله:

فلا خيرَ في حِلْمٍ إذا لم يكُنْ له ... بوادِرُ تَحْمي صَفْوَهُ أن يُكَدَّرا
ولا خيرَ في جَهلٍ إذا لم يكُن له ... حَليمٌ إذا ما أورد الأمرَ أصدرا

فقال له عليه الصلاة والسلام: «لا يَفْضُضِ اللّهُ فاكَ».

فلم يَنكسر له سنٌّ مَعَ طولِ عُمره! قيل: عاش مائتين وأربعينَ سنةً.

ويُحمل على القسم الأولِ قولُه سبحانه: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[3].

وقد جاءَ أن حسان بنَ ثابت رضي الله عنه، اعتذر عما نُسب إليه في شأن عائشة رضي الله عنها؛ لأنه تأثر من حديث الأفاكين؛ وعلى رأسهم رأسُ المنافقينَ عبدالله بن أُبَيّ بنِ سلول. فقال من قصيدة طويلة مادِحاً عائشةَ أمِ المؤمنين بقوله:

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتُصبحُ غَرْثَى من لحومِ الغوافلِ

---

(١) الشطر الأول رواه البخاري، والثاني أبو داود.

(٢) قال ابن حجر في «الإصابة»: رُويَ في الصحيحين.

(٣) الشعراء: ٢٢٤ ـ ٢٢٧.

حليلةُ خيرِ الناسِ دِيناً ومَنْصِباً نبي الهُدىٰ ذي المَكْرُمَاتِ الفواضلِ
مهذبةٌ قد طيبَ اللّهُ خَيْمَها وطهرَها من كلِّ سوءٍ وباطِلِ

ورُوِي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «ما سمعتُ بشيءٍ من الشِّعرِ أحسنَ من شِعر حسَّان، وما تمثلْتُ به إلَّا رجوْتُ له الجنةَ».

ومن شعره ـ رضي الله عنه ـ لأبي سفيان قبلَ أنْ يدخُلَ الإسلام:

هجوْتَ[1] محمداً فأجبْتُ عنه وعِندَ اللّهِ في ذاكَ الجزاءُ
هَجوْتَ محمداً بَرّاً[2] حَنِيفاً[3] رسولَ اللّهِ شِيمَتُه الوَفاءُ
فإنَّ أبِي ووالدتِي وعِرضي لعرضِ محمدٍ منكم وِقاءُ
فإنْ أعْرضتُموا عنَّا اعْتَمَرْنا وكانَ الفتحُ وانكشفَ الغِطاءُ
وإلَّا فاصْبِرُوا لضِرابِ يومٍ يُعِزُّ اللَّهُ فيه مَنْ يَشاءُ
وقالَ اللَّهُ قد أرسلْتُ عَبْداً يقولُ الحقَ ليس به خَفَاءُ
وقالَ اللَّهُ قد يَسرتُ جُنْداً هُمُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللِقاءُ
يُلاَقِي كلَّ يوْمٍ من مَعَدٍّ[4] سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ
فمَنْ يهْجُو رسولَ الله مِنْكُم ويمدحُه وينصرُه سَواءُ
وجبريلُ رسولُ اللّهِ فينا وروحُ القُدْسِ ليس له لَفَاءُ[5]

للإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله تعالىٰ:

ما بالُ دينِكَ تَرْضىٰ أنْ تُدَنِّسَهُ وثوبُكَ الدَّهرَ مَغْسُولٌ من الدَّنَسِ
تَرْجو النَّجاةَ ولم تَسْلُكْ طريقتَها إنَّ السَّفينَةَ لا تَجْري على اليَبَسِ

---

(١) الهجاء: ضد المدح، وبابه عدا.
(٢) برٌ وبار. وجمعه: أبرار. ضد العقوق.
(٣) الحنيف: المسلم.
(٤) معد: أبو العرب، وهو معد بن عدنان.
(٥) اللفاء: بالفتح، الخسيس من الشيء، وكل شيء يسير حقير فهو لفاء.

عتـاب أدبـي:

عَتَبْتُ على الدُّنيا لرِفْعَةِ جاهلٍ وخَفْضٍ لذي عِلمٍ فقالتْ خُذِ العُذْرا
بَنُو الجهل أبْنـائي لهـذا رَفعتُهم وأهْـلُ التُّقى أبْناءُ ضُـرَّتِيَ الأُخْـرىٰ
أأتْـرُكُ أولادي يَمـوتـونَ ضَيْعَـةً وأُرضِـعُ أولاداً لضُـرتيَ الأُخْـرىٰ

احـذر البغـي:

قَضىٰ اللَّهُ أَنَّ البَغْي يـصْـرَعُ أهْلَه وأنَّ على البَـاغِي تَـدُورُ الـدَّوائـرُ
ومَنْ يَحْتَفِـرْ بئراً ليُـوقِـعَ غَيْـرَهُ سَيُـوقَعُ في البِئرِ الذي هـو حافِـرُ

مُعانِـق الدنيـا:

يـا مَـنْ يُـعَـانِـقُ دُنـيـا لا بَـقَـاءَ لـهـا
يُـمْـسِـي ويُـصْـبِـحُ فـي دُنْـيَـاه سَـفَّـارا
هَـلاَّ تَـركـتَ لـذي الـدُّنيـا مُـعَـانَـقـةً
حتىٰ تُـعـانِـقَ فـي الـفِـرْدَوسِ أبْـكـارا
إنْ كُـنت تَـبْغـي جِنـانَ الـخُلدِ تَـسكـنُـهـا
فَـيـنـبـغـي لـكَ أن لا تـأْمَـنَ الـنَّـارَا

ذم الحـرص:

دَع الـحِـرصَ عـلى الـدُّنْـيـا وفـي الـعَـيْشِ فـلا تَـطـمـعْ
فـلا تـجـمـعْ مِـنَ الـمـالِ فـمـا تـدري لـمـن تـجـمـعْ
فـإنَّ الـرزقَ مـقْـسُـومٌ وسـوءُ الـظَّنِّ لا يَـنْـفَـعْ
فـقـيـرٌ كـلُّ ذي حِـرْصٍ غَـنـيٌّ كـلُّ مَـنْ يـقـنـعْ

الزهـد في الزهـد:

تَـرحَّـلَ عن مَقـامِ الزُّهْـدِ قلبي فـأنتَ الحَقُّ وحـدَكَ في شُهُـودي
أأزْهَـدُ في سِـواكَ وليس شيءٌ أراهُ سِـواكَ يـا سِـرَّ الـوجـودِ

المـوت والغفلـة:

الموتُ في كلِّ حينٍ يَنْشُرُ الكَفَنا ... ونحنُ في غَفلةٍ عمَّا يُرادُ بنا
لا تَطمَئِنَّ إلى الدُّنيا وزينَتِها ... ولو توشَّحْتَ من أثوابِها الحسنا
أينَ الأحِبَّةُ والجيرانُ ما فعلوا ... أينَ الذين هُمْ كانوا لنا سَكَنا
سقَاهُمُ الموتُ كَأساً غيرَ صافيةٍ ... فصيَّرَتْهُمْ لأطْباقِ الثَّرَىٰ رَهَنا

المـوت كالبحـر:

الموتُ بحرٌ مَوجُهُ طافحُ ... يَغرَقُ فيه الماهِرُ السابحُ
وَيْحَكِ يا نَفْسُ قِفي واسْمَعِي ... مَقالةً قَدْ قالها ناصِحُ
لا يَنْفَعُ الإنسانَ في قبره ... إلاَّ التُّقىٰ والعَمَلُ الصَّالحُ

القناعـة:

خُذِ القناعةَ مِنْ دُنياكَ وارضَ بها ... واجعلْ نصيبَك منها راحةَ البدنِ
وانظُرْ لمنْ مَلَكَ الدُّنيا بأَجْمَعِها ... هَلْ راحَ مِنْها سِوَىٰ بالقُطْنِ والكفنِ

اغتنـام الوقـت:

اغتَنِمْ في الفَراغ فَضْلَ ركوع ... فَعَسَىٰ أن يكونَ مَوْتُكَ بَغتَه
كَمْ صحيحٍ تَراهُ من غيرِ سُقْمٍ ... ذَهبتْ نفْسُهُ الصَّحيحةُ فَلْتَه

وما أحسنَ قولَ القائل:

إذا هبتْ رياحُك فاغْتَنِمْها ... فإنَّ لكُلِ خافِقَةٍ سُكونُ
ولا تَغْفُلْ عن الإحسانِ فيها ... فما تدري السكونَ متىٰ يكونُ
إذا ظفِرتْ يداك فلا تُقصِرْ ... فإن الدهرَ عادتُه يخونُ

وقال الأعشى:

إذا أنْتَ لم ترحَلْ بزادٍ من التُّقى
ولاقيْتَ بعْدَ المَوتِ مَنْ قد تزوَّدا
ندِمْتَ على أن لا تكونَ كمثْلِهِ
وأنَّكَ لم تُرصِدْ كما كان أرْصَدا

البُهلول يخاطب هارونَ الرشيد:

هَبْ أنْكَ قد ملكْتَ الأَرْضَ طُرًّا
ودانَ لك العبادُ فكان ماذا؟
ألَيْسَ غداً مَصِيرُكَ جوفَ قَبرِ
ويَحْثُو التُّرْبَ هذا ثُمَّ هذا

للقاضي ابن عصرون:

أُؤمِّل أنْ أحْيَا وفي كل ساعةٍ
تَمُرُّ بيَ المَوْتى تُهَزُّ نُعوشُها
وما أنا إلَّا منهمُ غيرَ أنَّ لي
بقايا ليالٍ في الزمان أعِيشُها

الخليل لا يدوم:

لكلِّ اجتماعٍ من خَليلَيْنِ فُرْقَةٌ وكلُّ الذي دُونَ المماتِ قليلُ
وإنَّ افتقادِي واحِداً بعدَ واحدٍ دليلٌ على ألَّا يدومَ خليلُ

القدوم على كريم:

تَولَّى الْعُمْرُ واقترَبَ الرَّحِيلُ وَزادِي في التُّقَى زَادٌ قليلُ

وفي لَحْدِي إذا كان النُّزُولُ فَهَنُّوني أَحِبَّائي وقُولُوا
لكَ الْبُشْرىٰ قَدِمْتَ على كَرِيم

قبض الكف وبسطها:

وفي قَبْضِ كفِّ الطِفْلِ عندَ ولادتِهْ
دليلٌ على الحِرص المُركَّبِ في الحيِّ
وفي بَسْطِها عندَ المماتِ إشارةٌ
ألَا فاشهَدوا أني خرجتُ بلا شيٍّ

الاستعداد للموت:

الموتُ لا بُدَّ منه فاسْتَعِدَّ لهُ
إنَّ اللبِيبَ بِذِكْرِ الموْتِ مَشغُولُ
وكيف يَلْهُو بِعَيْشٍ أو يَلَذُّ بِهِ
مَنِ التُّرَابُ على خَدَّيْهِ مَجعولُ

الشح في السلام:

غاضَ ماءُ الحيَاءِ من كلِّ وَجْهٍ
فَغَدا كالِحَ الجوانبِ قَفْرا
وتَفَشَّىٰ العقُوقُ في النَّاس حَتَّىٰ
كادَ رَدُّ السَّلامِ يُحْسَبُ بِرّا

التزود للآخرة:

تَزَوَّدْ من الدُّنيا فإنَّكَ لا تَدْري
إذا جَنَّ ليلٌ هل تَعيشُ إلى الفجرِ؟
فكَمْ مِنْ فتىً يُمسِي ويُصْبِحُ لاهِيا
وقد نُسِجَتْ أَكْفانُهُ وهو لا يَدْري

وكَمْ من عَروسٍ زيَّنُوها لزوْجِها
وقد قبضت أرواحهم ليلة القدرِ
وكم من صغار يُرْتَجى طول عمرهم
وقد أُدخلتْ أجسادُهم ظُلْمةَ القبرِ
وكَمْ من صحيحٍ ماتَ من غير عِلَّةٍ
وكَمْ من سَقِيمٍ عاشَ حِيناً من الدهرِ

قل إذا أعجبك شيء من الدنيا:

لا تَرْغَبنَّ إلىٰ الثِّيابِ الفاخِرة
واذكُرْ عِظَامَكَ حينَ تُمْسي ناخِرة
وإذا رأيْتَ زَخارفَ الدُّنْيا فقُلْ
لاهُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرة

الضحك والبكاء:

ولَدتْكَ أُمُّكَ يا ابنَ آدمَ باكِياً
والناسُ حوْلَكَ يضحكُونَ سُرُورا
فاحْفَظْ لنفسِكَ أن تَكُونَ إذا بَكَوْا
في يومِ مَوْتِكَ ضاحِكاً مسْرُورا

الحب الباقي:

تَنْقضِي الدنيا وتَفنَىٰ والْفَتىٰ فيها مُعنَّىٰ
ليس في الدنيا سُرورٌ لا ولا عَيْشٌ مُهَنَّىٰ
يا غَنِيًّا بالدَّنانـير مُحِبُّ اللّهِ أَغْنَىٰ

المبادرة إلى العمل:

إذا أَمْسَيْتَ فـابتدرِ الْفَلاحا ... ولا تُهمِلْه تنتظرِ الصَّبَاحا
وتُبْ مِما جَنَيْتَ فكَمْ أُنَاسٍ ... قَضَوْا نَحْباً وقد باتوا صِحَاحا

عز العلم:

رضينا قِسْمةَ الجبّارِ فينا ... لَنا عِلْمٌ وللجُهّال مالُ
فعِزُّ المالِ يَفنىٰ عن قريبٍ ... وعِزُّ العِلْمِ باقٍ لا يزالُ

فَرَسُ المرءِ:

وما المرءُ إلا راكبٌ ظَهْرَ عُمْرِهِ
على فرسٍ يُفنيه في اليوم والشهر
يَبيتُ ويُمسي كلَّ يومٍ وليلةٍ
بعيداً عن الدنيا قريباً من القبر

الرضا والتسليم:

سَلِّمْ أُمورَك لِلَّطيفِ العالِم
وأَرِحْ فُؤادَكَ مِنْ جَميعِ العَالَمِ
واعلَمْ بأَنَّ الأَمْرَ ليس كما تَشا
بل ما يشاءُ اللّهُ أَحْكَمُ حاكِمِ
فاطرَبْ وطِب وانْسَ الهمومَ بأُسْرها
إن الهمُومَ تُزيلُ لُبَّ الحازِمِ
لا ينفعُ التدبيرُ عَبْداً عاجِزاً
فَاتْرُكْهُ تَبْقَ في نعيمٍ دائمِ

لولا فئةٌ لعذبَ الآخرون:

لولا عبادٌ للإلَه رُكّعُ   وصِبْيةٌ مِنَ اليتامَىٰ رُضَّعُ
ومُهْمَلاتٌ في الفَلاَةِ رُتَّعُ   صُبَّ عليكمُ العذابُ الأَوْجَعُ

للجوهري:

لو كان لي بدٌّ مِن النَّاس   قطعتُ حَبْلَ الناسِ باليأسِ
العِزُّ في العُزْلَةِ لكنه   لا بُدَّ للنَّاسِ من الناسِ

قال بعضهم:

لا يَنْعَمُ المرءُ بمحبوبِه   حتىٰ يرىٰ الحِكْمَةَ فيما قَضَىٰ

شعر:

دواءُ قلبِك خَمْسٌ عِنْدَ قَسْوَتِهِ   فَدُمْ عَلَيْها تَفُزْ بالْخَيرِ وَالظَفَرِ
خَلاءُ بطنٍ وَقرآنٌ تَدبُّرُهُ   كذا تَضَرُّعُ باكٍ سَاعةَ السَّحَرِ
كذا قيامُك جُنْحَ الليلِ أوْسَطُهُ   وَأنْ تُجالِسَ أهْلَ الْخَيْرِ وَالْخُبَرِ

كتب رجل إلى صالح بن عبدالقدوس:

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخِلُه
يا لَيْتَ شِعْرِيَ بعدَ البابِ ما الدارُ؟

فأجابه بقوله:

الدارُ جنةُ عدنٍ إن عمِلْتَ بما
يُرْضِي الإلَه وإنْ فرطْتَ فالنَّار
هما مَحلَّانِ ما للمرءِ غيْرُهما
فانظرْ لنفسِك ماذا أنتَ مُختار؟[1]

---

(1) أدب الدنيا والدين: ص [١٣١].

القلب القاسي:

ولـيس يـزجـرُكُـم مـا تُـوعَـظُونَ بـه
والبَـهـمُ يَـزجُـرُهـا الـراعي فَـتـنْـزَجـرُ

أبَـعْـدَ آدمَ تَـرْجـونَ الـخُـلودَ وهـلْ
تَـبقى فـروع إذا مـا الأصـل يَنْـعَـقِـرُ

لا يـنـفـعُ الـذِّكـرُ قـلبـاً قـاسِيـاً أبـداً
والـحَبْـلُ فـي الحَـجَـرِ القَـاسِي لـهُ أثـرُ

أصـول الديـن:

عُـمـدةُ الـدِّيـنِ عـنـدنـا كَـلِمَـاتٌ
مُـسْـنَـدَاتٌ مِـنْ قَـوْلِ خَـيْـرِ الـبـريَّـة

اتَّـقِ الـشُّـبُـهـاتِ وازْهَـدْ ودعْ مـا
لـيس يَـعْـنِـيـكَ واعْـمَـلَنَّ بِـنـيَّـة

آداب الزيـارة:

عـليـكَ بـإغـبـابِ الـزِّيـارةِ إنـهـا
إذا كَـثُـرَت كـانت إلىٰ الهـجـر مَسْـلَكـا

وإنِّـي رأيْـتُ الـغـيْـثَ يُـسْـأمُ دَائـمـاً
ويُـسْـأَلُ بـالأيْـدِي إذَا هُـوَ أمْـسَـكَـا

لأبـي نُـواس:

ألَا يـا ابـنَ الـذيـن فَـنَـوْا ومـاتُـوا
ألَا والـلَّهِ مـا مـاتُـوا لِـتَـبْـقَـىٰ!!

وقال بعضهم:

يَتَمَنَّى المرءُ في الصَّيفِ الشِّتا   فإذا جاءَ الشِّتاءُ أنكرَه
فهو لا يرضَى بحالٍ واحدٍ   قُتِلَ الإنسانُ ما أكْفَرَه

وقال بعضهم:

والمرءُ يُرْزَقُ لا من حَيْثُ يَحْتَسِبُ
ويُصْرَفُ الرِّزْقُ عن ذِي الحِيلةِ الدَّاهي

التنفير من شرب الدخان:

في الناس قومٌ سِخافٌ لا عُقولَ لَهُمْ
قد أبْدَلُوا عِوَضَ التسبيحِ دُخَّانا
أنبوبةٌ في فمٍ والنَّارُ داخِلُها
تَجرُّ للقلبِ دُخَاناً ونيرانا
لو كان ذلك ذِكْرَ اللّهِ ما قَرُبَتْ
إليهمُ النارُ إجلالاً لمولانا
حَرٌّ ونارٌ وتَصْفِيرٌ لشارِبِهِم
لكِنْ مِنْ جَهْلِهم قد كانَ ما كَانَ!

أنا أغنى الناس:

عن إبراهيم بن مسعود قال: كان رجُل من كِبار المدينة يختلف إلى جعفر بن محمد وهو حسن الحال، فتغيرَتْ حالُه فجعل يَشْكو إلى جعفرٍ! فقال جعفرُ:

فلا تَجْزَعْ وإن أعْسَرتَ يوماً   فقد أيْسَرْتَ فِي الزَّمَنِ الطَّويلِ

ولا تَيْأَسْ فإنَّ الْيَأْسَ كُفْرٌ لعلَّ اللَّه يُغْني عن قَليلِ
ولا تَظُنَّنَّ بربكَ ظَنَّ سَوْءٍ فإنَّ اللَّهَ أوْلَىٰ بالجميلِ

قال الرجُل: فخرجت من عِند جعفر وأنا أغْنَىٰ الناسِ.

للإمام عبدالله بن المبارك:

يا طالِبَ العِلْمِ بادِرِ الْورَعا وهاجرِ النَّومَ واهْجُرِ الشِّبَعَا
يا أيُّها الناسُ أنتُمُ عُشُبٌ يَحصدُه الموْتُ كُلَّما طَلَعَا

اقتباس:

لا تعجلَنَّ فليْسَ الرزقُ بالْعَجَلِ الرِّزقُ في اللَّوْح مكتوبٌ معَ الأَجَلِ
فلو صَبَرنا لكانَ الرزقُ يَطلبُنا لكِنَّه خُلِقَ الإنسانُ مِنْ عَجَلِ

وقال بعضهم:

لا تحمِلَنَّ مِنَ الأنا م عَليكَ إحساناً ومنَّة
واخْتَرْ لنفسِك حَظَّها واصْبِرْ فإنَّ الصَّبْرَ جُنَّة
مِنَنُ الرِّجالِ على القُلوبِ أشدُّ مِنْ وَقْعِ الأسِنَّة

مَنِ الغَنِيُّ يا تُرَىٰ؟:

إضْرَعْ إلىٰ اللَّهِ لا تَضْرَع إلىٰ الناسِ واقْنَعْ بعزٍّ فإنَّ العِزَّ في الْيَاس
واستَغْنِ عن كلِّ ذِي قُرْبىٰ وذِي رَحِم إنَّ الغَنِيَّ مَنِ استَغْنَىٰ عَنِ النَّاس

وقال بعضهم:

لا تَقْصِدِ المَخْلُوقَ رَبُّكَ أقْرَبُ مَنْ يَقصدِ المَخْلُوقَ حَقًّا يَتعبُ
لاتَسألَنَّ بُنَيَّ آدمَ حاجةً وسَلِ الذي أبْوابُه لا تُحجَبُ
اللَّهُ يَغْضبُ إنْ تركْتَ سُؤالَه وبُنَيُّ آدمَ حِينَ يُسْأل يَغْضَبُ

سراقة المؤمنُ؛ وأبو جهل الكافرُ:

أبو جَهْل يُحَذِّر قومَ سُرَاقة من سُرَاقة:

بني مُدْلِجٍ إنِّي أخَافُ سَفِيهَكُم سُرَاقَةَ مُسْتَغْوٍ لنصرِ مُحَمَّدِ
عليكُم بِه ألَّا يُفَرِّقَ جَمْعَكُم فيُصْبِحَ شَتَّى بَعدَ عِزٍّ وسُؤْدَدِ

سراقة يرد على أبي جهل:

أبا حَكَمٍ واللَّهِ لو كُنْتَ شاهِداً لأمرِ جَوادي إذ تَسوخُ قوائِمُه
عَجِبْتَ ولم تَشكُكْ بأن مُحَمداً رَسولٌ وبُرْهانٌ فَمَنْ ذَا يُقاوِمُه
عليكَ فكُفَّ القَوْمَ عَنْهُ فإنَّني إخالُ له يَوْماً سَتَبْدُو مَعَالِمُه

قصة سراقة:

بعد أن خرج رسولُ الله ﷺ من مكةَ مهاجراً إلى المدينة، جَعلَتْ قريشُ فيه مائةَ ناقةٍ لمَنْ ردَّه عليهم!.

فقام سراقة إلى فَرَسِهِ، وأمر بِسلاحِه فأُخرج له!.

ثم انطلق فلبسَ دِرْعَه، وحملَ سِلاحه وهو يرجُو أن يردَّه على قريش فيأخذَ المائة ناقة!.

فركب على إثر النبي ﷺ، فلما بدا له النبي وصاحبُه، فالتفت أبو بكر فرأى سراقةَ، فقال: «يا رسولَ الله لقد أُتينا!».

فبسط يديه عليه الصلاة والسلام، ودعا الله تعالىٰ، فعثَر فرسُ سُراقةَ به؛ فذهبت يداه في الأرض! وسقط عنه، ثم انتزع يديه من الأرض.

فعرف سراقةُ أنه قد مُنع، وأنه عليه الصلاة والسلام سيظهر على قومه، ويكون له شأن عظيم في المستقبل، وقصتُه مفصَّلة في كُتب السِّيرة.

المـوت:

تَـذَكَّـرْ فـي مَشِـيبِـكَ والمـآبِ
وَدَفْنِـكَ بَعْـدَ عِـزِّكَ في التُّـرَابِ
إذا وافَـيْـتَ قَـبْـراً أنْـتَ فـيـه
تُـقِيـمُ بـه إلىٰ يـومِ الحِسـابِ
وفي أوْصَـالِ جِسْمِكَ حِينَ تَبْقَىٰ
مُـقَـطَّعَـةً مُـمَـزقَـةَ الإهَـابِ
فلولا القبـرُ صـارَ عليـكَ سِتْـراً
لَـنَـتَّـنْـتَ الأبَـاطِـحَ والـرَوابِـي
خُلِقْتَ مِنَ التُـرابِ فَصِرْتَ حَيًّـا
وعُلِّمْتَ الفَصِيـحَ مِنَ الْخِـطَابِ
وعُـدْتَ إلىٰ الترابِ فَصِـرْتَ فيه
كـأنَّـكَ مـا خَـرجْتَ مِنَ التـرابِ
فـطَلِّقْ هـذه الـدنـيـا ثَـلاثـاً
وبَـادِرْ قَبْـلَ مَـوتِـكَ بـالْمَتَـابِ
نَصَحْتُـكَ فاسْتَمِـعْ قَـوْلي ونُصْحِي
فَـمِـثْـلُكَ لا يُـدَلُّ عـلىٰ صَـوابِ
خُـلِقْنَا لِلمَمَـاتِ ولَـوْ تُـرِكْنـا
لَضَـاقَ بنَـا الفَسِيـحُ مِنَ الرِّحَـابِ
يُنَـادَىٰ في صَبيحَـةِ كُـلِّ يـومٍ
لِـدُوا لِلدُّودِ وابْـنُـوا لـلخَـرابِ

شـروطُ شـراءِ الـدار:

اشْتَرىٰ شُرَيْحٌ داراً، وأشهد شُهـوداً، وكَتب كِتاباً، فبلَغ ذلك سَيِّدُنا عليّ بن أبي طالب كرم الله وَجْهه فقال له: يا شُرَيْحُ اشْتَرَيْتَ داراً؟

ـ نَعَمْ.

ـ وأشْهدْتَ شُهُوداً؟.

ـ نَعم.

ـ احْذَرْ أن تكـونَ اشتَريتَ من غير مالكٍ! ووزنْتَ مالاً من غير حِلٍّ، وسوفَ يأتيك مَنْ لا ينظر في بيِّنَتِك، ولا يسأَلُكَ عن كِتابك، ويُزْعجك عنها، فتكونُ قد خَسِرْتَ الدَّارين: الدنيا والآخرة.

ولو أنك حينَ أردتَ شراءَ الدار، أو أراد أَحَدٌ شراءَ دارٍ جاءَني، لكُنت أَكتُبُ له كِتاباً أُزَهِّدُ فيه البائع المغرور، والمشتري.

ـ قالت: وما كُنْت تَكْتُبُ؟ قال: كُنْتُ أَكتُب:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما اشْتَرى عبدُ ذليلٌ من مَيِّتٍ قد أُزعج بالرَّحِيل، اشْتَرىٰ منه داراً من دُور الآفات، من الجانب الفاني من عسكر الهالكين، ومَجْمَعِ الغافلين! يجمع هذه الدارَ حدودٌ أربعة:

١ ـ **فالحدُّ الأَول**: ينتهي إلى الآفاتِ.
٢ ـ **والحدُّ الثاني**: ينتهي إلى عِظَم الْمُصِيباتِ.
٣ ـ **والحدُّ الثالث**: ينتهي إلى الغفلاتِ.
٤ ـ **والحدُّ الرابع**: ينتهي إلى الشيطان المُغْـوي، والهوىٰ المُـردِي، وإليه يُشرع بابُ هذه الدار، التي اشتراها هـذا المزعَـجُ بالأَجـل، من هذا المغرور بالأمل، فما أدرك مُشْتَري هذه الدار، فعلى مبلبل الأجسام[1]، وقاصِم الجبابرة، مثل كسرىٰ، وقيصر، وسابور الأكبر، وتُبَّع، وحِمْيَرَ؛ ما أَوْضَحَ الحقَّ لذي عينين، إن الرَّحِيلَ حَق أَحَدِ اليومين! . اهـ.

اشترىٰ ميتٌ من ميت!:

حُكي أن بعضَ أهلِ الكُوفة اشْتَرىٰ داراً، وقَدَّم لأمير المؤمنين قِرْطاساً يكتب له بذلك كِتاباً؛ فكَتب له بعدَ التَّسْمِيةِ:

هذا ما اشْتَرىٰ مَيِّتٌ من مَيّت؛ دارٌ في بلد المذنبين، وسكةِ الغافلين. ثم أشار لمخطط الدار قائلاً:

١ ـ **الحدُّ الأَول**: ينتهي إلى الموت.

---

(١) مبلبل الأجسام: أي محركها ومهيجها.

٢ ـ **الحدُّ الثاني**: ينتهي إلى القبر.

٣ ـ **الحدُّ الثالث**: ينتهي إلى الحساب.

٤ ـ **الحدُّ** الرابع: ينتهي إمّا إلىٰ الجنَّةِ، وإمّا إلىٰ النَّار، وأنْشَدَ قائلاً:

النفسُ تَبْكِي على الدنيا وقد عَلِمَتْ
أنَّ السَّلامةَ فيها تَرْكُ ما فيها

لا دَارَ لِلمرءِ بعدَ الموتِ يَسْكُنُها
إلَّا التي كانَ قبلَ الموتِ يَبْنِيها

فإنْ بَناهَا بخيرٍ طابَ مَسْكَنُه
وإنْ بَناها بشَرٍّ خابَ بانِيها

أيْنَ الملُوكُ التي كانت مُسَلْطِنَةً
حتىٰ سَقَاها بكأسِ الموْتِ ساقِيها

أموالُنا لِذوي الميراثِ نَجمعُها
ودُورُنَا لخراب الدهْرِ نَبْنِيها

كمْ من مَدائنَ في الآفاق قد بُنِيَتْ
أمْسَتْ خرَاباً وأفْنَىٰ الموتُ أهْلِيها

لكُلِّ نفس وإن كانَتْ على وَجَلٍ
مِنَ المنِيَّةِ آمالٌ تُوَفِّيها

فالمرءُ يَبْسُطُها والدهْرُ يَقبضُها
والنفسُ تنشرُها والموتُ يَطْويها

حاضر... لكنه غائب:

تُصَلِّي بلا قَلْبٍ صلاةً بمثلِهَا ... يكون الفتَىٰ مُستَوْجِباً للعقوبةِ
تَظلُّ وقد أتمَمتَها غيرَ عالمٍ ... تَزيدُ احتياطاً ركعةً بعدَ ركعةِ
فويلَك تَدري مَنْ تُناجيه مُعرضاً ... وبينَ يَدَيْ مَنْ تَنْحَني غيرَ مُخْبتِ

تُخاطِبُه إيَّاك نَعْبُدُ مُقْبِلاً ... على غيره فيها لغير ضَرُورةِ
ولو رَدَّ مَن ناجاك للغير طَرْفَه ... تميزْتَ من غيظٍ عليه وغَيْرَةِ
أَمَا تَسْتَحِي من مالِك الملكِ أن يَرَىٰ ... صُدودَكَ عنه يا قليلَ المُروءَةِ
إلهي اهْدِنا فيمن هَدَيْتَ وخُذْ بِنَا ... إلى الحقِّ نَهْجاً في سواءِ الطَّرِيقة

وقال بعضهم:

فكَمْ من مُصَلٍّ مالَه مِنْ صَلاَتِه ... سِوَى رؤيةِ المِحْرابِ والخفْضِ والرفْع
تراهُ على سَطحِ الْحَصِيرة قائماً ... وهِمّتُه في السُّوقِ في الأَخْذ والدفْع

عظ نفسك؛ ثم عظ الناس:

روي عن جُنْدبِ بن عبدِالله الأزدي رضي الله عنه ـ صاحبِ النبي ﷺ ـ عن النبي قال:

«مَثَلُ الذي يُعلِّمُ الناسَ وينسىٰ نفسَهُ، كَمَثَلِ السراج، يُضيءُ للناس ويَحرِقُ نَفْسَهُ!»(١).

وقال أبو الأسود الدؤلي:

يا أيُّها الرجلُ المعلِّمُ غيرَهُ ... هلاَّ لنَفسِك كان ذا التعليمُ
إبدأْ بنفسِك فانهَهَا عن غَيِّها ... فإذا انتهتْ عنه فأَنتَ حكيمُ
فهُناكَ يُسْمَعُ ما تقول ويُشْتفىٰ ... بالقول منك ويَنفعُ التعليمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأْتيَ مثلَه ... عارٌ عليكَ إذا فعلتَ عظيمُ
تصفُ الدواءَ لذي السَّقام وذي الضَّنا ... كيما يَصِحّ به وأَنتَ سقيمُ

---

(١) رواه الطبراني في الكبير.

أبيات في التصوف:

قال ابنُ الحاج في «المدْخَل»:

لیسَ التَّصوُّفُ لُبْسَ الصوفِ ترقَعُه ... ولا بُكاؤكَ إنْ غَنَّى المُغَنُّونا
ولا صِياحٌ ولا رَقصٌ ولا طَرَبٌ ... ولا اختِباطٌ كأَنْ قد صِرْتَ مجنونا
بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفو بلا كَدرٍ ... وتَتبَعِ الحَقَّ والقُرآنَ والدِّينا
وأن تُرىٰ خاشِعاً لله مُكتَئِباً ... على ذُنوبِكَ طولَ الدَّهرِ مَحزونا

على هامش الهجرة، لأحد إخواننا الجن:

حُكيَ أن شاعراً جنياً سُمِعَ صَوْتُهُ، ولم يُرَ شَخْصُه، يَذكُر النبي ﷺ وصاحِبَه يومَ الهجرةِ فقال:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ الناسِ خَيْرَ جَزائه ... رَفِيقَيْن قَالا[1] خَيْمَتَي أُمِّ مَعْبَدِ
هُمَا نَزَلا بالبِرِّ ثُمَّ تَرَحَّلا ... فأَفْلَحَ مَنْ أمْسَىٰ رَفيقَ مُحَمَّدِ
فيا لَقُصَيٍّ ما زَوَىٰ الله عَنْكُمُ ... بِه من فِعالٍ لا تُجازَىٰ وسُؤْدَدِ

عمر وصاحب كسرىٰ، لحافظ إبراهيم:

ورَاعَ صاحِبَ كِسْرىٰ أن رَأىٰ عُمَراً ... بينَ الرَّعِيَّةِ عُطْلاً وهو رَاعِيها
وعَهْدُهُ بملُوكِ الفُرْسِ أن لَها ... سُوراً مِنَ الْجُنْدِ والأَحْرَاسِ يَحْمِيها

---

(١) قالا: مأخوذة من القيلولة، وهي النوم وقتَ الظهيرة.

رآهُ مُسْتَغْرِقاً في نَوْمِه فَرأَىٰ
فيه الجلالَةَ في أَسْمَىٰ مَعَانِيهَا
فوقَ الثَّرَىٰ تحت ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمِلاً
بِبُرْدَةٍ كادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا
فهَانَ في عَيْنِه ما كانَ يَكْبرُه
مِن الأكاسِر والدُّنْيَا بأَيْدِيهَا
فقال قَوْلَةَ حقٍّ أَصبحتْ مثلاً
وأَصبحَ الْجِيلُ بعدَ الْجِيل يَرْوِيهَا
أَمِنْتَ لما أَقمتَ العدلَ بَينَهمُ
فَنِمْتَ نَوْمَ قَريرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

ولـه أيضـاً:

وَمَوْقِفٍ لكَ بعدَ المصطفَىٰ افترقتْ
فيه الصَّحابةُ لما غابَ هادِيها
بايَعْتَ فيه أبا بكرٍ فبايعه
على الخِلاَفةِ قاصيها ودَانِيهَا
وأُطفِئتْ فِتْنَةٌ لَوْلاَكَ لاسْتَعَرَتْ
بينَ القبائِل وانسابَتْ أَفَاعِيهَا

المـال سلاح ولسان:

مَنْ كانَ يَمْلِكُ دِرْهَمَين تَعلَّمتْ
شفَتَاهُ أَنواعَ الكلامِ فقالا
وتقَدَّم الإخوانُ فاستَمَعُوا لَهُ
ورأَيتَه بينَ الْوَرَىٰ مُخْتَالا

لــوْلَا دَراهِــمُــه الــتـي يَــزْهُــو بــهَــا
لَــرَأيْــتَــهُ فــي الــنَّــاسِ أسْــوَأ حــالا
إنَّ الــغَــنــيَّ إذا تَــكــلم بــالْــخَــطَا
قــالــوا: صَــدَقْــتَ ومــا نَــطَقْتَ مُــحــالا
أمّــا الــفــقــيــرُ إذا تَــكــلَّم صَــادِقــاً
قــالــوا: كَــذَبْــتَ وأبْــطَلُوا مــا قَــالا
إنَّ الــدَّراهِــمَ فــي الــمــواطِــن كُــلِّهــا
تَــكْــسُــو الــرِّجَــالَ مَــهــابَــةً وجَــمَــالا
فــهِــيَ الــلِّــســان لِــمَــنْ أرَادَ فَــصــاحَــةً
وهــي الــسِّــلاح لــمــنْ أرادَ قِــتَــالا

سخـــاء وحلـــم:

حُكيَ أنَّ مَعْن بنَ زائدة، اتفق نَفَرٌ على إغضابه، وقالوا: من يُغْضِبُه فله مِائَةُ بَعيرٍ!.

وكان بينهم شاعِرٌ ووعَدَهم بذلك، فلما مَثُلَ بينَ يدي الأميرِ، لم يُحيِّه تحيةَ الملُوكِ! ونطق قائلًا:

أتَــذْكُــرُ إذْ لِحــافُــك جلْدُ شــاةٍ   وإذ نَــعْــلاكَ مــن جلْدِ الْبَعِيــرِ
فسُبحــانَ الــذي أعــطاكَ مُلْكــاً   وعَلَّمَــكَ الجلوسَ على الــسَّــريــرِ

- الأمير: أذكُره ولا أنساه؛ وهل أحد ينْسَىٰ قَديمَه !.

- الشاعر:

ســأرْحَــلُ عــن ديــارٍ أنْتَ فــيهــا   وإنْ جــارَ الــزمــانُ على الفقيــر

- الأميـر: إنْ جــاوَرْتَنــا فمرحباً بــالإقامــة، وإنْ فارقْتَنــا فصاحبتْــك السلامة!.

ـ الشاعر:

فَجُدْ لي يا ابْنَ ناقصةٍ بمالٍ   فإنِّي قد عَزَمْتُ على المسِيرِ

ـ الأمير: وهب لَه مع هذه الإهانة ثلاثةَ آلافِ دينار!.

ـ الشاعر:

قليلٌ ما أتيْتَ به وإنِّي   لأطْمَعُ منكَ في المالِ الكثيرِ

ـ الأمير: أعطاه مثلَ ما أعطاه!.

ـ الشاعر: لم يزل يطلبُ الزيادة، حتى تمت مِنحةُ الأميرِ عشرةُ آلافِ دينارٍ، ولم تظهر عليه بوادِرُ الغَضَب!.

ـ الشاعر: ينطلق لِسَانُه بالشكر والثناء على الأمير قائلاً:

سألْتُ اللّهَ أنْ يُبْقيكَ ذُخْراً   فَمَا لَكَ في الْبَرِيَّةِ من نَظِير

فمنكَ الْجُودُ والإفضالُ حَقًّا   وفضلُ يَدَيْكَ كالبحْرِ الغَزِير

ـ الأمير: أعطيناكَ عشرةَ آلافٍ على ذَمِّنا، فَلَنُعْطِيَنَّكَ عشرةَ آلافٍ على مَدْحِنا!.

هارون الرشيد ومتوكِلٌ على الله:

حُكِي أن هارُونَ الرشيدِ أراد أن يُعاقِبَ رجُلاً من أهل التوكُّلِ فلم يَقدر عليه! فأمر بسَجْنه! فقيل له: إنه خرج من السجن وهو في بستان. فأحْضَره وقال له: مَنْ أخْرَجَك مِنَ السجن؟.

ـ قال: الذي أدْخَلني؟.

ـ قال: مَنْ أدْخَلك؟.

ـ قال: الذي أخْرَجني؟ فأركَبه على فرسٍ، وأمر مُنادياً ينادِي عليه: هذا جزاءُ عبدٍ أراد هارونُ الرشيدِ إهانتَه فأعَزَّهُ الله؛ وأنشدَ قائلاً:

إذا أَكْـرَمَ الـرحمٰنُ عَبـداً بعـزِّه   فَلَنْ يَقْـدِرَ المخلوقُ يـومـاً يُهينُـه
ومَنْ كـانَ مـولاهُ العـزيزُ أَهـانَـه   فـلا أَحَـدٌ بـالعزِّ يـومـاً يُعِينُـه

وقـال بعضهـم:

تَوَكَّلْ على الرحمٰن في الأَمْرِ كُلِّـه   فمـا خـابَ حَقًّا مَنْ عليـه تَـوَكَّـلا
وكُنْ وَاثِقـاً بـالله وارْضَ بحُكْمِـه   تَنـلْ مثلَ مـا تـرجُـوه منـه تَفَضُّـلا

أثر الصاحب وموقعه، قال ابن عطاء الله:

ربما كُنْتَ مُسِيئاً فأَراكَ الإِحسانَ منك صُحْبَتُك مَنْ هو أَسْوَأُ حالاً منك؛ لا تَصْحَـب إلاَّ مَنْ يُنْهِضُكَ حالُه، أَو يَدلُّكَ على الله مَقالُه.

وقـال بعضهـم:

عَـاشِر حِمَاراً لا تُعَـاشِرْ جَـاهِـلاً   شَـرَّانِ خَيْرُ الشَّـرِّ شَـرٌّ سَـاكِتُ
إنَّ الْجَهُـولَ حِمَـارُ عَقْـلٍ نَـاطِقٍ   يعيي الْـوَرَىٰ أَمَّا الْحِمَـارُ فَصَامِتُ

طين. . لكنه على الرؤوس!:

وقال الأستاذ الأديب الشيخ بشير الغزي الحلبي:

رَأَيْتُ الـطِّينَ في الحَمَّام يَـوْمـاً   بـكَـفِ الْحِـبِّ أَثَّـرَ ثُـمَّ نَـسَّـمْ
فـقلتُ لـه: أَمِسْـكٌ أَمْ عَبِيـرٌ   لقـد صَيَّـرْتَني بـالْحُبِّ مُغْـرَمْ
أَجـابَ الـطِّينُ أَنِّي كُنْتُ تُـرْبـاً   صَحِبْتُ الـوَرْدَ صَيَّـرَني مُكـرم
أَلِـفْـتُ أَكَـابِـراً وازْدَدْتُ عِـلْمـاً   كـذا مَنْ عـاشَرَ العلمـا تَكَـرَّمْ

هذه الأبيات فارسِيَة الأصل، عَرَّبها الشيخ رحمه الله.

من حكم ابن عطاء الله الإسكندري رضي الله تعالى عنه:

.. فإن قيل: كيف الصُحْبَةُ معَ اللَّهِ؟.

قال: فاعْلَم أن كل شيءٍ على حسبه:

١ ـ صُحبةُ اللَّهِ بامتثالِ أوامِره، واجتنابِ نواهِيه.

٢ ـ وصُحبةُ الكتابِ والسُّنة، أن يُعمل بهما.

٣ ـ وصُحبةُ الملكَين، أن يُمْلِيَهما الحسَناتِ.

٤ ـ وصُحبةُ السماءِ بالتفكير فيها.

معاويـــة وميســـون:

حُكيَ أن سيدنا معاويةَ تزوج امرأةً من البادِية، اسمُها ميسون، فنقلها إلى قصر الخِلافة في الشام، فكانت تُكْثِر الْحَنينَ إلى وَطَنها، ومَسْقَطِ رأْسِها! فَسَمِعَها يوماً تُنْشِدُ هذه الأَبيات:

لَبَيْتٌ تَخْفِقُ الأَرواحُ[1] فيه ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ قَصْرٍ مُنِيفِ[2]
ولُبْسُ عَباءَةٍ[3] وتَقَرَّ عَيْني ... أَحَبُّ إليَّ من لُبسِ الشُّفوفِ[4]
وأَكْلُ كُسَيْرَةٍ في كِسْرِ[5] بيتي ... أَحَبُّ إليَّ مِنْ أَكْلِ الرَّغِيفِ
وأَصْوَاتُ الرِّياح بكلِّ فَجٍّ[6] ... أَحَبُّ إليَّ من نَقْرِ الدُّفُوفِ[7]

---

(١) الأرواح: بالواو جمع ريح.
(٢) المنيف: العالي.
(٣) العباءة: نوع معروف من الأكسية.
(٤) الشفوف: جمع شف، وهو الثوب الرقيق.
(٥) كسر البيت: شقة الخباء التي تلي الأرض من حيث يكسر جانباه.
(٦) الفج: الطريق الواسع.
(٧) الدفوف: جمع دف بضم، وهو الآلة التي يضرب عليها وقت الفرح.

وكــلْبٌ يَـنْـبَـحُ الـطُّراقَ دُونــي أَحَــبُّ إلــيَّ مِــنْ قِطٍّ أَلُــوفِ
وخِــرْقٌ[1] مِنْ بني عَمِّي نَحِيفٌ[2] أَحَبُّ إليَّ مِنْ عِجْــلٍ[3] عَـلِيفِ[4]

فَطَلَّقَها وردها إلى أهلها ولم يؤاخذها! حلمـاً منه وكـرماً؛ لأنـه كان مشهـوراً بالحلم وسَعَة الصَّدرِ، وتحمُّلِ الأذَىٰ!.

مـن الأدب العربـي:

حُكيَ أنَّ الحجاج أصدر مَرْسُوماً بأنَّ الخروج بعد العِشاءِ ممنوع، وأن من خَرج يُقْتَل! فبينما الجُنْدُ يتجوَّلون إذْ رأوا ثـلاثة أولادٍ، فقبضـوا عليهم وجاءُوا بهم إلى قسم التحقيق، وسألوهم مَنْ هم؟.

فأجـاب الأول:

أنــا ابْنُ الــذي لم تَـنْـزِلِ الـدهْـرَ قِـدْرُه
وإن نَـزَلَـتْ يـومـاً فـسـوفَ تَـعُـودُ
تَـرىٰ الـنـاسَ أفـواجـاً إلى ضَـوءِ نـارِه
فـمـنـهـم قـيـامٌ حَـوْلَـه وقُـعـودُ

وأجـاب الثانـي:

أنــا ابْنُ الــذي خـاضَ الصُّفـوفَ بِعَـزْمِـه
وقَـوَّمَـهـا بـالسَّـيف حتىٰ استقـامَـتِ
رِكـابـاه لا تَـنْـفَـكُّ رِجْـلاه مـنـهـمـا
إذا الـخـيـلُ فـي يـومِ الكَـرِيـهـةِ وَلَّـتِ

(١) الخرق: السخي.
(٢) النحيف: الهزيل.
(٣) العجل: ولد البقر.
(٤) العليف: الذي يعلف ولا يُرسل للرعي.

وأجاب الثالث:

أنا ابْنُ الذي دانتْ الرِّقابُ له
ما بينَ مَخْزُومِها وهاشِمِها
تأتي إليه الرِّقابُ صاغِرةً
يأْخُذُ من مالها ومن دَمِها

فلما رُفِع أمرهُم للحجاج، وسمع شِعْرَهم، تبيَّنَ أن الأَولَ أبوه: فوَّال!
والثاني: حائِك! والثالث: حلَّاق! فعند ذلك قال الحجاج:

علموا أولادكم الأدب، فوالله لولا الأدبُ لضُرِبَتْ أعناقُهم، ونطق قائلاً:

كُنِ ابْنَ مَنْ شئتَ واكْتَسِبْ أدَباً
يُغْنِيكَ مَحْمودُه عن النَّسبِ
إنَّ الفتَى مَنْ يَقُول ها أنا ذا
ليس الفَتَى مَنْ يقُولُ كانَ أبي

شعر:

تَعَلَّمْ فَليسَ المرءُ يُولَدُ عَالِماً ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هو جَاهِلُ
وإن كبيرَ القومِ لا عِلْمَ عِنْدَه ... صَغِيرٌ إذا التفَّتْ عليه المَحافلُ

شعر:

إنَّ الْمَكارِمَ أَبْوابٌ مُصَنَّفةٌ ... فَالعَقْلُ أَوَلُها وَالصَّمتُ ثانِيها
والعلمُ ثالثُها وَالْحِلْمُ رَابِعُها ... وَالجُودُ خامِسُها وَالصِدْقُ سَادِسُها
والصبرُ سَابعُها وَالشكرُ ثامِنُها ... وَاللينُ تاسِعُها وَالبِرُّ عَاشِرُها

آخر:

وَأَظْلَمُ أَهْلِ الأَرْضِ مَنْ كَانَ حَاسِداً ... لِمَنْ بَاتَ في نَعْمائه يَتَقَلَّبُ

حذيفــة وإبراهيــم:

حُكيَ أنه قيل لحذيفةَ المرعشي ـ وقد كـان خدم إبـراهيمَ بنَ أدْهَمَ وصحبه: ما أعجَبُ ما رأيتَ منه؟.

قال حذيفةُ: بقينا في طريق مكةَ ـ حرسها الله تعـالىٰ ـ أيامـاً لم نَجِدْ طعاماً، ثم دَخَلْنَا الكُوفةَ فأَوَيْنَا إلى مَسجدٍ خرابٍ...

فنظر إليَّ إبراهيمُ بنُ أدْهَمَ وقال:

يا حُذيفةُ! أرَىٰ بك الْجُوعَ؟ فقلتُ: هو ما رَأَىٰ الشَّيخُ، فقال إبراهيم: عليَّ بِدَوَاةٍ وقرطاسٍ! فجئتُ بهما فكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم

أنت المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى، ثم قال:

أنـا حـامِدٌ، أنـا شـاكِـرٌ أنـا ذاكِـرٌ ... أنـا جـائِـعٌ أنا ضـائِـعٌ أنـا عـارِي
هي ستــةٌ وأنــا الضَّمِينُ لنصفهــا ... فَكُنِ الضَّمينَ لنصفهــا يـا بــارِي
مَـدْحِي لغيـرك لَهَبُ نــارٍ خُضْتُهـا ... فــأَجِـر عُبَيْــدَك من دُخُـول النــار
والنـارُ عِندي كـالسُّؤال فهـل تَـرىٰ ... أن لا تُـكَـلِفَـنِي دخُــولَ الـنــار

ثم دفعَ إليَّ الرقعةَ فقال: أُخرجْ ولا تُعلِّقْ قلبَك بغير الله!، وادفع الرقعةَ إلى أول من تَلْقاه!.

قال: فخرجت فأول مَنْ لَقيتُ رجُل راكِبٌ على بَغْلةٍ، فدفَعتُها إليه، فأخذها وبَكَىٰ!.

وقال: ما فَعل صاحبُ هذه الرقعةِ؟.

فقلتُ: هو في المسجد الفُلاني، فدفعَ إليَّ صُرَّة فيها سُتمائةِ دينارٍ. ثم لقيتُ رجُلاً فقلتُ له: مَنْ صاحبُ هذه البغلةِ؟.

فقال: نصراني! فجئتُ إبراهيمَ وأخْبرتُه، فقال:

لا تَمسَّها! فإنه يَجيءُ الآنَ، فلما كان بعدَ ساعةٍ جاءَ وأكبَّ على رأسِ إبراهيمَ وأسْلَم.

إحْذَرْ صَغائرَ الذنوبِ!:

وقــال بعضهــم:

لا تحقِــرَنَّ ضَعِيفــاً عنــدَ رُؤْيتِــه ... إن الْبَعُــوضَــةَ تُــدْمِي مُقلةَ الأَسَـدِ
وللشَــرارةِ حَقْــرٌ حِينَ تنــظرُهــا ... وربَمــا أُضْــرِمَتْ نــاراً عَـلىٰ بَلَدِ

وقــال بعضهــم:

خــلِّ الــذنُــوبَ صَغِيــرَهْــا ... وكَــبيــرَهْــا ذَاكَ الــتُّـقَــىٰ
واصنــعْ كمــاشٍ فــوقَ أرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحذَر مـا يَرَىٰ
لا تَــحْــقِــرَنَّ صَــغــيــرةً ... إن الـجبــالَ مِـنَ الحـصَـىٰ

وقــال بعضهــم:

كـلُّ المصائِب مَبدَاهْـا من النـظر ... ومُعْـظَمُ النَّارِ من مُسْتَصْغَرِ الشَّـرَرِ
والمــرءُ مــا دام ذَا عَيْـنٍ يُقَـلِّبهْــا ... في أَعْينِ الغِيدِ موقوفٌ على الخطَرِ
كَمْ نظرةٍ فَعلَتْ في قلبِ صَاحِبهـا ... فِعْـلَ السِّهَـام بـلا قَـوْسٍ ولا وتـرِ
يَســرُّ مُقـلَتَــه مــا ضَــرَّ مُهـجَتَــه ... لا مَـرْحَبـاً بسُرور جـاءَ بـالضَّـرَرِ

آثــار المعاصــي:

وللمعاصي آثار سيئة! قبيحة مذمومة، مضرةٌ بالقلب والبدن، في الدنيا والآخرة:

١ ـ ومنها: حِرمانُ العلمِ! لأن العلم نورٌ يَقذفه اللَّهُ في القلب، والمعصيةُ تُطفِىء ذلك النورَ.

٢ ـ ومنها: وحشةٌ يَجدها العاصي بينه وبين اللَّهِ، لا يوازيها ولا يُقاربها وحشةٌ البتة!.

٣ ـ ومنها: تعسرُ أمره عليه، فلا يتوجه لأمرٍ إلّا ويجدُه مُغلقاً دونَه.

٤ ـ ومنها: ظُلْمةٌ يَجِدها في قلبه، يُحس بها كما يُحس في الليل البهيم، وكلما قويتِ الظلمةُ ازدادت حَيرتُه، وظهرتْ الظلمةُ على وجهه، بحيث لا تخفىٰ على أحد من أهل البصائر.

٥ ـ ومنها: تُوهِنُ البدنَ والْقلبَ وتُضعفهما.

٦ ـ ومنها: حِرمان الطاعة، ومَحْقُ بركةِ العُمُرِ.

٧ ـ ومنها: أن المعصية تورث الذلة، وتفسد العقل فإنه نور، والمعصية تطفئه.

٨ ـ ومنها: أن المعصية تُزيل النِعَم، وتجلب الفقرَ، فما زالت من العبد نعمة إلّا بذنب ارتكبه، ولا حَلتْ بـه نقمةٌ إلّا بـذنب فعله، قال الله تعالى:

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[1].

قال ابنُ عطاءِ الله:

من أنفق عافيتَه وصحتَه في معصيةِ الله تعالىٰ، فمثالُه كَمَنْ خلَّفَ له أبوه ألفَ دينارٍ، فاشترىٰ بها حياتٍ وعقاربَ، وجعلها مِنْ حوله: تلدغه هذه مرة! وتلسعه هذه أخرىٰ! أفما تقتله؟.

(١) الشورى: ٣٠.

وقــال أيضــاً:

«إياك والمعصيةَ! فقد تكون سبباً لتوقف الرزق».

روي عن سهل بنِ سعدٍ رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«إياكم ومحقَّراتِ الذنوبِ! فإنما مثَلُ محقَّراتِ الذنوبِ، كمثَلِ قومٍ نزلوا بطنَ وادٍ، فجاءَ ذا بعودٍ، وجاءَ ذا بعودٍ، حتىٰ حمَلُوا ما أَنضجوا به خبزَهم، وإن محقَّراتِ الذنوبِ متىٰ يُؤْخذُ بها صاحبُها تُهْلِكْه»[1].

لعبدِ اللّهِ باشا فكري:

إذا نــامَ غِــرٌّ فـي دُجـىٰ الليـلِ فـاسْهَـرِ
وقُـمْ لـلمعـالـي والـعَـوالِـي وشَـمِّـرِ
وسـارِعْ إلـىٰ مـا رُمْـتَ مـا دُمْـتَ قـادِراً
عـليـهِ وإنْ لم تُبْـصِـرِ النُجـحَ فـاصْبِـرِ
وأكـثِـرْ مـن الـشُّـورَىٰ فـإنَّـك إن تُـصِـبْ
تَـجِـدْ مَـادِحـاً أو تُخْـطِـيءِ الـرأيَ تُـعـذَرِ
وعَـوِّدْ مَـقـالَ الصـدقِ نـفـسَـك وارْضَـهُ
تُـصَـدَّقْ ولا تَـركَـن إلـىٰ قـولِ مُـفْـتَـرِ
ولا تَـقْـفُ زَلَّاتِ الْـعِـبَـادِ تَـعُـدُّهـا
فَـلـستَ عـلىٰ هـذا الـورىٰ بِمُـسَـيْـطِرِ

الفــرح بالنبــي ﷺ:

رؤي أبو لهب بعدَ مَوْته في النَّوْم[2]، فقيل له: ما حالُكَ؟.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده».

(٢) قال الحافظ ابن كثير في تاريخه «البداية والنهاية»: (٢/٢٧٣): ذكر السهيلي وغيرُه: أن الرائي له هو أخوه العباس، وكان ذلك بعد سنة من وفاة أبي لهب، بعد وقعة =

قال: في النار، إلاَّ أنه خُفف عَنِّي كلَّ ليلةِ اثنين، فأَمَصُّ من بين أُصبعيَّ هاتينِ ماءً بقدر هذا، وأشار برأْس أُصبعه، وإن ذلك بإعتاقي «ثُوَيْبَةَ» عندما بَشَّرَتْني بولادة محمدٍ ﷺ وبإرضاعها له.

فإذا كان أبو لهب الكافر، الذي نَزلَ القرآن بذمه، جُوزِيَ في النار بفَرحه ليلةَ مولده به! فما حال المسْلم الموحِّد في أُمَّة النبي ﷺ؟!.

و لله در القائـــل:

إذا كـانَ هـذا كـافـراً جـاءَ ذَمُّـه ... وتَبَّتْ يَـدَاهُ في الجـحيـم مُخَـلَّدَا
أَتى أنــه في يــوم الاثنين دائمـاً ... يُخفَّف عنـه لـلسـرور بـأَحْمَـدَا
فما الظَّنُّ بالْعَبدِ الـذي كان عُمـرُه ... بـأَحمـدَ مَسْرُوراً ومـاتَ مُـوَحِّدَا

فــي الصبــر:

اصْبِــرْ لكـلِّ مُـصِيبــةٍ وتـجَـلَّدِ ... واعْـلَم بــأَنَّ المَـرءَ غيــرُ مُخَلَّدِ
واصْبِـرْ كمـا صَبـرَ الكِـرامُ فـإنهـا ... نـوبٌ تنوب اليـومَ تُكْشَفُ في غَـدِ
وإذا أَتَتْــكَ مُصيبـةٌ تُشْجَى[1] بهــا ... فـاذكُـر مُصَـابَـك بـالنبيِّ محمـدِ

وقـــال آخــر:

تـذكَّـرتُ لمَّـا فَـرَّقَ الـدهـرُ بينَنـا ... فعــزَّيتُ نَفْسِي بــالنبيِّ محمــدِ
وقُلْتُ لهـا إنَّ المَنــايــا سَبِيلُنَـا ... فَمَنْ لم يمتْ في يومِهِ ماتَ في غَدِ

= بدر، وفيه أنه قال للعباس: إنه ليخفف عليَّ في مثل يومِ الاثنين. قالوا: لأنه لما بشرته «ثُوَيْبَةُ» بميلاد ابنِ أخيه محمد بنِ عبدالله ﷺ أعتقها من ساعته، فجوزي بذلك لذلك.

(١) تشجى بها: تحزنك وتهمك.

وقــال آخــر:

عليكَ إذا ضاقَتْ أُمورُك والْتوتْ — بصبرٍ فإنَّ الضيقَ مِفْتَاحُـهُ الصَّبْرُ
ولا تَـشْكُـوَن إلَّا إلىٰ الله وحـدَه — فَمِنْ عِنْدِهِ تـأْتي الفـوائدُ والبِشْـرُ
عَسَىٰ فَـرَجٌ يـأْتي بـهِ اللَّهُ إنـه — لـه كـلَّ يـوم في خَلِيقَتـه أَمْـرُ
إذا لَاحَ عُسْرٌ فـارجُ يُسْـراً فـإنـه — قضَىٰ اللَّهُ أَنَّ الْعُسْـرَ يَعقبـه يُسْـرُ

الإنسان مِرآة أخيه:

قَـنَعْـتُ بـالقُـوتِ فـي زَمـانـي — لـصَـوْنِ عِـرْضـي مِـنَ الْـهَـوَانِ
فَـمَـنْ رآنـي بِـعَـيـنِ عِـزٍّ — رأيـتُـه كـامِـلَ الـمَـعَـانِـي
ومَـنْ رآنـي بِـعـيـنِ ذُلٍّ — رأيـتُـه مِـثْـلَ مـا رآنِـي
مَنْ كُنْتُ عن بـابـه غَـنِـيًّـا — فـلا أُبـالـي إذا جَـفَـانِـي

في الحـج المبـرور:

إذ حَجَجْتَ بمـالٍ أَصْلُه سُحْتُ[1] — فمـا حَجَجْتَ ولكنْ حَجَّتِ الْعِيـرُ
لا يَقبـلُ اللَّهُ إلَّا كـلَّ خـالِصَـةٍ — مـا كلُّ مَنْ حَـجَ بَيْتَ اللَّهِ مَبـرورُ

ابتداء الإنسان وانتهاءه:

وكُنْتُ أَمْشِي على رِجْلَيْن مُعْتَـدلاً — فَصِرْتُ أَمْشِي على أُخرىٰ مِنَ الشَّجَرِ

وقــال بعضهـم:

لَعَمْرُكَ مـا الإنســانُ إلَّا ابنَ دِينـهِ — فلا تتركِ التقْوَىٰ اتِّكالاً على النَّسَبْ
فَقَـد رَفَعَ الإسـلامُ سَلْمانَ فـارسٍ — وقد وَضَعَ الشِّرْكُ الحسيبَ أبا لَهَبْ

(١) السحت: الحرام.

رِثاء رقيق لبعض شعراء البصرة:

إنَّ عَبدَ الحميدِ يَوْمَ تُوفي ... هَزَّ رُكْناً ما كان بالمهزوز
ما دَرَىٰ نَعْشُه ولا حامِلُوه ... ما علىٰ النعش مِنْ عَفافٍ وجُودِ
كادَتِ النفسُ أن تَفيضَ عليه ... إذْ غَدا حَشْوَ رَيْطةٍ وبُرودِ

الحب اللطيف:

بَكَيْتُ على سِرب القَطا إذْ مَرَرْنَ بي ... فَقلتُ ومثلي بالبكاءِ جَديرُ
أسِرْبَ القَطا هَلْ من يُعيرُ جَناحَه ... لَعلّي إلىٰ مَنْ قَدْ هَويتُ أطِيرُ
فجاوَبتْني من فَوْقِ غُصْنِ أَراكةٍ ... ألا كُلُّنا يا مُسْتَعِيرُ يُعيرُ
وأيُّ قَطاةٍ لَمْ تُعِرْكَ جَناحَها ... تَعيشُ بِذُلٍّ والْجَناحُ كَسِيرُ

الثناء الرقيق:

شربنا شراباً طيباً عندَ طيبٍ ... كذاكَ شَرابُ الطيبينَ يَطيبُ
شَربنا وأهرقنا على الأرض فَضْلَه ... وللأرض مِنْ كأسِ الكرامِ نصيبُ

وقال بعضهم:

ما عاتَبَ المرءَ اللبيبَ كنفسه ... والمرءُ يُصلحه الجليسُ الصالحُ

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ

اللهم لك الحمدُ كما ينبغي لجلالِ وَجْهك، ولعظِيم سُلطانك، وأُصَلِّي وأُسَلِّمُ على رَسُولك سيدنا محمدٍ، صلاةً تليقُ بجنابِه العظيم، وقَدْرِه الرفيع.

وبعد؛ فإنَّ أفضلَ الحديثِ كِتَابُ اللّهِ تعالى ـ الذي لا يأْتيه الباطلُ من بين يَدَيْه ولا من خلفه ـ وخَيرَ الْهَدْيِ هَدْيُ سيدِنا مُحمدٍ ﷺ، فهو الوسيلة العُظْمىٰ، والواسِطة الكُبرىٰ، لنيل السعادةِ الأَبدية، والفوزِ برضاءِ الله تعالىٰ.

ولا يليقُ بالمسلم الذي يَدين بالإسلام، ويحملُ في نفسه لواءَ الإيمان، أن يكون جاهِلاً بسيرةِ سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

ولهذا جئتُ بهذا الموجَزِ المختَصَر، ليتَشوَّق القارىءُ لمطالعةِ كُتبٍ أُخر، مما ذُكر فيها من سِيرة خَيْر البشر، واللّهَ أسْأَلُ أن يفتحَ قلوبَنا بمحبتِه، وأن يُنَوِّرَ بصائرنا بمتابعة سُنَّتِه.

وها أنا ذا أَفتتح موضوع السِّيرة، مُتبركاً بذِكْر نَسَبِه الشريفِ فأقُول:

أما نسبه الشريف عليه الصلاة والسلام فهو:

مُحَمَّدُ بنُ عبدِالله، بنِ عبدِالمطَّلب، بنِ هاشِم، بنِ عَبدِمَنافٍ، بنِ قُصَيّ، بنِ كِلَاب، بنِ مُرَّةَ، بنِ كَعْبٍ، بنِ لُؤَيٍّ، بنِ غالَب، بنِ فِهْر، بنِ مالك، بنِ النَّضْر، بنِ كِنَانَة، بنِ خُزيمةَ، بنِ مُدْرِكَةَ، بنِ إلْيَاسَ، بنِ مُضَرَ، بنِ نزارٍ، بنِ مَعَدّ، بنِ عَدْنَانَ. فالعربُ كُلُّهم من وَلَدِ إسماعيل وقَحْطان.

ما ورد في نسبه الشريف عليه الصلاة والسلام:

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«بُعثتُ من خير قرونِ بني آدمَ، قَرْناً فقرناً، حتىٰ كنتُ من القرن الذي كنتُ فيه»[1].

وعن واثلةَ بنِ الأسقعِ رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«إنَّ الله تعالىٰ اصطفَىٰ كِنانةَ من ولد إسماعيلَ، واصطفىٰ قريشاً من كنانةَ، واصطفىٰ من قريشٍ بني هاشمٍ، واصطفاني من بني هاشم»[2].

تنبيـه:

واعلم أنه عليه الصلاة والسلام: لم يَشْرِكه في وِلادَتِه من أَبَوَيهِ أَخٌ ولا أُخْتٌ.

ما أجمع عليه العلماء:

قال ابنُ دِحيةَ: أجمعَ العلماءُ على أن رسول الله ﷺ لم يتجاوَزْ نَسَبُه الشريفُ عَدْنانَ.

وكان ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما يقول: كذب النسابون ـ يعني ما وراءَ عدنانَ.

أولاده الكـرام:

أما بناتُه عليه الصلاة والسلام فأَرْبَعٌ:

زينبُ، ورُقَيَّةُ، وأُم كلثومٍ، وفاطمة: رضي الله تعالىٰ عنهن.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

وأما أبناؤه عليه الصلاة والسلام فثلاثة:

القاسم، وعبدالله، وإبراهيم: رضي الله تعالىٰ عنهم.

١ ـ أما القاسم:

فهو أول وَلَدٍ له عليه الصلاة والسلام قبلَ النُّبُوَّة في مكةَ المكرمةِ، وبه يُكَنَّىٰ، وعاش حتىٰ مشىٰ.

٢ ـ وأما زينب:

فهي أكْبر بناتِه، وُلِدَتْ سنةَ ثلاثين من مولد النبيِّ ﷺ، وأدركتْ الإسلام.

٣ ـ وأما رقية:

فَوُلدت سنة ثلاثٍ وثلاثين من مولده عليه الصلاة والسلام، وتَزَوَّجَها عثمانُ بنُ عَفَّانَ رضي الله تعالىٰ عنه، وتُوفيت والنبي ﷺ ببدر، فزَوَّجه أُمَّ كُلْثوم، وسُمِّيَ، بذِي النُّورَيْن.

٤ ـ وأما فاطمة الزهراء:

فَوُلدت سنةَ إحدىٰ وأربعين من مولد النبي ﷺ، وسُمِّيت فاطمةَ، لأنَّ الله تعالىٰ قد فَطَمها وذُرِّيتَها عن النار.

وتَزَوَّجت بعليِّ بنِ أبي طالب ـ كَرَّم الله وَجْهَه ـ في السنة الثانية، ولها من الْعُمُر خمس عشرةَ سنةً، وخمسةَ أشهرٍ ونصف.

ولعليٍّ إحدىٰ وعشرون سنةً، وخمسةُ أشهرٍ. وهي أفضل بناتِه وأَحَبُّها إليه، وكان يقول:

«فاطمة بَضعةٌ مني، فمن أغضبها أغضبني»[١].

---

(١) رواه البخاري.

وقال لها:

«أوَمَا تَرضَيْنَ أن تكوني سيدةَ نساءِ المؤمنين؟»[1].

تُوُفِّيت بعده عليه الصلاة والسلام بستَّةِ أشهرٍ، ولم يكن لرسول الله ﷺ عَقِبٌ إلا من ابنته فاطمةَ.

٥ ـ وأمــا عبــدُ الله:

فقيل: مات صغيراً بمكةَ، واخْتُلِف هَلْ وُلِدَ قبلَ النبُّوةِ أو بعدَها.

٦ ـ وأما إبراهيم:

فمن مارِيةَ القِبطية، وَوُلِدَ في ذي الحِجة سنةَ ثمانٍ من الهجرة.

٧ ـ وأما أم كلثوم:

فهي أصغرُ من فاطمةَ؛ وليس لها اسمٌ غير هذه الكنية، فاسمُها كنيتُها، ولدت بعد البعثةِ، وتَزَوَّجها عثمانُ ـ رضي الله تعـالىٰ عنه ـ سنـةَ ثلاثٍ من الهجرة، بوحْيٍ من الله، بعدَ موتِ أُختِها رُقية، ولذا لُقِّبَ بِذِي النُّورين.

ولقد ذكَر الإمام الجرداني ـ رحمه الله تعالىٰ ـ في كتابه: «فتح العلام» (١/١٨١): أولادَهُ عليـه الصـلاة والسـلام، وزوْجاتِـه أُمَّهـاتِ المؤمنين ـ رضي الله تعالىٰ عن الجميع ـ بشكْل وَاسِع.

وكان لي ـ والحمد لله ـ خِدْمَةُ الترتيب على الطريقـة الحديثـة وقتَ تَصْحِيحي له، فارجع إليه إن شئتَ.

---

(١) رواه مسلم.

أزواجه الطاهرات؛ هن إحدىٰ عَشْرةَ امرأةً:

خديجةُ، عائشةُ، حفصةُ، أمُ حبيبةَ، أمُ سَلَمةَ، سودةُ، زينبُ، ميمونةُ، زينبُ، جويريةُ، صفيةُ.

١ ـ أما خديجة:

هي بنتُ خُوَيْلِدٍ ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ فقد تزوَّجها رسُولُ الله ﷺ وهي ثَيِّبٌ، ولها من العُمرِ أربعونَ سنةً. وكان سِنُّه عليه الصلاة والسلام خمساً وعشرينَ سنةً. وهي أولُ من آمنَ من النِّسآءِ.

وكان عليه الصلاة والسلام، لا يسمع شيئاً مِنْ ردٍّ عليه وتكذيبٍ له، فَيَحْزُنه ذلك إلا فَرَّجَ اللَّهُ عنه بخديجةَ إذا رجع إليها، تُثبِّته وتُخفِّفُ عنه، وهي التي خَطبت النبيَّ ﷺ لنفسها قائلة له:

يا ابْنَ عَمِّي! إنِّي قد رَغِبْتُ فيك لقَرابتِك، وأمانتِك، وصِدْقِ حَدِيثك.

وقد خَطَبها الكثيرُ من الرِّجال من كِبار قَوْمِها، فأَبَتْ؛ واختارَتْ لنفسها التقيَّ النقيَّ، زَينَ الشبابِ، وفخرَ الرِّجال.

وكان وَلِيُّه عليه الصلاة والسلام في زَوَاجِه عمَّه أَبا طالب.

راجع موضوع «الخطب والوصايا» صفحة [٧] من هذا الكتاب.

وقد قَضَىٰ معها زَهْرَةَ شَبابه، فلم يتزَوج عليها، ولا أَحَبَّ أحداً ـ من البشر ـ مثلَ حُبِّه لها.

وظَلَّ طُولَ عُمُره يَذكُرها، ويُكْرِم أصدقاءَها ومعارِفَها.

وكانت السَّيِّدة عائشةُ رضي الله عنها، شَدِيدةَ الْغَيْرة منها لكَثْرة ذِكْرِه لها.

فضـــل خـديجــة:

لقد بلغت خديجةُ الكُبرىٰ، المنزلةَ القُصْوَىٰ عندَ اللَّهِ وَرَسُولِه؛ كـان يَأْتِيها جبريلُ بالسَّلام من رَبِّها، من فوقِ سَبْعِ سَماوَاتٍ.

وقـد بَشَّرَهـا الله جَلَّ جَلالُـه على لِسَـان رسُولِ الله عليـه الصـلاة والسـلام، ببيتٍ في الجنة من قَصَبٍ[1] لا صَخَبٍ[2] فيه ولا نَصَب[3].

ورَوَى الشيخـان: «خَيْرُ[4] نِسَـائِها مَـرْيَمُ بنتُ عِمْرَان، وخَيْـر نِسَائهـا خَدِيجةُ بنت خُوَيلد».

زارت النبيَّ ﷺ امرأَةٌ عجُوزٌ في بيتِ عـائشة رضي الله عنهـا، فأكـرَم مَثْوَاها، وبَسَط لها رِدَاءَه، فأَجْلَسَها عليه، وبالَغَ في الحفاوة بهٰا..

فلما انصرفَتْ سَأَلَتْه عائِشَةُ عنهٰا، لتعلَمَ سببَ إكرامِه لهٰا؟ فأَخْبرها ﷺ: أنها كانَتْ تَزُور خَدِيجةَ.

وماتَتْ بمكةَ قبلَ الهجرة بثلاث سنين، وهي ابنةُ خمسٍ وسِتِّين سنة، وكان مُدَّةُ مُقَامِها معَ النبي ﷺ خَمْساً وعشرينَ سنةً.

٢ ـ وأمـــا ســـودة:

هي بِنْت زمعةَ رضي الله تعالىٰ عنهٰا، أَسْلَمتَ قَديماً، تَزَوَّجها النبي ﷺ بمكةَ، بعدَ مَوْتِ خَدِيجةَ.

وهي أَرْملةُ السكرانِ بنِ عَمْرو، ماتَ زَوْجُها وهو من المؤمنين الْعَرِيقينَ

---

(١) القصب: اللؤلؤ المجوف.

(٢) الصخب: الضوضاء والشغب.

(٣) النصب: التعب.

(٤) أي نساء كل زمن بالنسبة لها.

في الإيمان، ونالَ شرفَ الهجرة إلى الحبشَة. وقد بلغت سَوْدَةُ من العمر الخامسة والخمسين، فهي أكبرُ سناً منه عليه الصلاة والسلام.

وقد أَسْلَم من قوم سَوْدَةَ كثيرُ من الناس، فدخَلوا في دِين اللّهِ لِما رَأَوْا مَن السَّيِّدِ الأَمينِ، من هذا الزواجِ البعيدِ عن الأغراض النفسية، والمآرب الشهويةِ.

٣ - وأمــا عــائشـــة:

هي بنت أبي بَكْر الصِّدِّيق رضي الله عنهما، فخَطَبها النبي ﷺ بمكة سنة عشْرٍ من النبوَّة، وقبلَ الْهجرة بثلاث سنين، وعُمرها سِتُّ سنينَ، وأعْرَس بها بالمدينة ولها تِسْعُ سِنينَ، وكانت أَحَبَّ نسائه - ﷺ - إليه، وكانت إذا هَويت شَيئاً تابعها عليه.

وكانت مدة مُقامها معه عليه الصلاة والسلام تِسْعَ سِنين، وماتَ عنها ولها ثماني عشرةَ سنة، ولم يتزوَّجْ بِكْراً غيرَها.

وكانت فقيهةً، عالمةً، فَصيحةً، كثيرةَ الحديثِ عن رسول الله ﷺ.
ماتَتْ بالمدينة وهي ابنةُ ستٍ وستين سنة، وما وَلَدَتْ قطُّ.
وكانت تُكنىٰ: بأُمِّ عبدِاللّهِ، بابْنِ أُختها عبدِالله بنِ الزبير.

٤ - وأمــا حفصـــة:

وهي بِنتُ عُمـر - رضي الله تعالىٰ عنهمـا - وهي أرْمَلةُ شَهيدِ بَـدْر، أُنيس بنِ حذافةَ - رضي الله تعالىٰ عنه - فقـد أَسْلَمَتْ وهاجـرتْ، تَزَوَّجهـا رَسُول الله ﷺ في سنة ثلاث من الهجرة.

والرسول عليه الصلاة والسلام قد بلغ الخامِسَة والخمسين من عُمـره المبارك، وطَلقها تطليقةً واحدة ثم راجعها، نَزَلَ عليه الوحْيُ: راجعْ حَفْصَةَ! فإنها صَوَّامةٌ قَوَّامَةٌ، وإنها زوجتُك في الجنة.

رَوَىٰ عنها جماعـةٌ من الصَّحابـة والتابعين، ومـاتَتْ في شعبان سنـةَ خمسٍ وأربعينَ، وهي ابنةُ سِتِّين سنة.

٥ ـ وأمـا أم سلمــة:

هي بنت أبي أُمَيَّةَ ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ واسمُها هِنْدٌ، فكانتْ قَبْلَ رسولِ الله ﷺ تحت أبي سَلَمةَ، واسمهُ عبدُاللَّهِ بنُ عبدِالأَسَد، وكانت هي وزَوْجُها أولَ مَنْ هاجَر إلى أرض الحبشَة.

وماتَ أبُو سَلَمة سنةَ أربعٍ من الهجرة، فخطَبها أبو بكر فأَبَتْ، وخَطَبها عُمرُ فأَبت، فأرْسَل إليها رسولُ الله ﷺ فقالت: مَرْحَباً برسول الله ﷺ. وقالت لابنها: زَوِّجْ رسولَ الله ﷺ! فَزَوَّجه.

وكانت من أجْمَل النِّسَاءِ، وماتَتْ عن أربعٍ وثمانينَ سنةً، سنةَ تسعٍ وخمسينَ، ودُفِنَت بالبقيع.

وقد حفظ التاريخُ الإسلاميُّ لهذه المرأة ذِكْـراً مجيداً؛ إذ كـانت من شَهيرات المؤمنات العامِلات وراءَ صُفوف المجاهِدين في «أُحُد».

ولها حَصَافةٌ في العقل، وسَدادٌ في الرَّأْي، وزَوْجُها عبدُالله ابنُ عَمَّةِ النبي ﷺ، وأَخُوه من الرضاعة.

ولما أرسل النبي ﷺ يخطِبُها، اعتذَرتْ إلَيه وقالت: إنِّي مُسِنة، وإنِّي أُم أيتامٍ، وإنِّي شديدة الغَيرة.

فأجابَها عليه الصلاة والسلام بقوله: الأيتام أضمهم إليَّ، وأدعو الله أن يُذهِب عنك الغَيرةَ. ولم يَعْبَأْ بالسِّن.

٦ ـ وأمـا أم حبيبــة:

هي بنتُ أبي سفيانَ ـ رضي الله تعالى عنهما ـ واسْمُها رَمْلةُ، فكانت

تحتَ عبيدِ الله بنِ جحش، وهاجر بها إلى أرض الحبشةِ الهجرة الثانية، ثم تَنَصَّر وارتد عن الإسلام، وماتَ هناك!.

وثبتت أمُّ حبيبةَ على الإسلام، فبعث رسول الله ﷺ إلى النجاشيِّ ليخطِبَها عليه، فزوَّجها إياه وأصْدَقها عنه أربعمائةَ دينارٍ، وبعثها إليه. وماتَتْ بالمدينة سنة أربعٍ وأربعين.

٧ - وأما زينب:

هي بِنْت جَحْش رضي الله تعالىٰ عنها، هي ابنة عَمَّةِ النبي ﷺ:

وأُمُّها أميمةُ بنتُ عبدِالمطلب، فقد كان رسُول الله ﷺ زَوَّجها زَيْدَ بنَ حارثةَ، فمكَثَتْ عنده مُدَّةً ثم طَلَّقها، فلما انقضتْ عِدَّتُها منه، قال عليه الصلاة والسلام لزيد:

«اذهب فاذكُرْني لها».

قال: فذهَبْتُ إليها فجعلْتُ ظهري إلى الباب فقلت: بعثَ رسولُ اللّهِ ﷺ يذكُرُكِ، فقالَتْ: ما كُنتُ لأُحدِثَ شيئاً حتىٰ أُؤآمِرَ ربِّي عزَّ وجلّ. فقامَتْ إلى مسجدٍ لها، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾[1].

فجاءَ رسولُ الله ﷺ فدخَل عليها بغير إذْن، وكانت تَفتخِر على أزواج النبي ﷺ تقول:

«زَوَّجكُنَّ آباؤكُنَّ، وزَوَّجني اللّهُ من فوقِ سبعِ سمواتٍ».

وكان تَزْويجُها له ﷺ سنةَ خمسٍ من الهجرة.

---

(١) الأحزاب: ٣٧.

وقالت عائِشَةُ فِي شَأْنها: لم تكُن امرأةٌ خيراً منها في الدِّين، وأتْقَىٰ لله، وأصْدَقَ حَدِيثاً، وأوْصلَ للرَّحِم، وأعْظَمَ صَدَقَةً، وأشَدَّ ابتذالاً لنفسِهَا في العمل، الذي تتصَدَّق به ويُقَرِّبها إلى الله.

وقد كان لهذا الزَّواجِ شَأْنُه الكبيرُ عندَ الناس، حيثُ سَاوَىٰ الإسلام بينَ الحُرِّ والعبد، وقضَى على تلك الفَوارِقِ الجنسية، التي كانت العرب تعتز بها، فأصبح العبدُ لا يشعر بعبوديته.

وقضَىٰ ـ أيضاً ـ على بِدْعَة «التبني» التي كان العرب غارِقين فيها إلى أذقانهم.

فكيف يصح يا تُرَىٰ للإنسان أن يُلْصِق وَلَداً ليس من صُلْبِه؟ فيُعطيَه حقوقَ «البُنُوَّة» في الميراث كباقي الأولاد، ولا يحقُّ له أن يتزوّجَ زَوْجَته من بعدِه؟!.

٨ ـ وأما زينب:

هي بنت خُزيمة الهلالِيّة ـ رضي الله عنها ـ فقد كانت تحت عُبيد بنِ الحارِث بنِ عبدالمطلب، قُتِلَ عنها يومَ «بَدْر» فَتَزوَّجها رسُولُ الله ﷺ سنة ثلاثٍ، ولم تلبَثْ إلاَّ شَهْرَيْن أو ثلاثةً.

وتُوُفِّيت في حياتِهِ عليه الصلاة والسلام، ودُفِنَتْ بالبقيع، وهي أُخت مَيْمُونَةَ لأمها.

٩ ـ وأما ميمونة:

هي بنت الحارِث الهلالِية ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ وهي خالةُ خالدِ بنِ الوليد، وخالة عبدِالله بنِ عباس.

وقد بلغت الستِّينَ من عُمرها، حينما تَزَوجها عليه الصلاة والسلام. ومكَثَتْ عنده عامَين فقط.

فقد كانت قَبْلُ عِند أبي رهم. تَزَوَّجَها رسولُ الله ﷺ، لما كان مُعتمراً سنةَ سبع، بعد غزوة خيبرَ، جَعَلَتْ أمْرها إلى العبَّاس، فأنْكَحَها النبيَّ ﷺ؛ وهو مُحْرِم[1]، فلما رجع بَنَى بها بسرِفَ[2] حلالاً.

قال ابن إسحق: ويقال: إنها وَهَبَتْ نفسَها للنبي ﷺ، وذلك أنَّ خِطْبَتَه عليه الصلاة والسلام انتهت إليها وهي على بَعيرها، فقالت: «الْبَعير ومَنْ عليه لله ورسوله».

وتُوُفِّيت بسَرِف سنة إحدىٰ وخمسينَ، وصلىٰ عليها ابنُ عباس ودخَل قبرها.

١٠ ـ وأما جويرية:

هي بنتُ الحارث ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ وهي أرْملةُ مسافعِ بنِ صفوانَ المصطلقي

وكان زَوْجُها هذا من أشَدِّ أعداءِ الإسلامِ والمسلمين، وأكثرِهم خُصومةً للرسول ﷺ.

وكانت قد وقَعت في سهم ثابتِ بنِ قيس الأنصاري، في غزوة المريسيع، وهي غَزْوة بني المصطلق في سنةِ خمس، فكاتبته على نفسها، ثم جاءَت رسولَ الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله! أنا جُويريةُ بنتُ الحارث، وكان من أمري ما لا يخفىٰ عليك! ووقَعْتُ في سهم ثابتٍ، وإنِّي كاتبْتُ نفسي، فجئت أسْألك في كِتابتي. فقال عليه الصلاة والسلام:

---

(١) هذه خصوصية له عليه الصلاة والسلام، فالعقد وقت الإحرام باطل غير صحيح.

(٢) سرف: بكسر الراء: موضع من مكة على عشرة أميال، وقيل: أقل وأكثر، حلالاً: أي متحللاً من الإحرام.

«فَهلْ لكِ ما هو خيرٌ؟».

قالت: وما هُو يا رسولَ الله؟ قال عليه الصلاة والسلام:

«أُؤدي عَنْكِ كتَابتَكِ، وأتزَوَّجُكِ».

قالت: قد فعلْتُ. فتسامَعَ الناس أنَّ رسول الله ﷺ قد تَزَوَّج جُويريةَ، فأرسلوا ما في أيديهم من السَّبي، وأعتقوهم.

قالَتْ عائشة: فما رَأينا امرأةً أعظمَ بركةً على قَوْمٍ منها!.

ولما رَأىٰ بَنُو المصطَلِق هذا السُّمُوَّ، وهذا العفْوَ والكَرَم، أَسْلَمُوا جميعاً، وآمنوا بالله ورَسُولِه، فكانت جُويريةُ ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ أيمنَ امرأةٍ على قَوْمِها.

١١ ـ وأما صفية:

هي بنتُ حيي ـ رضي الله تعالىٰ عنها ـ فهي من سبط هارون عليه السلام.

كانت تحتَ كنانةَ بنِ أبي الحُقَيق، قُتِلَ يوم خيبر.

قال أنس: لما افتتح عليه الصلاة والسلام خَيبرَ، وجمع السَّبْيَ، جاءَه دِحْيَةُ الكَلْبي فقال: يا رسول الله! أعْطِني جارِيَةً.

فقال: اذهب فخذ جارية. فأخذ دحية صفية بنت حيّي.

فجاءَ رجُل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أعطيتَ دِحْيةَ صفية سيدة قُرَيظة والنَّضِير، ما تصلحُ إلا لك.

قال: ادْعُوه بها، فجاءَ بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خُذْ جاريةً من السَّبي. وأعْتَقها، وتَزَوَّجها ﷺ.

ولقد أحسنَ الرسول ﷺ إلى صَفِيةَ، وأكْرَمها، وتلطَّف بها، حتىٰ أصبحتْ تُفَضِّله على أهلها وعَشِيرتِها.

وقد خَيّرَها عليه الصلاة والسلام قبلَ زواجِها، بين الْعَتْقِ واللَّحاق بأهلها، وبينَ افترانِه بها!.

فاختارت الله ورسولَه، وأعلنَتْ إسلامَها، وأظهرت حُبَّها القديم للإسلام، وتركَتْ قَوْمها وعَشِيرتَها.

وزَوَاجُ الرسول ﷺ بهذه المرأةِ، يحملُ معه حكمةً عاليةً، لا يُدرِكُها إلَّا من أنار الله قلبَه!.

وماتَتْ في رمضانَ سنة خمسينَ في زَمَن مُعاويةَ، ودُفنت بالبقيع.

فهؤلاءِ أَزْوَاجه اللاتي دَخَل بهنَّ، لا خلاف في ذلك بين أهل السِّيرة والعِلْم.

رد شبهة:

قد يَتسرَّب لبعض النفوس المريضَة، البعيدة عن الحضارةِ الإسلامية، المصابة بعَمَىٰ الجهل، أنه عليه الصلاة والسلام أكْثر مِنَ الزَّوْجاتِ لأمورٍ شَهْوانية، وغاياتٍ نفسانية!.

نَعم؛ جاءَت هذه الشُّبْهة من أسْيَادِهم الصَّليبيين، أعداءِ الإسلام والدِّين، ليُضَلِّلُوا المسلمين عن دِينِهم، ويُوقِعوا الشَّكَّ في نَبيهم....

أقول: لقد عَلِمَ الناس جميعاً، أن النبي عليه الصلاة والسلام، تراوَحَتْ حياته الشَّرِيفة، بين فترتين من العمر:

١ ـ الفترة الأولى:

من سِنّ الطفولة إلى أن بلغَ من الْعُمْر خمساً وعشرين سنة، وهذه الفترة هي من أخطر ما يمرُّ على الإنسان.

وقد قَضَىٰ عليه الصلاة والسلام هذه الفترةَ الأُولىٰ من حياتِه، عُنفوان الشباب، وأيام العزُوبة: بطُهر، وعَفَاف، وشَرَف، ونزَاهة، وقَدَاسَة...

ولم يستطع أحد منَ الناس، حتىٰ مُخاصِمُوه بعد النبوة؛ أن يأخذوا عليه هَفْوة، أو يذكُروا له سقْطَة أو يَعُدّوا عليه زَلة، أو حادِثة واحِدة؛ كما تُؤخَذ عن غيره من الشباب في هذا السِّن، تمسُّ من كَرامتِه، أو تحطُّ من قَدْرِه.

بل كان عليه الصلاة والسلام، مُحْتَشِماً في سُلوكِه، طاهِراً في آدابه النادِرةِ بينَ أهلِ عَصْره.

قَضَىٰ عليه الصلاة والسلام خمساً وعشرين سنة من عُمره السَّعيد، في هذا الوَقار والاحْتِشَام، الذي يَشْهَد به غيرُ المسلمين.

راجع «رسالة زَوْجاتِ النبي ﷺ» للأُستاذ الصَّواف ص (٨٥).

٢ ـ الفتـرة الثانيـة:

ثم أَتَتْ عليه الفترةُ الثانيةُ من العمر، بعد الخامسة والعشرين، التي تَزَوَّج فيها بخَدِيجةَ ـ رضي الله عنها ـ التي كان عُمرها أَربعين.

ومكَثَ معها سِتّاً وعشرين سنة، في أَتم الإِلْفة والمحبَّة بينَ الزَّوْجين الرؤُمَين! حتى دخَل سنة إِحدىٰ وخمسينَ من العمر، فالتحقَتْ خَدِيجةُ بالرَّفيق الأَعْلَى، وكان لوفاتها صَدْمةٌ قاسيةٌ في نفسِه عليه الصلاة والسلام.

ثم تَزَوَّج بِسَوْدَةَ أُمِ المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ وهي المرأةُ الطاعِنة في السِّن، التي تُوفي عنها زَوْجها المؤْمِن، وأُصبحت لا عائِلَ لَها ولا مُعِينَ.

مكَثَ معها ثلاثَ سَنوات، فقد أَمْضَىٰ من العمر أَربعاً وخمسين، ودخَل في سِنِّ الشيخوخةِ، وهو على ما هو عليه، مُقتصراً على الزَّوْجة الواحِدة.

فلمَّا دخلَتْ السنةُ الثانية من الْهِجْرَة، وقامت الحروب على قَدَم وسَاقٍ، وشَبَّ القتالُ بين المسلمين وغيرِهم.

فشَرَعَ عليه الصلاة والسلام بتعداد الأزواج، ليتـألفَ بهذه المصـاهرة القبائِلَ، ويضمَّ إليه الأيتام والأَرَامِل، ممن اسْتُشْهِد أزواجُهم وآبـاؤهم في تلك الحروب.

وقد كَتب الأُستاذ الصَّابوني في كِتابه: «تفسير آيات الأحكام» (جـ ٢ ص ٣١٨) تحت عنوان: «حكمة تَعَدّد زوجات الرسول ﷺ»:

إن الحكمة من «تَعَدّدِ زوجاتِ الرسول ﷺ» كثيـرة ومتَشَعِّبة، ويمكننا أن نُجملَها فيما يلي:

ـ **أولاً**: الحكمة التعليمية.
ـ **ثانياً**: الحكمة التشريعية.
ـ **ثالثاً**: الحكمة الاجتماعية.
ـ **رابعاً**: الحكمة السياسية.

فـأسْهَبَ وأطْنَـبَ، وبَيّـنَ ووضَّح، ثم أحـال القراءَ أن يـرجعوا إلى المصادر التالية:

«القرطبي» الجزء الرابع عشر.
«الآلوسي» الجزء الثالث والعشرون.
«أحكام القرآن» لابن العربي.
رسالة «زوجات النبي الرسول» للأُستاذ الصواف.
فجزاه الله عن النبي وزوجاتهِ خيراً.

سراريه عليه الصلاة والسلام أربعة:

١ ـ **الأولىٰ**: ماريةُ القبطية، أُمُ إبراهيمَ ابنِ النبيِّ عليه الصلاة والسلام، أهداها له المقَوقس صاحبُ الإسكندريـةِ، وماتَتْ في خِـلافة عُـمـرَ ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ ودُفنت بالبقيع.

٢ ـ **الثانية**: رَيْحانة القُرظية. وماتَتْ قبْـلَ وفاتِه عليه الصلاة والسلام ودُفنت بالبقيع.

٣ ـ **الثالثة**: التي وَهَبَتْها له عليه الصلاة والسلام زينبُ بنتُ جَحْش.

٤ ـ **الرابعة**: أصَابها في بعض السَّبي.

أعمام رسول الله ﷺ أحدَ عشر:

الحـارث، وهو أكبـر أولاد عبدِالمـطلب وبه يُكنىٰ، **وقثم**، **والزبير**، **وحمزة**، **والعباس**، **وأبو طالب**، **وأبو لهب**، **وعبدالكعبة**، **وحَجْل**، **وضرار**، **والغيداق**[١].

وأما عماتُه عليه الصلاة والسلام فستٌ وهنَّ:

صفيـةُ، وعاتِكَةُ، وأُميمةُ، وأمُ حكيم البيضاء، وبَرةُ، وأَروىٰ[٢].

من شمائله عليه الصلاة والسلام:

كان رسول الله ﷺ: **لا يذمُّ أَحَداً، ولا يَعِيبُه، ولا يطلب عَوْرتَه، ولا يتكَلَّمُ إلا فيما رجَا ثوابَه.**

(١) أسلم منهم: حمزة والعباسُ، وكان حمزة أصغرَهم سناً، لأنه رضيعُ رسولِ الله ﷺ، ثم العباس قريب منه في السن، وهو الذي كان يلي زمزمَ بعد أبيه عبدِ المطلب، وكان أكبرَ سناً من رسول الله ﷺ بثلاث سنين «تهذيب الأسماء واللغات» (١/٢٧).

(٢) أسلمت عمته صفية «إجماعاً» وهي أم الزبير بن العوام.

كانَ رسولُ الله ﷺ: أشدَّ حَياءً من العـذراءِ في خِدْرِهـا[1]، وكانَ إذا كَـرِهَ شيئاً عُـرِفَ في وَجْهِه.

كانَ رسولُ الله ﷺ: إذا جَلَس بالمجلس احْتَبىٰ[2] بِيدَيه.

كَانَ رسـولُ الله ﷺ: إذا دخَلَ الخلاءَ نـزع خاتمـه، وإذا شَرِب تَنَفَّس خارجَ الإناء.

كانَ رسول الله ﷺ: يُحِـبُّ التَيمُّنَ في أموره، ويُحِبُّ الحلواءَ والعَسَل والقِثاء، ويجمع القِثاءَ مع الرُّطَب.

كَانَ رسول الله ﷺ: يخزن لسانه عن فضول الكلام وعما لا يعني.

كانَ رسول الله ﷺ: يَلْبَسُ خاتماً في يمينـه من فِضَّة نقشُـه: «مُحَمدٌ رسولُ اللّه».

كانَ رسول الله ﷺ: يُعجبه الدُّباءُ، والذراعُ، ويعود المرضَىٰ، ويَقْبَل الهدِيَّةَ، ويُكافِىءُ عليها، ويُعيدُ الكلمةَ ثلاثاً، لتُفهَم منه وتُحْفَظ.

كانَ رسول الله ﷺ: أبيضَ مليحاً، كأنما صِيغَ من فضة مُقَصَّداً.

كـانَ رسول الله ﷺ: مُشَـرَّباً لـونهُ بحمـرة، أسودَ الْحَـدْقـةِ، أَهْـدَبَ الأشْفَار.

كـانَ رسـول الله ﷺ: أحسَنَ النـاس وجهـاً، وأحسنَهم خَلْقـاً، ليس بالطويل البائن، ولا بالقصير.

كان رسول الله ﷺ: أزهرَ اللونِ، كأن عرقَه اللؤلؤ.

---

(١) العذراء: البنت البكر. والخدر: الستر.

(٢) احتبىٰ الرجل إذا جمع ظهره وساقيه بيديه. والاحتباء يقوم مقام الاستناد إلى الجدار.

كان رسول الله ﷺ: أفلجَ الثنيتين، إذا تكلم رُئِيَ كالنور يخرجُ من بينِ ثناياه.

كانَ رسول الله ﷺ: ضخمَ الرأسِ واليدين، والقدمينِ، ضليعَ الفم.

كانَ رسول الله ﷺ: فَخْماً مُفَخَّماً، يتلألأ وجهُه تَلألُؤَ القمرِ ليلةَ البدر.

كانَ رسول الله ﷺ: واسعَ الجبين، أَزجَّ الحواجبِ، كثَّ اللحيةِ، سهلَ الخدينِ.

كانَ رسول الله ﷺ: كلامُه كلاماً فصلاً، يفهمه كلُّ مَنْ سمعه.

كانَ رسول الله ﷺ: وجهُه مثلَ الشمسِ والقمرِ، مستديراً.

كانَ رسول الله ﷺ: أَحبَّ الألوانِ إليه الخضرة، وأَحبَّ التمرِ إليه العجوة.

كانَ رسول الله ﷺ: أَحبَّ الشرابِ إليه الحلوُ البارد.

كانَ رسول الله ﷺ: أَحبَّ الطعامِ إليه الثريد من الخبز، والثريد من الحَيْس.

كانَ رسول الله ﷺ: أَحب الفاكهة إليه الرُّطَب والبطيخ، وأَحب اللحم إليه الكتِف.

كانَ رسول الله ﷺ: أَحب الدِين إليـهِ أَدومُه.

كانَ رسول الله ﷺ: إذا أُتِيَ بباكورة الثمَرةِ وضعها على عينيه، ثم على شفتيه، وقال: «اللهم كما أَريتنا أَوَّلَـهُ، فأرنا آخِرَه» ثم يُعطيه مَنْ يكون عنده من الصبيان.

من مظاهر عفوه عليه الصلاة والسلام:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعثَ رسولُ الله ﷺ خيلاً قِبَلَ نجدٍ، فجاءَت برجل من بني حنيفةَ، يقال له ثُمامةُ بنُ أثالٍ، سيدُ أهلِ اليمامة. فربطوه بساريةٍ من سواري المسجدِ، فخرج إليه ﷺ فقال:

ماذا عندك يا ثمامةُ؟ فقال:

عندي يا محمدُ خيرٌ، إن تَقتُلْ تَقتلْ ذا دمٍ، وإن تُنْعم تُنعم على شاكرٍ، وإن كنتَ تُريد المالَ، فسل تُعطَ منه ما شئت.

فتركَه النبي ﷺ، حتىٰ كان بعد الغدِ فقال:

ما عندك يا ثمامةُ؟ قال: ما قلتُ لك.

فتركه رسول الله ﷺ، حتىٰ كان من الغد، فقال:

«ماذا عندك يا ثمامةُ»؟ قال: ما قلتُ لك.

فتركه رسولُ الله ﷺ، حتىٰ كان من الغد، فقال:

«ماذا عندك يا ثمامةُ؟» فقال: عندي ما قلتُ لك، إن تُنعم تنعم على شاكر، وإن تَقتُل تقتل ذا دم، وإن كنت تُريد المالَ، فسل تعطَ منه ما شئتَ، فقال رسول الله ﷺ: أطلقوا ثمامةَ!.

فذهب إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد فقال: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». يا محمد! والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغضَ إليَّ من وجهك!. فقد أصبح وجهُك أحبَّ الوجوه كلّها إليَّ!.

والله، ما كان من دين أبغضَ إليَّ من دينك!.

فأصبح دينك أحبَّ الدين كلّه إليَّ!.

والله، ما كان من بلد أبغض إليَّ من بلدك، فأصبح بلدك أحبَّ البلاد كلها إليَّ.

وإن خيلك أخذتني وأنا أُريد العمرةَ، فماذا ترىٰ؟.

فبشـره النبيُّ ﷺ، وأمره أن يعتمرَ، فلما قدم مكةَ قال له قائل: أصبوتَ؟ قال: لا، ولكني أسلمتُ مـعَ رسولِ اللّٰهِ ﷺ،ولا والله! لا يأتيكم من اليمامة حبةُ حنطةٍ، حتىٰ يأذنَ رسولُ الله ﷺ[1].

قصـــة ركـانـــة:

قال ابن إسحاق: كان ركانة أَشَدَّ قُرَيشاً. فَخَلا يوماً برسُول الله ﷺ في بعض شِعابِ مكةَ، فقال له رسولُ الله ﷺ:

«يا ركانةُ! أَلا تتَّقي الله، وتَقبلُ ما أَدعوك إليه»؟.

قال: إنِّي لو أَعْلَم أن الذي تَقُول حقٌّ لأتَّبعتُك! فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيتَ إنْ صرعتُك، أتعلمُ أنَّ ما أقولُ حقٌّ»؟.

قال: نَعم؛ قال: «فَقُمْ حتىٰ أُصَارعك».

قال: فقام «ركانةُ» إليه فصارعَه، فلما بطشَ به رسولُ الله ﷺ، أَضْجَعه حتىٰ أُصْبح لا يملك من نفسِه شيئاً! ثم قال: عُدْ يا مُحمد! فعادَ فَصَرعه! فقال: يا مُحمدُ ـ والله ـ إن هذا لَلْعَجبُ، أَتَصْرعني؟!.

قال عليه الصلاة والسلام: «وأعجبُ مِنْ ذلك، إنْ شئتَ أُريكَه، إنِ اتَّقيتَ اللّٰهَ واتَّبعتَ أمري».

قال: وما هو؟ قال: «أدعو لك هذه الشجرةَ التي تَرىٰ فتأْتيني».

---

(١) رواه الثلاثة.

قال ركانةُ: فادْعُها! فَدَعاها ـ ﷺ ـ فأَقبلتْ حتىٰ وقفَتْ بين يَدَي رسول الله ﷺ، فقال لها: «ارجعي إلى مكانك».

فَرَجعتْ إلى مكانِها. قال: فذَهَبَ «ركانةُ» إلى قَوْمِه، فقال: يا بَني عَبْدِمَنافٍ! ساحِروا بصاحبكم أَهْلَ الأَرض ـ فوالله ـ ما رأَيتُ أَسْحَرَ منه قَطُّ!! ثم أخبرهُم بالذي رَأىٰ والذي صَنَعَ.

وفي رواية: أنه عليه الصلاة والسلام صارَعَه ثلاثَ مَرّاتٍ، كل مَرَّة على مِائَةٍ من الغَنَمِ، فلما كان في الثالثة، قال: يا محمد ما وضع ظَهْرِي أَحَدٌ إلى الأرض قبلَك، وما كان أَحَدٌ أَبْغَضَ إليَّ مِنك، وأنا أشهدُ أن لا إله إلاَّ الله، وأنك رسُولُ الله. ورَدَّ الرسولُ عليه غَنمَه[1].

والذي سنذكُره في صفحة [٧٧] من ذِكْرياتٍ حَسنةٍ عن «أبطال المسلمين» نقطةٌ واحدة من بَحْرِ بُطُولته عليه الصلاة والسلام، فهو إمامُ الجميع، عِلماً وعَمَلاً، أَدَباً وخُلُقاً، شجاعةً وكَرَماً؛ فَصَلَواتُ الله وسلامه عليه، كلما ذَكَرَهُ ذاكِر، وغفلَ عن ذِكْره غافِل.

---

(١) البداية والنهاية: (١٠٣/٣).

أبطال المسلمين

رضي الله تعالى عنهم

عمر الفاروق

سبب إسلامه، وموقفه من أخته:

حُكي أن فاطمةَ بنتَ الخطاب ـ أُختَ عُمرَ ـ أَسْلَمتْ إسلاماً صحيحاً، وأَسْلَم معها زَوْجُها سعيدُ بنُ زَيْدٍ، وهما مُستخفيان بإسلامهما خَوْفاً من عُمرَ، وكان خَبَّابُ بنُ الأَرت ـ رضي الله عنه ـ يختلفُ إلى فاطمةَ بنتِ الخطاب، يُقْرِئها القرآن.

عمر يريد قتلَ النبي ﷺ:

رُوِيَ أَنَّ عمرَ خَرج يوماً متوشِّحاً سَيْفَه، يُريد قَتْلَ رسولِ الله ﷺ ورَهْطاً من أَصحابِه! فذكَرُوا له أَنهم قد اجتمعوا في بيتٍ عندَ الصَّفا، وهم قريب من أربعين من بين رجالٍ ونساءٍ[1]. فَلَقِيه نعيمُ بنُ عبدِالله، فقال له: أين تُريد يا عُمر؟ قال: أُرِيد «محمداً» هذا الصابىءَ، الذي فَرَّق أَمرَ قريش، وسَفَّهَ أَحلامَها، وعابَ دِينهَا، وسَبَّ آلهتَها، فأَقتلَه!.

فقال له نعيم: ـ والله ـ لقد غَرَّتْكَ نفسُك يا عُمر!.

---

(١) كان هذا قبل أن يفرض الحجاب.

أترىٰ بني عبدِمَنَافٍ تارِكيك تمشِي على الأرضِ وقد قتلْتَ محمداً؟.

أفلا ترجعُ إلى أهْل بيتَك فتُقيمَ أمْرَهُم! قال: وأيُّ أهل بيتي؟ قال: ختَنُك وابْنُ عَمِّك، وأُختُك فاطِمةُ، فقدـ والله ـأسْلما وتابعا «مُحَمداً» على دِينه، فعليك بهما فردَّهما إلى دِينهمـا!!.

عمر يضرب أخته ويُدميها:

فرجَعَ عُمرُ عائداً إلى أُخته فاطمةَ، كانَ عندها خَبَّاب بنُ الأَرَتّ، ومعه صَحِيفَةٌ من سورة «طه» يُقْرِيها إيَّاها.

فلما سَمِعُوا حِسَّ عُمرَ، تَغَيَّبَ خَبَّابٌ في مَخدعٍ من مخادع البيت، وأخْفَتْ فاطمةُ الصَّحيفةَ...

وقد سَمِعَ عمرُ حينَ دَنَا إلى الباب قراءَةَ خبابٍ عليها.

فلما دخل قال عُمر: ما هذا الذي سمعتُ؟ قالا له: ما سَمِعْتَ شيئاً.
قال: بلىٰ ـ والله ـ لقد أُخبِرْتُ أنكُما تابعتُما محمداً على دينه!.

وبطش بختنه سعيدِ بن زَيْد! فقامت إليه أُخته فاطمة لتكُفَّه عن زَوْجها، فضربَها فشَجَّها، فلما فَعَل ذلك قالت لـه أُخته وخَتنه:

أخت عمر تجهر بإسلامها:

نَعم؛ قد أَسْلَمنا وآمنَّا بالله ورسوله، فاصْنَعْ ما بَدَا لك!! فلما رأىٰ عُمر ما بأُخته من الدم، نـدم على ما صَنَع!.

وقال لأُخته: أَعْطِني هذه الصَّحيفةَ التي كُنْتم تقرءون، كَيْ أَنْظُرَ ما هذا الذي جاءَ به مُحَمد؟ ـ وكان «عُمَر» كاتباً.

فلما قال ذلك قالت له أُخته: إنا نَخْشَاك عليهـا، قال: لا تَخـافي! وحَلَفَ لها بآلهته ليَردَّنَّها إذا قرأها إليها!.

أخت عمر تطمع في إسلام عمر:

فلما قال ذلك طَمِعَتْ في إسلامه، فقالت: يا أخي! إنك نَجِسٌ على شرْكك، وإنه لا يمسّه إلّا المطَهَّرون...

فقام عُمر فاغْتَسَلَ، فأعطَتْه الصحيفةَ، وفيها «طه» فقرأها، فلما قرأ منها صَدْراً قال:

عمـر يمـدح القـرآن:

ما أَحْسَنَ هذا الكلامَ وأكْرَمَه؟! فلما سَمِعَ ذلك خَبَّاب خَرَج إليه فقال له: واللَّهِ يا عُمر! إنِّي لأَرْجُو أن يكُونَ اللَّهُ قد خَصَّك بدعوةِ نَبِيِّه ﷺ، فإنِّي سَمِعْتُه أمسِ وهو يقول:

«اللهمَّ أيِّدِ الإسلامَ بأبي الحكم بنِ هشام، أو بعمرَ بنِ الخطاب».

فاللَّهَ اللَّهَ يا عُمر! فقال عند ذلك: فَدُلَّني يا خَبَّابُ على مُحمد حتى آتِيَهُ فأُسْلم.

فقال له خبَّاب: هو في بيتٍ عندَ الصفا معه نفرٌ من أصحابه.

عمر يدخل على النبي ﷺ:

فأَخَذَ عُمر سَيْفَهُ فَتَوشَّحه، ثم عَمَد إلى رسُول الله ﷺ وأصحابِه، فَضَرَبَ عليهم البابَ. فلما سَمِعوا صَوْتَه قام رجُلٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ، فنظر من خِلال الباب؛ فإذا هو بعمرَ متوشِّحٌ بالسَّيف! فرجع إلى رسول الله ﷺ ـ وهو فَزِعٌ ـ فقال: يا رسُولَ اللَّهِ! هذا عُمر بنُ الخطاب متوشِّحاً بالسَّيف!.

موقف حمزة أسد الله:

فقال حمزةُ عَمُّ رسولِ الله وأسَدُ اللّهِ: فأْذَنْ له! فإنْ كان جاءَ يُريد خيراً بَذَلْناه، وإن كان يُريد شرّاً قتلناه بِسَيْفه.

الرسولَ يأذنُ لعمرَ بالدخول:

فقال رسولُ الله ﷺ: إيذنْ له.

فأذِن له، فلما دخل نهض إليه رسولُ اللّهِ ﷺ، فأَخَذَ بمجمع ردائه، ثم جذَبه جذبةً شديدةً فقال:

«ما جاءَ بك يا ابنَ الخطابِ؟! فوالله ما أرىٰ أنْ تَنتهيَ حتىٰ يُنزلَ الله بكَ قارعةً».

فقال عُمر: يا رسول الله! جئتُك لأُومن بالله ورسوله، وبما جاءَ من عندِ الله.

فكَبَّر رسولُ الله ـ ﷺ ـ تكبيرةً عرف أَهْلُ البيتِ أن عُمرَ قد أَسْلَم.

أبو جهل يضرب الباب في وجه عمر!:

قال عُمر: لمّا أَسْلَمْتُ تلك الليلةَ تذكَّرتُ أيَّ أهلِ مكةَ أَشَدُّ لرسول الله ﷺ عداوةً، حتى آتِيَه فأُخبرَه أنّي قد أسلَمْت؟! قلت: أبو جَهْل.

فأقبلتُ حينَ أُصبحت حتىٰ ضَربتُ عليه بابَه، فخرج إليَّ أبو جَهْل فقال: مَرْحَباً وأهلاً بابن أُختي ما جاءَ بك؟.

قلت: مجئت لأُخبرك أنّي قد آمنتُ بالله ورسوله، وصَدَّقْتُ بما جاءَ! فضرب البابَ في وَجْهي، وقال: قَبّحَكَ الله وقَبّح ما جِئْتَ به!!.

عمر يعلن إسلامه في مجمع من قريش:

قال ابن إسحق: وحدثني نافعٌ مولى ابْنِ عُمَر، عن ابن عُمَر ـ رضي الله عنهما ـ قال: لما أَسْلَم عُمر قال: أيُّ قريشٍ أَنْقَلُ للحديث؟ فقيل له:

جميل بنُ معمر الجمَحي، فغَدا عليه، قال عبدالله: وغَدَوْت أَتبع أثَره، وأنظر ما يفعل ـ وأنا غُلام أعقل كلَّ ما رأيتُ ـ حتىٰ جاءَه، فقال له: أَعَلِمْتَ يا جميلُ أنِّي أَسْلَمتُ ودخلْتُ في دِين مُحمد ﷺ؟.

قال ابنُ عُمرَ: فوالله ما راجعه حتىٰ قام يجر رِدَاءَه، واتبعه عُمر، واتبعته أنا، حتى قامَ على باب المسجد صَرَخَ بأعلا صَوْته: يا معشَرَ قُرَيْشٍ! ألَا إنَّ ابنَ الخطاب قد صَبأ؛ قال: يقُول عُمرُ مِنْ خَلْفه: كَذَبَ، ولكِني قد أَسْلَمْتُ، وشَهِدْتُ أن لا إلٰه إلاَّ الله، وأن مُحمَّداً رسُولُ الله.

وثارُوا إليه، فما بَرِح يُقَاتِلُهُمْ ويُقَاتِلونه حتىٰ قامتِ الشَّمسُ على رءوسهم!.

كلمةُ عبدِالله بنِ مسعود:

قال عبدالله بن مَسْعُود رضي الله تعالىٰ عنه:

«ما كُنَّا نَقْدِرُ أن نُصَلِّيَ عندَ الكَعبةِ، حتىٰ أَسْلَم عُمَرُ بنُ الخطاب رضي الله تعالىٰ عنه، إنَّ إسلامَ عُمر كان فَتْحاً، وإنَّ هِجْرَته كانت نَصْراً، وإنَّ إمارته كانت رَحْمةً».

فضلــه:

رَوَىٰ ابنُ عُمَر رضي الله عنهما قال: قال عُمَر: «وافَقْتُ ربي في ثلاث:

١ ـ في مقام إبراهيم.

٢ ـ وفي الحجَاب.
٣ ـ وفي أُسَارَىٰ بَدْرٍ»[١].

فإنه قال للنبي ﷺ وهم عند الكَعْبَةِ: «لو اتخذت من مَقَام إبراهيمَ مُصَلّىٰ» فنزلت: ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[٢].

وفي الحجاب: فإنه قال للنبي ﷺ:

«لَوْ أَمَرْتَ نِساءَكَ بالْحِجَاب، فإنه يَرَاهُنَّ البرُّ والفاجِرُ»، فنزلت آية الحجاب:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ ﴾[٣].

وفي أُسَارَىٰ بَدْر: فإنه أشار على النبي بقَتْلهم، وأشار أبو بَكْر بأَخْذ الفِداءِ وتَرْكِهم. فأَخذَ النبيُّ ﷺ برأي أبي بكر، رغبةً في الرحمة؛ فنزلت هذه الآية التي تُحبِّذ رأي عُمر:

﴿ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ[٤] فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ ﴾[٥].

وفي رواية: «إن الله جَعل الحق على لسان عُمرَ وقلبِه».

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) البقرة: ١٢٥.

(٣) الأحزاب: ٥٩.

(٤) الإثخان: القتل.

(٥) الأنفال: ٦٧.

وقال ابنُ عُمر رضي الله عنهما: ما نَزَلَ بالناس أَمْرٌ قَطُّ، فقالوا فيه، وقال فيه عمر؛ إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عُمر.

فبلغتِ الأمور التي نزل القرآن، يُوافق رأْيَه فيها خمسةَ عشرَ أَمْراً؛ رضي الله عنه، وأَرْضاه عنا، ونفعنا به!.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«بينا أنا نائم رأيْتُني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت: لمن هذا القصرُ؟ قالوا: لعمرَ. فذكرتُ غيرتَه فوليتُ مدبراً؛ فبكى عمر وقال: أعليك أغار يا رسولَ الله؟»[1].

عَن عقبةَ بنِ عامر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال:

«لو كان بعدي نبيٌّ، لكان عمرُ بنُ الخطابِ»[2].

خوفه من الله تعالىٰ:

عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما، أنه قال: لمَّا طُعنَ عُمرُ رضي الله عنه، دخلْتُ عليه فقلتُ له: أَبْشِرْ يا أَميرَ المؤْمنينَ! فإنَّ الله تعالىٰ قد مَصَّرَ بك الأمصار، ودفَعَ بك النِّفَاق، وأَفْشَىٰ بك الرِّزْق...

قال رضي الله عنه: أفي الإمارة تُثْني عليَّ يا ابنَ عباسٍ؟! فقلتُ: وفي غيرها.

قال عُمر: والذي نفسي بيده، لَوَدِدْتُ أنِّي خَرجتُ منها، كما دخلتُ فيها؛ لا أَجْرَ، ولا وِزْرًا.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه الترمذي.

وضعُه الترابَ على رأسه:

عن عُقْبَةَ بنِ عامر رضي الله عنه قال: لَمَّـا طَلَّـقَ رسولُ الله ﷺ حَفْصَة بنتَ عُمَر، وَضَع عُمرُ الترابَ على رأسه، وجعل يقُول: ما يَعْبَأُ اللَّهُ بعُمَرَ بعدَ هذا!.

قال: فنزَلَ جبريل عليه السلام من الْغَدِ، على رسول الله ﷺ فقال: إن الله تعالىٰ يأمُرك أن تُراجعَ حَفْصةَ، رحمةً لعمرَا!.

تعهده العجوز:

رُوِيَ أنه خرج في سَوَادِ الليل فرآه طلْحةُ، فذهب عُمر فدخل بيتاً، ثم دخل بيتاً آخرَ.

فلما أصْبَح طلحةُ ذهب إلـى ذلك البيْت؛ فإذا بعجوز عمياءَ مُقْعَدَةٍ! فقال لها: ما بالُ هذا الرجُلِ يأْتِيكِ؟ قالت: إنه يَتعاهَدُني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني، ويُخرج عنِّي الأذَىٰ!.

فقال طلحة: ثَكِلَتْكَ أُمُّك يا طَلْحةُ! أعَثَراتِ عُمَرَ تتبع!.

نظـره للـدنيـا:

عن الحسن قال: مَرَّ عُمر رضي الله عنه، على مَزْبلةٍ فاحتبس عِندها، فكأنَّ أصحابَه تأذوا بها؛ فقال:

«هذه دُنْياكم التي تَحرِصُون عليها»!.

زهـده فيهـا:

قالت حَفْصَةُ بنته: يا أميرَ المؤمنين! لو لبِسْتَ ثَوْباً هو ألْينُ من ثوبك! وأَكَلْتَ طعاماً هو أطْيبُ من طعامِكَ! فقد وَسَّع اللَّهُ عزَّ وجلَّ لك الرِّزْق، وأَكْثَرَ من الخير.

فقال: إنِّي سأخاصمكِ إلى نفسِك؟ أَمَا تَذْكُرينَ ما كان يَلْقَىٰ رسولُ الله ﷺ من شِدّة العيش؟! فما زال يُذكِّرها حتى أَبْكاها... وقال لها: والله إن قلتُ ذلك، أما والله لئن استطعتُ لأشاركَنَّهما بمثل عيشِهما الشديد، لَعَلِّي أُدركُ معهما عيشَهُمَا الرخي.

فرار الشيطان وخوفُه من عمرَ:

رُوِيَ عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: استأْذَنَ عُمرُ على النبي ﷺ، وعنده نِسْوَة من قريشٍ، يَسْأَلْنَه ويستَكْثرنه، عاليةً أَصْواتُهن على صَوْته!.

فلما أُذِن له تَبادَرْنَ الْحِجابَ، فدخَل ورسولُ الله ﷺ يَضْحَكُ.

فقال عُمر: بِأبي أَنْتَ وأُمي يا رسولُ الله! أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّك! ما يُضْحِكُكَ؟.

فقال ﷺ: «عَجِبْتُ من هؤُلاء اللاتي كُنَّ عِنْدِي، فلما سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبادَرْنَ الْحِجَابَ»!.

فقال عُمر: فأَنْتَ يا رسولَ اللّهِ! ـ بأبي أَنْتَ وأُمي ـ كُنْتَ أَحَقَّ أن يَهَبْنَكَ. ثم أَقبل عليهن فقال:

أَيْ عَدُوَّاتِ أنفسِهن! أَتهَبْنَني ولا تَهَبْنَ رسولَ الله!.

قلن: نعم، أنت أفظُّ وأغلظ(١) من رسول الله ﷺ.

---

(١) تنبيه: هذا في علم البلاغة أفعل تفضيل على غير بابه؛ لأنه عليه الصلاة والسلام ليس بفظ ولا غليظ؛ بل هو: ألطف الناس جانباً، وألينهم عريكة، وأحلاهم حديثاً.

فقال عليه الصلاة والسلام:

«إيهاً يا ابنَ الخطابِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده، ما لقيكَ الشيطانُ سالكاً فجاً، إلا سلك فجاً غيرَ فجِك»[1،2].

عـامـلـه:

حُكيَ أن عُمر بنَ الخطاب، استعمل سعيدَ بنَ عامِر، وَالِياً على حِمْص، فلما قَدِمَ عُمَرُ رضي الله عنه زائراً حِمْصَ قال: يا أهلَ حِمْص! كيف وَجَدْتُم عامِلَكُم؟ فَشَكَوْه إليه، قالوا: نَشْكُوه أربعاً:

١ ـ لا يَخْرُجُ إلينا حتى يتعالَى النهار!.

قال عُمَرُ: أَعْظِمْ بها! قال: وماذا؟.

٢ ـ قالوا: لا يُجِيب أَحَداً بِلَيْلٍ!.

قال: وعَظِيمةٌ! قال: وماذا؟.

٣ ـ قالوا: وله يومٌ في الشهر، لا يَخْرُج فيه إلينا!.

قال: وعَظِيمةٌ! قال: وماذا؟.

٤ ـ قالوا: يَغْنِظ[3] الْغِنْظَةَ بينَ الأيام.

فَجَمَع عُمر بينهم وبينَه، ليحاكِمَه على هذه الْخِصَال المشَوِّهةِ لِسُمْعة الْوُلاة! فلما اجتمعَ وإيَّاهم في مجلس الحُكْم ـ والحاكِمُ عُمر.

---

(١) وفي رواية: «إيه يا ابن الخطاب» أي: كف عن مناقشتهن، فإنهن ضعيفاتٌ لا يقدرن عليك، لأن الشيطان ما لقيك في فج ـ أي طريق ـ إلا سلك غيرَه خوفاً منك؛ فكيف بالنسوة!؟».

(٢) رواه الشيخان.

(٣) الغنظ: أشد الكرب والجهد. وقيل: هو أن يشرف على الموت من شدته.

فقال عُمر رضِي الله عنه: ما تَشْكُونَ منه يا أَهْلَ حِمْص؟ قالوا: لا يخْرُج إلينا حتىٰ يتعالىٰ النهارُ.

قال سعيد رضي الله عنه:

والله يا أَميرَ المؤْمنينَ! إنْ كُنتُ لأكْرَه ذِكْرَهُ، ليس لأهْلي خادِمٌ، فأعْجِنُ عَجِيني، ثم أَجلسُ حتىٰ يَخْتَمِرَ، ثم أَخْبزُ خُبزِي، ثم أَتوضَّأُ ثم أَخرجُ إليهم.

فقال عمرُ: ما تَشْكُونَ منه يا أهلَ حمْص؟.

قالوا: لا يُجِيبُ أَحَداً بِلَيْلٍ.

قال عُمر: ما تقول يا سعيد؟.

قال سعيد: إنْ كُنتُ لأكْرَه ذِكْرَهُ يا أَميرَ المؤمنين! إني قد جعلْتُ النهارَ لهم، وجعلْتُ الليلَ لله سبحانه.

فقال عُمر: ما تَشْكُونَ منه أيضاً؟.

قالوا: إنَّ له يوماً في الشهر، لا يخرجُ إلينا فيه.

قال عُمر: ما تقول يا سعيد؟.

قال: يا أَميرَ المؤمنين! ليس لي خادِمٌ يَغْسِلُ ثيابي، وليس لي ثياب أبدلها، فأجلسُ حتى تَجفَّ؛ ثم أَدلِكُها؛ ثم أَخرجُ إليهم من آخر النهار.

قال عُمر: ما تَشْكُونَ منه أيضاً؟.

قالوا: يَغْنِظُ الْغِنْظَةَ بينَ الأيام .

قال عُمر: ما تقولُ يا سعيدُ؟.

قال سعيد: شَهدتُ مَصْرَعَ خُبيبٍ الأنصاريِّ بمكةَ، وقد بضَّعتْ قريش لحمَه، ثم حملُوه على جَذعة فَصَلَبوه عليها وقالوا: أَتحبُ أَنَّ مُحمداً مكانَك، وأنت في أَهْلك وَوَلدِك؟!.

فقـال رضي الله عنـه: والله مـا أُحِبُّ أنّي في أهْلي وولـدي، وأن مُحمداً ﷺ شيكَ بِشَوْكة!.

فقال سعيد: ما ذكَرْتُ ذلك اليومَ، وتَرْكِي نُصْرَتَه في تلك الحالِ ـ وأنا مُشْرِكٌ لا أؤمن بالله العظيم ـ إلا ظننتُ أن الله عزّ وجلّ لا يَغْفِرُ لي بـذلك الذنبِ أبداً، فتُصِيبُني تلك الغِنْظَةُ.

فقال عُمر: الحمدُ لله الذي لم يُفِلْ فِراسَتي. فبعث إليه بألف دِينارٍ وقال: استَعِنْ بها على أمْرِك!.

فقالت امرأتُهُ: الحمدُ لله الذي أغنَانا عن خدمتك!.

فقال لها: فهلْ لكِ خيرٌ من ذلك؟ نَدْفَعُها إلىٰ من يأْتينا بها أحْوَجَ ما نكُون إليها.

قالت: نعم؛ فدعَا رَجُلاً من أهل بيته يثق به، فَصَرَّها صُرَراً ثم قال:

انطلق بهذه إلى أرملة آلِ فُلاَن، وبهذه إلى يتيمِ آلِ فُلاَن، وبهذه إلى مسكينِ آلِ فلاَن، وبهذه إلىٰ مُبتَلىٰ آلِ فُلان.

فبقِيَتْ منها ذُهَيبَةٌ، فقال لأهْله: أنفقي هذه!.

ثم عاد إلى عَمَلِهِ. فقالت له امرأته يوماً: ألاَ تَشْتَرِي لنا خادِماً! ما فَعَلَ ذلك المالُ؟ فأجابها رضي الله عنه قائلاً:

سيأْتيكِ أحوجَ ما تكُونينَ إليه!.

من مظاهر عدله:

حُكيَ أن وَلَداً من أولاد عَمْرو بنِ العـاص وَالي مِصر، ضَـرَبَ أحدَ الأقباطِ بِسَوْطه!فَشَكَا القِبطيُّ إلى أميرِ المؤمنينَ عمرَ الفاروق رضي الله تعالىٰ عنه.

فكَتب أميرُ المؤمنين إلى عَمْرو بنِ العاص، يأمُرُه بالحضُور معَ ابنهِ.

ودَعَا القبطيَّ، فلما اجتمعوا في مجلس الْحُكْم، واعترفَ ابنُ عَمْرو بتَعَدِّيه على القِبطيِّ، وضَرْبِه بدون مُبررٍ ولا سبب!.

فناوَلَ أميرُ المؤمنينَ القبطيَّ سَوْطَه، وقال له:

«اضْرِبْ ابنَ الأكْرَمين». فانْهَالَ القبطيُّ بالسَّوْط عليه فَضَربه.

فقال عُمر: أدِرْها على صَلْعة عَمْروا!.

فقال القبطيُّ: يا أميرَ المؤمنينَ! لقد ضربتُ مَنْ ضَرَبني.

فقال عُمر: والله، لو فَعَلْتَ ما مَنَعْنَاك!.

فإنه إنما ضَرَب بسُلطان أبيه؛ ثم التفتَ إلى عَمْرو وقال كلمتَه الخالدة:

«يَا عَمْرو! مَتى استعبدتُم الناسَ وَقد ولَدتهُم أُمّهاتُهم أحرارًا؟».

حمزة بن عبد المطلب

أسد الله ورسوله

كان حمزةُ ـ رضي الله عنه ـ قبلَ إسْلامه، رجُلاً يُحِبُّ الحياةَ ويُقْبِل عليها، يتمتّع بملذاتِها وشَهواتها؛ وقد اجتمع له: المال، والجاه، والقوة!.

بينما كان ابنُ أخِيه مُحمدُ بنُ عبدِالله ﷺ يَدْعُـو الناسَ إلى الله، ويُبَيِّنُ لهم حق الله تعالىٰ، وحق عِباده، وليس في دِين الإسلام طَلاَسِم ولا غُموض!.

ولا يستطيعُ أحَدٌ أن يستغلَّ الدين ـ مهما كان، ومن أيْنَ كان ـ لنفسِه دونَ غيرِه.

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾[1].

وإذا أراد الله أن يُكرمَ عَبداً، أدْخلَ نُورَ الْهِداية في قلبه.

وإنَّ سيدنا حَمْزَةَ من الذين أكْرَمهُم الله بالإيمان، حتىٰ بدأ يشعر به قبلَ أن يُعْلِنَ إسلامَه للناس.

وفي يومٍ من أيام مكّةَ المكَرَّمة، أرسَلَتِ الشمسُ أشعَّتها على البيت الْعَتيق، وإن حُبَّ هذا البيتِ يملأ قُلوبَ الجميعِ.

(١) يوسف: ١٠٨.

غير أنَّ للمؤمنين ـ الذين آمنوا بالله ورسوله ـ نظرةً خاصَّةً لهذا البيت الحرام . . .

وكان الناس يَطُوفون بالكَعْبة المشَرَّفة على حَسب دِينهم؟ فالمشرِكُون يَعْبُدُون اللاتَ والْعُزَّىٰ، وغَيْرَهما من الأَصنام التي صَنَعُوها بأيديهم! .

والمؤمنون يعبدونُ الله ولا يُشْرِكُون به شيئاً، بعدما أَرسل الله إليهم مَنْ أَنْقَذَهم مِنَ الكُفْرِ إلى الإيمان، ومن عِبادةِ العبادِ إلى عبادةِ الله ربِّ العالمينَ، ومن جَوْر الأَديان إلى عدلِ الإسلام .

وفي صَبيحة كلِّ يوم، يتمادَىٰ المشركون في إيصالِ الأَذَىٰ إلى رسول الله ﷺ، وصحابتِه المستَضْعَفين ـ رضوانُ الله عليهم أَجمعين ـ وكانَ أَشَدَّ المؤْذِينَ لرسول الله ﷺ وصحابتِهِ، ذلِك الطَّاغِيةُ الكبيرُ أَبو جَهْل لَعنه الله! .

فكان يتفَنَّن معَ المشركينَ في إيصالِ الأَذَىٰ إلى الرسول الكريم ﷺ، وأَصحابِه رضي الله عنهم .

وفي ذاتِ يومٍ، عادَ حمزةُ رضي الله عنه من «قَنَصِه»[1] متوشِّحاً قَوْسَه، وكان إذا رجع لم يَصِل إلى أَهله حتىٰ يَطُوفَ بالكَعبة، ـ حرسَها الله وزادها شَرَفاً ـ متحدِّثاً عن صَيْدِه مع حَلَقاتها! .

وهناك اقتربت منه مولاةٌ لعبدِ الله بنِ جدعانَ وقالتْ:

ـ وَاذُلاه يا بني عَبْدِ مَنَافٍ! يا أَبَا عُمارةَ! لو لَقِيتَ ما لَقِيَ ابنُ أَخِيك

(١) القنص محركة: المصيد .

«مُحَمدٌ» من أبي الْحَكَم بنِ هشام[1]! وَجَدَهُ ها هنا جالساً فآذاه وسَبَّه، وبلَغ منه ما يكْرَه! ثم انصرف عنه، ولم يُكَلِّمْه «محمدٌ» ـ ﷺ ـ.

دفاعه عن رسول الله ﷺ:

وهنا غَضِبَ حمزةُ غضباً شَدِيداً، وقال في نفسه: ماذا فعل ابنُ أَخِي حتىٰ يَلْقَىٰ كلَّ هذا؟ أَوَ لَيْسَ يَدْعُوهم إلى خير ما في هذه الدنيا وما بعدَها؟ أَلَا إنَّ أَمْرَ ابنِ أخي لَحَقٌّ!.

ففكَّر في أيامه الخوالي التي قضاها حَياةً جاهِليةً كلُّها شَهواتٌ، وحُبُّ نفس، وإعراض عن الإلَه الخالق ـ جلَّ جلالُه ـ وفكَّر في ابن أخيه ـ الصَّادقِ الأَمين ـ وكلماتِ الله الخالدة، التي تنزلُ عليه بين الْفَيْنَة والْفَيْنَة!.

فأضمر في نفسِه أن يَنْصُرَه على أعدائه، حتىٰ يتمكَّنَ من أداءِ دعوتِه!.

فذهب يسعَى يبحثُ عن أبي جَهْل في المسجد الحرام، فوقَعَ بَصَرُهُ عليه وهو بينَ الْقَوْم، فأقبلَ نحوَه حتىٰ إذا قام على رأسه ورفع قوْسه فَضَرَبَهُ بها فشَجَّهُ شَجَّةً مُنكرَةً! ثم صاحَ فيه: أَتَشْتِمُهُ وأنا على دِينه! أَقول ما يقُول، فَرُدَّ ذلك عليَّ إن استطعتَ.

هُنا أُصِيبَ أبو جَهْل والمشركُون بصاعِقَةٍ نزلت على رؤوسهم، أَفي كل يوم يَعْلُو شأنُ مُحَمدٍ، وتكثرُ جماعتهُ؟!.

قَالَ اللهُ تَعَالَى:

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2].

---

(١) كانت كنيته: أبا الحكم، وعندما أصر على الكفر ـ بعدما رأى المعجزات على يد رسول الله ﷺ ـ كناه الرسول ﷺ: أبا جهل.

(٢) الصف: ٨.

فكانت الصَّدْمةُ لأبي جهل، أَقْوىٰ من الضَّرْب والشَّجِّ، الذي ناله من حمزة.

وأراد بعضُ المشركينَ أن ينتقمَ من حمزةَ المؤمن، دِفاعاً عن زعيمهم أبي جهل!.

فقال لهم أبو جهل: دَعُوا أبا عُمارةَ، فإني ـ والله ـ لقد سَببتُ ابنَ أخيه سَبّاً قَبِيحاً!.

وهكذا انتهت هذه المعركةُ، بينَ حمزةَ وأعداءِ الله!.

لقد تلاشَتْ قوةُ الكُفْر، بجانب النفسِ المؤمِنة المطْمَئنةِ بنَصْر اللّهِ جلّ جلاله.

الله أكبر! مَنْ يَجْرُؤُ أن يتكَلم معَ أبي جهل كلاماً يُزْعِجه، فكيف بمن يَضْرِبه؟! ولكنَّ الحقيقةَ الإيمانيةَ هي التي تجعل من الإنسان قُوةً فوقَ قوته.

هكذا أدخَل اللّهُ النورَ الإيمانيَّ في القلب الرحيم، الذي أنْصَف رسولَه محمداً ﷺ، ثم رجع حمزةُ رضي الله عنه إلى بَيْتِه... ولكن ما له يُفَكِّر؟ وما الذي يَشغل بالَه؟ كلمةُ حقٍ نطق بها على مَرأىٰ ومَسْمع المشْرِكين...

ولكنَّ للإنسان شيطاناً يُوَسْوِس له، فَأَتاهُ بصُورة رجُل ناصِح وقال له: أَنْتَ سَيِّدُ قريشٍ، اتبعتَ هذا الصَّابىءَ وتركْتَ دِينَ آبائِك! لَلْمَوْتُ خيرٌ لك مما صَنعتَ!.

ويُقْبِلُ حمزةُ المؤمن على نفسِه يقول: ما صنعتُ؟ اللهمَّ إن كان رُشْداً فاجعل تَصْدِيقَه في قَلبي! وإلاَّ فاجعلْ لي مما وَقَعْتُ فيه مَخرجاً... ويسكُت، وتُحَدِّثه نفسُه مرةً أُخرىٰ:

إنَّ عندَ صاحبِ الدَّين الْمُؤْنَةُ الصَّادقةَ في أمرك.

وينْطلق إلى صاحب الدَّين.. ويقفُ بباب «رسولِ الله» ﷺ خاشِعاً... ما اهذا النُّورِ في عيني هذا الرجُلِ، يقذفُ في قلب عَمِّه المؤمن، فلا يستطيعُ الذي يراه إلَّا أن يُذْعِنَ بأنه مَدَدٌ من السماءِ.. من اللّهِ ربِّ العالمين.. الذي أَلْهمَه الإيمانَ قبلَ أن يُفكِّر هو فيه! سُبحانك ربِّي ما أعظمَك.

وأقبل حمزةُ رضي الله عنه يروِي القِصَّة على الرسول الكريم!.

- يا ابْنَ أخِي! إنِّي قد وقعت في أمْرٍ، ولا أعرفُ المخرَجَ منه، وإقامةُ مثلي على ما لا أدري ما هو؟ أَرُشْدٌ أمْ غَيٌّ؟.

فَحَدِّثْني حديثاً... فقد رَغِبْتُ أن تُحَدِّثني!.

وأقبل رسولُ الله ﷺ يَعِظُهُ ويُذَكِّره، ويُخَوِّفه ويُبَشِّره.

فيَسْمَع حمزةُ كلامَ الرسُولِ الصادقِ المصْدُوق، ﷺ، فيبكِي.. ويبكِي... يبكِي على أيامِه الخوالي من الإيمان.

حمزة يعلن إسلامه:

... ويَدْخل السرورُ إلى قلب سَيِّدنا «مُحمد» ﷺ، عندما أعْلنها حمزةُ مُخلِصَةً: «أشْهدُ أنَّكَ صَادِقٌ، شهادةَ الصِّدق، فأَظْهِرْ يا ابنَ أخِي دِينَك، فوالله ما أُحِبُّ أنَّ لي ما أظلته السماءُ وأنا على دِيني الأول!».

وأنْشد رضي الله عنه حين أسْلَم أبياتاً:

حَمِدْتُ اللّه حِينَ هَدَى فؤادي ... إلى الإسلام والدِّينِ الْحَنِيفِ
لِدينٍ جاءَ مِنْ رَبٍّ عَزِيزٍ ... خَبيرٍ بالْعبادِ بهمْ لَطِيفِ
إذا تُلِيَتْ رَسَائِلُهُ علينا ... تَحَدَّرَ دَمْعُ ذي اللُّبِّ الْحَصِيفِ
رسائلُ جاءَ أحْمَدُ من هُداها ... بآياتٍ مُبيَّنَةِ الْحُرُوفِ

رؤيته لجبريل عليه السلام:

وفَرِحَ المؤمنون بإيمان حمزةَ، وانخذَلَ المشْرِكُونَ أعداءُ اللَّهِ بإيمان هذا البطل!.

وبعدما اطمئنَّ قلبُه بالإيمان، وبدأ يحضر مجالسَ النبي ﷺ ليتَفقَّه في دِين الله...

وفي ذات يومٍ، خَطَر على بَالِه أن يَرَىٰ أمينَ الوحْي جبريلَ عليه السلام.

فَطَلَبَ من سيدنا رسولِ الله ﷺ، أن يُرِيَهُ جبريلَ عليه السلام.
فقال له ﷺ: «إنك لا تستطيعُ أن تراه».
فقال حمزة: بَلَىٰ! فقال النبي ﷺ: «فاقْعُدْ مكانَك!».

قال: فنزل جبريل عليه السلام على خَشَبَةٍ في الكَعْبة، كان المشركُون يَضَعُونَ ثيابهم عليها إذا طافُوا بالبيت!.

فقال له رسولُ الله ﷺ: «ارْفَعْ طَرْفَك»، فنظَرَ فإذا قدماه مثلَ الزَّبَرْجَدِ الأخضر، فَخَرَّ مَغْشِيّاً عليه!.

جهاده في سبيل الله:

كان حمزة رضي الله عنه، حريصاً على الدِّفاع عن دِين الله، فتراهُ يبذلُ نفسَه رخيصةً لإعلاءِ كلمةِ الله.

فبعد أن هاجَر الصَّحابةُ رضوان الله عليهم، من مكةَ المكرمة إلى المدينة المنورة ـ برسولها ﷺ ـ كان من جُمْلة المهاجرين حمزةُ رضي الله عنه، فما أنْ خرَجَ رسولُ الله ﷺ إلى «بَدْر» مع قليلٍ من أصحابهِ، كان حمزة مِنَ المرافِقين لرسول الله ﷺ، وعندما وقعت المعركة مع المشركين في

«بَدْر» ـ وكانت غيرَ مُتوقَّعة ـ انطلق البطلُ الْهُمام «حمزةُ» يُقَاتِلُ بسيفين، فأَبْلَىٰ بلاءً حَسناً، وكانت همتُه عالية، فَسماهُ رسولُ اللهِ ﷺ: «أَسدَ اللَّهِ، وأَسَدَ رسولِه» ﷺ، ودارت دَوْرَةُ العام، ووقَعَتْ غَزْوَة «أُحُد».

البطل الشهيد في أُحد:

انتصَرَ المسلمون في «أُحد» قبل أن يُخَالِفَ الرُّماة عن أمر رسولِ الله ﷺ؛ ذلك أنهم رأوا إخوانهم قد انتصَرُوا، وانهزَم أعداءُ الله!!.

وبدأ المسلمون بجمع الغنائم ونَزَلَ الرُّماة، وظَنَّ بعضُهم أن الأمر قد انتهىٰ! فكَرَّ عليهم خالد بنُ الوليدِ ـ وكان يومئذ مُشْرِكاً ـ فانقلب الجيش الإسلامي يُواجِه المعركةَ من جديد، فتشتت صُفُوفُ المسلمين وفَرَّ بعضُهم.

ولكن رسولَ الله ﷺ ثَبَتَ في مكانِه وهو يقول: «هَلُمُّوا إليَّ أيها الناس!».

وبدأ يضرب المشركين، فالْتَفَّ حولَه ـ ﷺ ـ الصَّحابةُ ومن بينهم حمزةُ، فقاتَلَ المشركِينَ قِتَالَ الأَبطالِ، حتىٰ قَتَلَ منهم واحداً وثلاثين مُشْرِكاً في يوم واحد!.

وهنا لا يستطيعُ الْقَلم أن يكْتُبَ عن قِصَّة الْغَدْر، التي أَحاطَتْ بسيدنا حمزةَ رضي الله عنه، إلا أن يمرَّ على الموضوع مرورَ الذي رأى ما يكْرهه وهو يَسِير!.

نُحَيِّي بطلاً جَليلاً، نحيي عَمَّ رسولِ الله ﷺ وصاحبَه، الذي بقي يُدَافع عن الإسلام دفاعَ مَنْ لا يخافُ الموتَ، حتىٰ أَكْرَمَه الله بالشَّهادة في سبيله، التي هي أُمنية الشبابِ المسْلمِ، الذي يعرف قَدْرَ الشَّهيد ومَنْزِلتَه عِنْدَ اللَّهِ تعالىٰ.

عن جابر بنِ عبدِالله رضي الله عنهما قال: فقَدَ رسول الله ﷺ يومَ «أُحُد» حمزة ـ رضي الله عنه ـ حين فاءَ الناسُ من القتال. . .

فقال رجُل: رأيته عندَ تلك الشَّجرةِ وهو يقول: أنا أسَـدُ اللَّهِ، وأسَدُ رسوله، اللهم إنّي أبْرَأُ إليك مما جاءَ به هؤلاءِ ـ يعني الكُفَّار ـ وأعتذِرُ إليك مما صنع هؤلاءِ ـ من اجتهادِهم الخاطىء ـ فَسَارَ رسولُ الله ﷺ نحـوَهُ، فلما رأى جَبْهَتَهُ بَكَىٰ، ولما رأى ما مُثِّل به شَهَقَ، ثم قال: ألَا كَفَنٌ؟ فقام رجُل من الأنصار فَرَمَىٰ بثوب!. .

قال جابر رضي الله عنه: فقال رسولُ الله ﷺ: «سَيِّدُ الشُّهَداءِ عندَ اللَّهِ تعالىٰ يومَ القيامة: حَمْزَةُ».

زهده حياً وميتاً:

عن خَبَّاب بن الأرَتِ رضي الله عنه قال: لقد رأَيْتُ حمـزةَ رضي الله عنه، وما وَجَدْنَا له ثَوْباً نُكفنه فيه غيرَ بُرْدَةٍ!.

إذا غَطَّينا بها رجليه خرج رَأْسُه، وإذا غَطَّينا بها رأْسَه خرجت رِجْلاه، فغطَّينا رأْسَـه ووضَعْنا على رِجْليه الإذْخرَ[١]!.

دُفِنَ سيدنا حمزةُ بن عبدالمطلب، وابن أُختِه عبدُالله بنُ جحش، في قبر واحد عند جبل «أُحُد» وقبرهُ مشهور يُزَار.

فرضِي الله عنك يـا عمَّ رسولِ الله ﷺ! ، لقـد جاهَـدْتَ في الله حَقَّ جِهَـادِهِ، وبذلْتَ نفسَك رخيصةً في سبيل نُصْرَةِ الدِّين الْحَنِيف؛ الذي لولاه لَكُنَّا في ضلالةٍ ضَلَّاءَ، وجَهَالةٍ عمياءَ!.

---

(١) الإذخر: الحشيش الأخضر، حشيش طيب الريح.

رضِيَ الله عنك يا أَسَدَ اللَّهِ ورسولِه! لقد علَّمتنا كيف تكُون التضحية في سبيل الله لإعلاء كلمته!.

رضِيَ الله عنك وأرْضَاك، وحشرنا معك في زُمرة المجاهِدين الصادِقين، تحت لواءِ ابنِ أخيك سيدنا مُحمد ﷺ... آمين.. آمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

موجز من حياته المباركة:

لقبه: أَسَدُ اللَّهِ وأَسَدُ رسولِهِ ﷺ.

اسمه: حَمْزَة.

نسبه: ابن عبدِالمطلب، بنِ هاشم، بنِ عبدمَنَاف، بن قُصيِّ. أُمّه هالة بنتُ وهيب، بنِ عبدمناف، بنِ زُهرة، بنِ كلاب، بنِ مُرَّة.

كنيته: كان يُكنىٰ أبا عُمارة، وقيل: كان يكنىٰ أبا يعلىٰ.

أولاده أربعة:

١ ـ يعلىٰ.

٢ ـ عامر.

٣ ـ عُمارة.

٤ ـ أمامة.

أزواجه:

١ ـ بنتُ الملَّة بن سالك؛ ولَدَت له: يعلىٰ وعامر.

٢ ـ خَوْلة بنت قيس؛ ولدت له: عُمارة.

٣ ـ سَلْمىٰ بنت عُميس؛ ولدت له: أُمامةَ.

أحفـاده:

كان لابنه يعلىٰ أولاد: عُمارةُ، والفضلُ، والزُّبيرُ، وعَقيلُ، ومحمدُ، درجوا[1] فلم يبقَ لسيدنا حمزةَ ولد ولا عقب.

عمـره:

كان رضي الله عنه أسَنَّ من رسول الله ﷺ بسنتين، وقيل: بأربع.

إسـلامـه: أسلم رضي الله عنـه في السنـة الثـانيـة مـن مَبْعثِ رسولِ الله ﷺ.

هجرته: هاجَرَ رضي الله عنه إلى المدينة.

جهاده: شَهِدَ بدراً، وبارَزَ وأبْلىٰ فيها بلآءً عظيماً، وقاتل بسَيْفَين!.

استشهاده: نالَ بُغيتَه التي هي الشهَادةُ في سبيل الله يومَ «أُحُـد» في نصف شوال، من السنة الثالثة من الهجرة، بعد أن قَتَل واحداً وثلاثين من الكُفَّار.

مدفنه: دُفِنَ عند جبل «أُحُد» مع عبدِ الله بنِ جحش في قبر واحد. وحمزة خالُ عبدِالله بنِ جحش، وقبرُه مشهور يُزَار.

والذين نزلوا قبره أربعة:

١ ـ أبو بكر الصديق.

٢ ـ عمر بن الخطاب.

٣ ـ علي بن أبي طالب.

٤ ـ الزبير بن العوام، رضي الله تعالىٰ عنهم.

---

(١) درج من باب دخل: واندرج أي: مات.

ورسول الله ﷺ جالس على حفرته، ويقـول: «رأيت الملائكـة تغسل حمزةَ»[1]. لأنه كان جُنُباً ذلك اليوم!.

(١) روى محمد بن كعب القرظي، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قُتل حمزة بن عبدالمطلب جنباً، فقال رسول الله ﷺ:
«غسلته الملائكة» أخرجه الحاكم في مستدركه وقال: «صحيح الإسناد». «السنن الكبرى» للبيهقي: (٤/١٥).

عبد الله بن عبّاس
حَبْر الأمّـة

ولادتـه:

ولـد عبدُالله بنُ عبـاس رضي الله تعالىٰ عنهمـا قبـلَ الهجـرةِ بثـلاث سنوات، ولما توفي رسـولُ الله ﷺ، والتحق بالـرفيق الأعلىٰ، كان لـه من العمر ثلاثَ عشرة سنةً فحسب.

ولما وضعته أمُه، أتت به النبيَّ ﷺ، فحنكه، وأذَّن في أذنه اليمنىٰ، وأقام في اليسرىٰ، ودعا له.

نشـأتـه:

فما فتح الغـلام أجفانَـه، ودخل في سن التمييـز، حتىٰ درج مَدارج الكملَةِ من الرجال، ممن يُقدِّرون قَدْرَ العلم. .

فلازم رسولَ اللّهِ ﷺ، ملازمةَ العين لأختها، في الحضر والسفر، قام بخدمته، حقَّ القيام، يَعدُّ لَهُ ماءَ وَضوءِه، ويكون رديفَه إذا ركب، وجليسه إذا جلس، ومأمومَه إذا صَلَّىٰ.

وقد وصل حبُّه شغافَ قلبهِ، وتغلغل جميعَ ذَراتِه، فأذهلهَ عما درجَ عليه أترابُه، من حبِّ اللعبِ واللهو.

دعاء النبي ﷺ له:

قال ابن عباس: أعددتُ مرَّة ماء وَضوءِ رسولِ الله ﷺ، بدون طلبٍ، فسُرَّ بذلك رسولُ الله ﷺ، ولما قام إلى الصلاة، رغب أن أكون في جانبه، فوقفت خلفه، فلما انصرف من صلاته، قال: ما منعك أن تكون بإزائي؟.

فما كان سرعانُ أن قال: أنت أجل وأعظم يا رسول الله! من أن أوازيك، فرفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم آته الحكمةَ».

وقد استجاب الله دعوة نبيهِ، حتى تفوَّق على أساطين الحكماء والعلماء. وعن عكرمةَ، عن ابن عباس ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ قال: ضمني رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم قال: «اللهم علِّمه الحكمة».

وفي رواية:

ووضع يدَه على صدره، فوجدَ الغلامُ بَرْدَها في ظهره، ثم قال: «اللهم احشُ جوفَه حِكَماً وعِلْماً».

وفي رواية:

«اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل».

لُقِّبَ بترجُمَانِ القرآنِ، لكثرةِ معرفتِه من معانيه. وكان يُسمىٰ بَحراً، لغزارة علمه.

ما رواه من الأحاديث: لقد حمل الغلام مع حداثة سنه، في جعبته للأجيال القادمة بعده، ما لم يحمله جُلُّ الصحابةِ، لقد حمل سِفراً كبيراً من الأحاديث المتفق على صحتها، قد بلغَتْ ألفاً وستمائة وستينَ حديثاً، أثبتها البخاري، ومسلم، في كتابيهما.

تعلمه العلم وتعليمه:

وهكذا دأب ابنُ عباس من نعومة أظفاره، على طلب العلم وحبِّ العلماء، حتىٰ بلغ مبلغاً أدهشَ عقولَ الفحول من الرجال، ولما اكتمل في الطلب، وأتم تحصيلَه: تحول إلى معلم كبير، ومربٍّ عظيمٍ.

فأقبل الناس عليه إقبالِ الظامىء على المورد العذب، حتىٰ أصبحَ بيتُه جامعةَ ثقافةٍ وعلم، فيها ما تشتهيه الأنفسُ مما لذَّ وطابَ...

شهادة بعض الصحابة له:

قال أحد الأصحاب: لقد رأيتُ من ابن عباس مجلساً لـو أن جميع قريش افتخرت بـه، لَحُقَّ لها أن تفتخـر، نعم؛ لقد رأيتُ النـاسَ زَرافاتٍ ووحدَاناً، قد غصَّ الطريقُ المـوصلة إلى بيته، حتىٰ ضـاقت بهم السبلُ، وسدوها على المارين... فدخلت عليه وأخبرته بتلك الحشودِ.

فقال لي: ضع لي وَضوءاً، فتوضأ وجلس، وقال: أُخرج وقل لهم: من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه، فليدخل.

فخرجت فقلتُ لهم: فدخلوا حتىٰ ملؤا البيتَ، فما سألوه عن شيءٍ إلا وأخبرهم به وزادَهم.

ثم قال: افسحوا الطريقَ لإخوانكم، ثم قال: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويلِهِ، فليدخل.

فخرجت فقلتُ لهم: فدخلوا حتىٰ ملؤا الحُجرةَ، فما سألوه عن شيء إلا وأخبرهم وزادهم!.

ثم قال: افسحوا لإخوانكم..

وهكذا حتى ذكر الفرائض، والشعر، وعلمَ العربية، وغيرَ ذلك...

تقديمُ عُمرَ لـه:

قال علماءُ السيرة والتاريخ: لقد غدا ابنُ عباس بفضلِ علمه، ورجاحة عقله، مستشاراً للخليفة العادل ـ مع حداثة سنه ـ أميرِ المؤمنين عمرَ بن الخطاب! فكان إذا استصعب عليه أمرٌ، أو واجهته مشكلةٌ، دعا جُلَّ الصحابة ومن بينهم ابنُ عباسٍ.

وقد عُوتِبَ مرةً في تقديمه، وجعلِه في صفِّ الشيوخ! فأجاب رضي الله عنه قائلاً: **إنه فتى الكهول، له لِسانٌ سَؤول، وقلبٌ عَقول.**

وصيـة أبيـه لـه:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي أبي:

أي بني! إني أرى أميرَ المؤمنين يدعوكَ، ويُقربكَ ويستشيرك، مع أصحابِ رسولِ الله ﷺ، فاحفظ عني ثلاثَ خصالٍ:

١ ـ لا يُجربنَّ عليك كذبةً.

٢ ـ ولا تُفشينَّ له سراً.

٣ ـ ولا تغتابنَّ عندَه أحداً.

قال عامر الشعبي: كل واحدة خيرٌ من ألف.

قال ابن عباس: كل واحدة خير من عشرة آلاف.

حكمتـه وحِكَمـه:

عن الضحاك، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

من قال: بسم الله، فقد ذكر الله.

ومن قال: الحمد لله، فقد شكر الله.

ومن قال: الله أكبر، فقد عظَّم الله.

ومن قال: لا إله إلاّ الله، فقد وحَّد الله.

ومن قال: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، فقد أسلم واستسلم، وكان له بها كنزٌ في الجنة.

وقال رضي الله تعالىٰ عنه مخاطِباً أربابَ المعاصي، بعبارات تُسيل الدمعَ الهتون:

يا صاحبَ الذنب! لا تأمن من عاقبة ذنبك، واعلم أن ما يتبع الذنبَ أعظمُ من الذنب نفسِه، فإنَّ عدمَ استحيائِك ممن على يمينك، وعلى شمالك، وأنت تقترف الذنبَ لا يقل عن الذنب.

وإن ضحكك عند الذنب، وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك، أعظم من الذنب!.

وإن فرحك بالذنب إذا ظفرت به، أعظمُ من الذنب!.
وإن حزنك على الذنب إذا فاتك، أعظمُ من الذنب!.

وإن خوفك من الريح إذا حرَّك سِترَك، وأنت ترتكب الذنبَ، مع كونك لا يضطرب فؤادُك من نظر الله إليك، أعظمُ من الذنب!.

يا صاحبَ الذنبِ! أتدري ما كان ذنبُ أيوبَ، حينَ ابتلاه اللَّهُ بجسده وماله؟.

إنما كان ذنبه أنه استغاث به مسكينٌ ليدفعَ عنه الظلم، فلم يُعنه!.

شمائله رضي الله تعالى عنه:

وكان ابن عباس من أجمل الناس شكلاً في عين مُجتليه، وأفصحِهم لساناً في نظر محدثيه، وأعلمِهم علماً لمناظريه، وجمعَ إلى هذا خشيةَ اللَّهِ تعالىٰ، والخوفَ منه، حتى خدَّ الدمعُ على خديه الأسيلين وأثَّر.

وأكرمه الله بشرف الصحبة، وشـرفِ النسبِ، وشرفِ العلمِ، فقلمَا تجتمع هذه في إنسان.

وكان حكيماً عليماً، قسيماً وسيماً مُحَبباً، أعطىٰ للخاصة من الناس ما يرومونَه، ولم يضيع حقَ العامةِ؛ بل جعل لهم مجلساً يَعظهم فيه، ويذكرُ لهم من الرقائق، ما يُزهدهم في الدنيـا، ويرغبُهم في العقبىٰ. وكـان إذا أمر، يكون أولَ المطبِّقين، وإذا نهىٰ، يكون أول المنكفين، لن يعلوَ علمه عملَه؛ بل كانا كفرسي رهان.

وفـاتــه:

توفي رضي الله عنه في الطائـف، ودفن بها، وقبره مشهور يزار، وهو ابنُ إحدىٰ وسبعينَ سنةً.

ولما وضع ليُصلَّىٰ عليه، جاء طائر أبيضُ، فدخل في كفنه، فالتُمِـسَ فلم يوجد! فلما أهيل عليه التراب، سمع من يقول:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

وصلَّى عليه محمدُ بنُ الحنفيـةِ، والبقيةُ البـاقية من الصحـابة، وجُلَّةِ التابعينَ.

ولما بلغ جابرَ بنَ عبدِالله خبرُ وفاتِه، ضربَ بإحدىٰ يديه على الأخرىٰ وقال: «مات أعلمُ الناسِ، وأحلمُ الناسِ»[2].

---

(١) الفجر: ٢٧ - ٣٠.

(٢) انظر كتاب: «صور من حياة الصحابة»، للأستاذ عبدالرحمن باشا.

عثمان بن مظعون

دخوله في الإسلام:

قال عثمان بنُ مَظْعُون رضي الله تعالىٰ عنه: ما أَسْلَمْتُ ابتداءً إلاَّ حَيَاءً من رسول الله ﷺ، لكثرةِ ما يكون يَعرض عليَّ الإسلامَ، دونَ أن يستقرَّ في قلبي، حتىٰ نَزَلَتْ آية:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

وكُنْت عنده ﷺ، فاستقرَّ الإيمانُ في قلبي.

الوليد بن المغيرة يمدح القرآن:

قال عثمان بنُ مَظْعُون رضي الله تعالىٰ عنه: فقرأْتُ هذه الآيةَ على الوليد بنِ المغيرة إلى آخرها، فقال: يا ابنَ أخِي أعِدْ! فأَعَدْتُ عليه قراءتَها، فقال: واللهِ إنَّ له لَحلاوَةً، وإنَّ عليه لَطَلاوَةً، وإنَّ أَصْله لمُورقٌ، وإن أعلاه لَمُثْمِرٌ، وما هُو بقَوْلِ بَشَر!.

عثمان وزوجه:

حدثنا شُريك، عن أبي إسحٰق السُّبيعي قال: دخَلَت امرأةُ عثْمانَ بنِ مَظْعون، على نساءِ النبي ﷺ، سَيِّئَةَ الهيئة، في أخلاق لها ـ أي أثواب رَثَّةٍ ـ فَقُلْنَ لها: مَا لَكِ؟ قالت: أمَّا الليلُ فقائم، وأما النهار فَصَائم!!.

---

(١) النحل: ٩٠.

فأُخْبِرَ النبيُ ﷺ بقَوْلها؛ فَلَقِيَ عثمانَ بنَ مظعون، فَلاَمَـهُ! فقال عليه الصلاة والسلام:

«أَمَا لَكَ بِي أُسْوَةٌ؟».

قال: بَلَىٰ، جعلني اللَّهُ فِدَاكَ!.

فجاءَت بعدُ حَسَنَةَ الهيئَةِ، طَيِّبَةَ الرائحةِ!.

زهده رضي الله عنه:

رُوِيَ أنه دخَلَ يوماً المسجدَ، وعليه نَمِرةٌ قد تخللت، فرقعها بقطعةٍ من فَرْوَة، فَرَقَّ رسولُ الله ﷺ، ورَقَّ أَصحابُه لِرقَّتِه، فقال عليه الصلاة والسلام:

«كيف أنتم يومَ يغدو أحدُكم في حُلَّة، ويروحُ في أُخرىٰ، وتوضعُ بينَ يديه قصعةٌ، وتُرفعُ أُخرىٰ، وسَترتُم البيتَ كما تُسترُ الكعبةُ؟».

قالوا: وَدِدنا أن ذلك قد كَان يا رسولَ الله! فأَحببنا الرخاءَ والعيش. قال عليه الصلاة والسلام:

«فإنَّ ذلك لكائنٌ، وأَنتم اليوم خيرٌ من أُولئك».

تقبيل النبي ﷺ له:

عن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت: «رأَيْتُ رسولَ الله ﷺ، قبَّل عثمانَ بنَ مَظْعونٍ وهو مَيِّتٌ».

وفي رواية: فأَكَبَّ عليه يُقَبِّلهُ ويقول:

«رحمَكَ الله يا عثمانُ! ما أَصَبْتَ من الدنيا ولا أَصابتْ منك».

جرْيُ عَمَلِه بعدَ موته:

عن الزهري، عن خارجَةَ بن زيد، عن أُم العلاءِ قالت: تُوفيَ عثمانُ بنُ مظعون في دارنا، فلما نمتُ رأيتُ عيناً تجري لعثمانَ بنِ مظعون، فذُكِر ذلك للنبي ﷺ فقال: «ذَلِكَ عَمَلُه».

رِثاء زوجه له عند موته:

يـا عَيْنُ جُـودي بـدمْـعٍ غَيْـرِ مَمْنُـون[1]
عـلى رَزِيَّـةِ[2] عُـثـمـانَ بـنِ مَـظْعـونِ
على امْـرِئٍ بـاتَ في رِضْـوانِ خـالِقِـهِ
طُـوبَىٰ لَـهُ مِنْ فَقِيـدِ الـشخصِ مَـدْفُـونِ
وأَوْرَث الْـقَـلْبَ حُـزْنـاً لا انـقـطاعَ لـه
حَتىٰ الـمَمَـات فـمـا تَـرْقَـا[3] لَـهُ شُـوني

شهادة الرسول له:

عن عليٍّ بنِ زَيْـد، عن يُوسُفَ بنِ مهـرانَ، عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: لما تُوفيَ عثمـانُ بنُ مَظعون، قالت امرأته: يا رسول الله! فارِسُك وصاحبُك، وكان يُعَدُّ من خِيارهم.

فلما تُوفيت رُقَيَّةُ بنتُ رسـولِ الله ﷺ، قال عليه الصلاة والسلام: «إلْحَقِي بِسَلفِنَا الخيِّرِ، عثمانَ بنِ مظعُون».

---

(١) ممنون: أي مقطوع. ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.
(٢) الرزية: المصيبة.
(٣) ترقأ: تنقطع. شوني: أصلها شؤوني: أي دموعي.

وعن زَيد بنِ أَسْلَـم قال: هَلَكَ عثمانُ بنُ مظعون، فَأَمَرَ رسولُ الله ﷺ بجَهَازِه، فلما وُضِعَ في قبره قالت امرأته: هَنِيئاً لَك ـ أبا السَّائبِ ـ الجنةُ.

فقال رسول الله ﷺ: «وما علْمُك بذلك»؟.

قالت: كان يا رسول الله! يَصُوم النهارَ، ويُصَلِّي اللَّيلَ، قال: «بِحَسْبِكِ لو قُلْتِ: كان يُحِبُّ الله ورَسُولَه».

دخوله بجوار الوليد:

عن ابن شهاب الزُّهري قال: كانت الحَبَشة مَتْجَراً لقريش، يَجِدُون فيها رِفْقاً من الرِّزق وأماناً، فأمر رسولُ الله ﷺ أصحابَه، فانطلق إليها عَامَّتُهم حين قُهروا وتَخَوَّفوا من الْفِتْنَة، فخرجوا وأَمِيرُهم «عثمان بنُ مظعون» فمكَثَ هو وأَصحابهُ بأَرض الحبشة حتى أُنْزلتْ سورة ﴿والنَّجم﴾ وكان عثمـان بنُ مظعون وأَصحابه ممن رجع، فلا يستطيعون أن يدخلُوا مكة، حين بَلَغَهم شِدَّةُ المشركينَ على المسلمين إلاَّ بجوار، فـأَجَارَ الـوليدُ بنُ المغيـرةِ عثمانَ بنَ مظعون.

ردُّ جوارِه على الوليد بنِ المغيرة!:

لما رَأى عثمان ما في أَصحاب رسولِ الله ﷺ من البلاءِ، وهو يَغدُو ويَرُوح في أَمانٍ من الوليد بنِ المغيرة!.

قال: والله إنَّ غُدوِّي ورَواحي آمنـاً بجوار رجُـلٍ من أَهل الشِّـرْك، وأَصحابي وأَهلُ ديني يَلْقَون من الأَذىٰ والبلاءِ ما لا يُصِيبني، لَنَقْصٌ كبيرٌ في نفسي.

فمشَىٰ إلىٰ الوليد فقال له: وَفَّتْ ذِمَّتُك، قد رَددتُ إليك جِوارَك.

قال: لِمَ يا ابنَ أخي؟! لعلهُ آذاك أَحَدٌ من قَوْمي؟!.

قـال: لا، ولكِنِّي أَرْضَىٰ بجوار اللَّهِ عـزَّ وجلَّ، ولا أُريـد أن أَسْتَجير بغيره.

قال: فانْطَلِقْ إلى المسجد فارْدُدْ عليَّ جواري عَلانيةً؛ كمـا أَجَرْتُـكَ عَلانية. قال: فانطلَقا، ثم خَرَجا حتىٰ أَتَيا المسجدَ.

فقال لهم الوليد: هذا عثمانُ قد جاءَ يردُّ عليَّ جواري.

قال لهم: قد صَدَق، قد وَجَدْتُه وَفيًّا كَريمَ الْجِوار؛ ولكني أحببتُ أن لا أستجير بغير اللَّهِ، فقد رَدَدْتُ عليه جوارَه!.

موقفه مع لبيد الشاعر:

ثم انصـرف عثمان ولبيـدُ في المجلس من قُرَيْش، ينشـدُهم ـ يعني الشِّعْرَ ـ فجلس معهم عثمانُ.

فقال لبيد وهو ينشدهم:
أَلَا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلَا اللَّهَ باطِلُ. فقال عثمان: صَدَقْتَ.
فقال لبيد: وكُلُّ نَعِيمٍ لا مَحَالَةَ زَائِلُ.
فقال عثمان: كَذبتَ؛ نَعِيمُ أهلِ الجنة لا يَزُول.

قال لبيد: يا معشرَ قريشٍ!! ـ والله ـ ما كـان يُؤْذَىٰ جَلِيسُكُمْ، فمتى حدث فيكم هذا؟ فقام رجلٌ من القوم فقال: إن هذا سفيهٌ في سُفهاءَ مَعه، فقد فارَقُوا دِيننا، فلا تَجِدَنَّ في نفسك من قوله!.

فَرَدَّ عليه عثمانُ حتىٰ عظُمَ أمرهُما، فقام إليه ذلك الرجُل فَلَطَمَ عَيْنه فخضرها.

والوليد بنُ المغيرةِ قَريبٌ يَرىٰ ما بلَغ من عثمانَ؛ فقال: أَمَا والله يا ابْنَ أخِي! إن كانت عَيْنُك عما أصابَها لَغَنِيَّةٌ، لقد كُنْتَ في ذِمَّةٍ مَنِيعة.

عزته بالله تعالى:

فقال عثمان: بَلَى ـ والله ـ إن عَيني الصحيحة لَفقيرةٌ إلى ما أصابَ أخْتها في الله! وإنّي لفي جِوار مَنْ هُوَ أعَزّ منك وأقْدَرُ.

وأنشد عثمان قائلاً:

فإنْ تَكُ عَيْني في رضا الرَّبِّ نَالَهَا
يَـدَا مُلْحِـدٍ في الـدِّين ليس بمهتَـدِ
فقـد عَـوَّض الـرَّحمٰنُ منهـا ثَـوابَـه
ومن يُـرْضِـه الـرحمٰنُ يـا قـوم يَسْعَـدِ
فـإنّي وإن قُلْتم غَـوِيٌّ مُضَلَّلٌ
سَفِيـهٌ على دِين الـرسُـولِ محمـدِ
أريـدُ بِـذاكَ اللّـهَ والحـقُّ دِينُنَـا
على رَغْم من يَبْغِي علينـا ويعتـدي

وقال سيدنا عليٌّ كَرّم الله وجهه راثِياً عَيْنَ عثمان:

أمِنْ تَـذَكُّـرِ دَهْـرٍ غيـرِ مـأمـون
أصْبَحْتَ مُكْتَئِبـاً تَبْكِي كمحْـزُون
أمِنْ تَـذَكُّـرِ أقـوامٍ ذَوي سَفَـهٍ[1]
يَغْشَـوْنَ بـالـظُّلم مَنْ يَـدْعُـو إلى الـدِّين
لا يَنْتَهُـونَ عَن الفَحْشَـاءِ مـا سَلِمُـوا
والْعُـذْرُ فيهم سَبيـلٌ غيـرُ مـأمـون

(١) السفه: ضد الحلم، وأصله: الخفة والحركة.

أَلاَ تَـــرَوْنَ ـ أَقَـــلَّ اللّه خَيْـــرَهُمُ
أَنَّـــا غَضِبْنـــا لعثمـــانَ بنِ مَـــظْعُـــون
إذ يــلطمــون ولا يــخشــون مــقــلتــه
طَعْنــاً دَرَاكــاً وضَــرْبــاً غيــرَ مَــأْفُــون[1]
فَسَـــوْفَ يَجْـــزيهُمُ إنْ لَمْ يَمُتْ عَجِــلاً
كَيْـــلاً بكَيْـــلٍ جَـــزاءً غيـــرَ مَغْبُـــونِ[2]

---

(١) المأفون: ضعيف العقل والرأي.

(٢) المغبون: يقال غبنه في البيع خدعه، وقد غُبن فهو مغبون. وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة، والفراغ».

سَعْد بن أبي وقّاص

بُعده عن الأمراء:

كانَ رضي الله تعالىٰ عنه لا يَغْشَىٰ السلاطينَ، وينفرُ منهم.

فقال له بَنُوه: يأْتي هؤلاءِ مَنْ ليس هو مثلُك في الصُّحْبة والْقِدَمِ في الإسلام، فلو أتيْتَهم!.

فقال: يا بَنيَّ! آتي جِيفةً قد أحاطَ بها قومٌ! والله لئنِ استطعتُ لا أشاركُهم فيها.

قالوا: يا أبانا! إذَنْ نهلِكَ هُزَالاً.

قال: يا بنيَّ! لأن أمُوتَ مؤمناً مَهْزولاً، أَحَبُّ من أن أموتَ مُنافقاً سَميناً.

قال الحسن: خصمهم ـ واللَّهِ ـ إذْ عَلِمَ أن الترابَ يأْكلُ اللحمَ والسِمَنَ، دونَ الإيمان.

قال أبو ذر رضي الله تعالىٰ عنه لسَلَمةَ: يا سَلَمةُ! لا تغشَ أبوابَ السلاطِينِ، فإنّك لا تُصِيبُ شيئاً من دنياهم؛ إلاَّ أصابُوا من دِينك أفضلَ منه.

دعوة النبي ﷺ له:

عن إسماعيلَ بنِ أبي خالد، عن قَيْس بن أبي حازم، عن سعد قال: قال النبي ﷺ:

«اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَته، وَأَجِبْ دعْوَتَهُ».

وعن علي رضي الله تعالىٰ عنه قال: ما سَمِعْتُ من رسُول الله ﷺ يُفَدِّي أَحَداً غيرَ سعدٍ رضي الله تعالىٰ عنه، سَمِعته يـومَ أُحُد يقول:

«إرْمِ سَعْدُ فِداكَ أبي وَأُمي».

بُعـده عـن الفتنـة:

عن أيوبَ السختياني قال: اجتمع سعد بنُ أبي وَقَاصٍ، وابنُ مسعود، وعَمَّار بنُ ياسر، وابنُ عُمَر ـ رضي الله عنهم ـ فَذَكَرُوا الفتنةَ ـ أي بينَ عليٍّ ومعاويةَ ـ فقال سعد:

«أمَـا أنَا فأجلسُ في بيتي ولا أدخل فيها».

وعن ابن سيرينَ قال: قيل لسعد بنِ أبي وَقَّاص: ألاَ تُقَاتِل! فإنك من أهل الشُّورَىٰ، وأنت أَحَقُّ بهذا الأمرِ من غيرك؟.

فقال رضي الله تعالىٰ عنه: لا أُقاتـلُ حتىٰ تأتـوني بسَيْف له عَيْنَـانِ، ولِسَانٌ وشَفَتَانِ، يَعْرِفُ المؤمنَ من الكافر، فقد جاهَدْتُ وأنا أَعْرِفُ الجهاد.

شجـاعتـه:

وقد رَمَىٰ رضي الله تعالىٰ عنه يومَ أُحُدٍ أَلْفَ سَهْمٍ، وأَوْصَىٰ أن يُكَفَّنَ بجبته التي كان قد لقيَ المشركينَ فيها يومَ بَدْرٍ، فكفنوه فيها.

دعـوتـه المجـابـة:

فكان رضي الله تعالىٰ عنه مُجَابَ الدعوةِ، ثَبَتَ أنه مَرِضَ مَرَضاً شديداً فقال:

«يا رَبِّ! إن لي بَنِينَ صِغاراً، فَأَخِّرْ عَنِّي المـوتَ حتىٰ يبلغوا» فأُخِّرَ عنه عشرين سنةً!.

زيارته مكة:

قدم سعد رضي الله تعالى عنه في أواخر عمره مكة المكرمة، زائراً بيت الله الحرام، وكان قد كف بصره، فجاءه الناس يهرعون إليه، ملتمسين دعواته. فكان كل واحد يسأله أن يدعوَ له، فيدعو لهذا ولهذا، فلم يرد طالباً، ولم يخيب سائلاً، لأنه كان ـ رضي الله تعالى عنه ـ مجاب الدعوة، كما تقدم معنا.

قال عبدالله بن السائب:

فأتيته، وأنا غلام يافع في بواكير الشباب، فتعرفت إليه فعرفني وقال: أنت قارىء أهل مكة؟.

قلت: نعم، فقلت له: يا عم! أنت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك، فرد عليك بصرك، فتبسم ضاحكاً فقال: يا بني!! رضا الله ـ سبحانه ـ عندي أحسن من بصري. اهـ.

سَلمانُ الفارسي

« سَلْمانُ مِنّا أهْلَ البَيْتِ »

وصيتـه لسعـد:

دخَـل سعدُ بنُ أبي وَقّـاص رضي الله عنه ليعُـودَه في مَرَضِـه، فبكَىٰ سَلْمانُ رضي الله عنه!.

فقال له سعد: ما يُبْكِيكَ يا سَلْمانُ؟ تُوُفّي رسـولُ الله ﷺ وهو عنـك رَاضٍ، وتَرِدُ عليه الحوْضَ.

فقال سَلْمان: ما أبكي فَزَعاً من الموت، ولا حِرْصاً على الدنيا، ولكِنَّ رسولَ الله ﷺ عَهد إلينا عهداً فقال:

«لِيَكُنْ بُلْغَةُ أَحدِكُمْ مِثْلَ زَادِ الرَّاكِبِ»!.

وَحَوْلي هَذِه الأَسَاوِدَةِ، وإنما حوله إجّانة[1]، وجفنة[2]، ومِطهرةٌ.

فقال له سعد: أَوْصِني! قال: أُذْكُرْ ربكَ عندَ هَمِّك إذا هَممتَ، وعند حُكْمك إذا حَكَمتَ، وعند يـدِك إذا قسمتَ.

فلما مات رضي الله عنه بِيعَ مَتَاعُه كُلُّه، فبلغَ أربعةَ عشرَ دِرْهماً!.

---

(١) الإجانة: إناء يغسل فيه الثوب.

(٢) الجفنة: القصعة.

امتناعه عن الطعام:

رُوِيَ عن عطيةَ بنِ عامر قال: رأيْتُ سلْمانَ الفارسي رضي الله عنه أُكرِه على طعامٍ يأْكُلُه! فقال: حَسْبِي، حَسْبي! فإنِّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

«إنَّ أكْثرَ النَّاسِ شِبَعاً في الدُّنْيا، أطْوَلُهُمْ جُوعاً في الآخِرَةِ، يَا سَلَمانُ! إنَّمَا الدُّنيا سِجْنُ المؤمِنِ، وَجَنَّةُ الكافِرِ»[1].

اشتياقُ الجنةِ لـه:

رُوِيَ عن أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «اشتاقتِ الجنةُ إلى أربعةٍ: عليٍّ، والمقدادِ، وعمَارٍ، وسلمانَ».

وفـي روايـة:

«نـزل عليَّ الـروحُ الأمينُ، فحدثني أن الله تعالىٰ يُحب أربعـةً من أصحابي:

فقال مَنْ حَضَر: مَنْ هُمْ يا رسول الله؟.

فقال عليه الصلاة وأفضل السَّلام:

«عليٌّ، وسلمانُ، وأبو ذرٍ، والمقدادُ».

وصيتُه وتقسيمُـه النـاسَ:

حُكِيَ عن طارق بنِ شهاب، أنه باتَ عند سَلْمانَ لينظرَ ما اجتهادُه؟ قال: فقام يُصَلِّي في آخر الليل، فكأنه لم يرَ الذي كان يظن، فذكرَ ذلك له. فقال سَلْمان: حافِظُوا على هـذه الصَّلَواتِ الخمسِ، فإنهنَّ كَفَّاراتٌ لهذه

(١) رواه ابن ماجه، والحاكم.

الجراحاتِ، ما لم تُصَبِ المقتلةُ ـ يعني الكَبَائِرَ ـ فإذا صَلَّى النـاسُ العشاءَ صدروا على ثلاثِ منازلَ:

١ ـ **منهم**: مَنْ عليه ولا لَهُ.

٢ ـ **ومنهم**: مَنْ لَهُ ولا عليه.

٣ ـ **ومنهم**: مَنْ لا لَهُ ولا عليه.

١ ـ **الأول**: رجُـل اغتنَم ظلمـةَ اللَّيـلِ وغَفْلَةَ النـاسِ، فـركِبَ رأسَـه في المعاصِي، فذلك عليه ولا له.

٢ ـ **الثاني**: رجُل اغتنَم ظُلمةَ اللَّيلِ وغَفْلةَ الناسِ، فقام يُصَلِّي، فذلك له ولا عليه.

٣ ـ **الثالث**: رجُل لا لَهُ ولا عليه، صَلَّىٰ ثم نَامَ، فذلك لا لَهُ ولا عليه.

مثلـه الـرائـع:

وكان رضي الله تعالى عنه يقول:

«إنما مَثَلُ المؤمن كمَثَل مَريض معه طَبِيُبه الذي يعلَم داءَه ودَوَاءَهُ فإذا اشتَهىٰ ما يَضُرُّه، مَنَعه، وقال: إنْ أَكَلْتَه هَلَكْتَ! وكذلك المؤمن يشتهي أشياءَ كثيرةً فيمنَعه الله تعالىٰ حتىٰ يموتَ، فيدخُلَ الجنةَ».

وكان رضي الله عنه يقول؛ عَجَباً لمؤملِ الدنيا والموتُ يطلُبه! وغافِلٍ ليس بمغفُولٍ عنه! وضاحِكٍ ولا يدري أرَبُّه راضٍ عنه أمْ سَاخِطٌ؟!.

وكان يأكل من شُغْل يديه، ويستظلُّ بالفيءِ حيثما دار، ولم يكُن له بيت!!.

وكان يعملُ الْخوص[1] ويقول: أشْتَري خوصاً بِدرْهم فأعمَلُه، فأبيعُه بثلاث دَراهِمَ، فأعيد دِرْهماً فيه، وأُنفقُ دِرْهماً على عِيالي، وأتصَدَّقُ بِدِرْهم.

---

(١) الخوص: ورق النخل.

وكان لا يأكُلُ من صدقاتِ الناس، وكان الناس يُسَخِّرونه في حَمْل أمتعتهم لرثَاثَةِ حاله، فربما عرفُوه فيريدُون أن يحملوا عنه فيقول: لا، حتىٰ أوصلَكم إلى المنزل؛ وهو إذْ ذاك أميرٌ على المدائن!.

عاشَ مائتينِ وخمسينَ سنة، وتُوُفِّي في خِلافة عثمانَ رضي الله عنه.

موجزُ تاريخِ حياته:

نشأ سلمانُ في فارس، في قريـة تُسَمىٰ «جَيَّان»[1]، فتح عينيه على الرخاء والنعيم، لأن أباه كان من أغنىٰ أهل قريته؛ ولكنه كـان مولَعاً جداً بالمجوسية، محافظاً على طقُوسها أشدَّ المحافظةِ!.

وكان لسلمانَ في قلبه حبٌّ عميق، وتعلق عريق لما يبدو على مخايله من أماراتٍ تدفعه لذلك.

زرع الـوالدُ في قلب الـولدِ حبَّ المجـوسيةِ، حتَّىٰ أوغـلَ في حبها ووصـلَ إلى شَغاف قلبِه.

عُيِّنَ قيِّماً على النار التي تُعبَـد، وأُسْنِد لـه هذا الأمـرُ المهم، فكان سلمانُ لا يدعُها تَخمُد ليلاً ولا نهاراً، لشدة حبه لها!.

كان لأبيه ضَيْعةٌ قريبةٌ من قريته، يستفيد من غلتهـا، ويجنو من ثمارها.

فأرسل يوماً وَلدَهُ الأثير نيابةً عنه لعائق عاقه لأن الوالد كان لا يسمح لابنه أن يغادرَ بلدتَه خوفاً عليه.

سافر «سلمانُ» لتلك الضيعةِ امتثالاً لأمر أبيه، ونزولاً عندَ رغبتِه.

---

(١) قرية من قرىٰ أصفهان؛ وقال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٢/١٩٦): وذكر هبة الله بن عبدالوارث الشيرازي فيما نقلتُه: أن سلمان الفارسي رضي الله عنه، عاد إلى أصفهان لما فُتحت، وبنىٰ مسجداً بقريته «جيَّان» وهو معروف إلى الآن.

وكان في القرية قومٌ يعبدونَ اللّٰهَ تعالىٰ على دين المسيح، ولهم كنيسةٌ يصلُّون فيها.

فلما رأىٰ سلمانُ عبادتَهم استحسنَها وفضَّلها على عبادة أبيه؛ لأنه كان يجهل غيرَ دينِ المجوسية لطول ما حبسه تلك المدةَ.

قال سلمان: فدخلتُ الكنيسةَ، وتأملتُ طويلاً ما يفعلونهُ، فقلت في نفسي:

هذا والله خيرٌ مما نحن عليه، فَولِعْتُ بهم، وسألت قَيِّمَ المعبدِ، أين أصلُ هذا الدينِ؟ فأجابني: أنه في بلاد الشام.

فعدتُ إلى أبي بعدما أرخىٰ الليلُ ستورَه، واشتد ظلامُه، ولكن قلبي معلقٌ بهم، فسألني والدي عن سبب تأخري؟ فصدقتهُ، وقصصتُ عليه ما رأيت.

فذُعِر أبي من صنيعي، واستشاطَ غضباً، وقال في شدة:
ليس في ذاك الدين خيرٌ، إلزم يا سلمانَ دينكَ ودينَ آبائِك وأجدادِك.

قال سلمانُ: فلم أتمالك نفسي، فقلت بكل جرأة: كلا، والله إن دينهَم خيرٌ من ديننا!.

فخشي أبي عليَّ من الردة! فحبسني وجعل القيدَ في رجلي.

فأُتِيحَتْ لي فرصةٌ، فارسلتُ إلى أحبار الكنيسة وقلتُ لهم: إذا علمتم بركبٍ يُريد الذهابَ إلى بلاد الشام، فأخبروني بذلك.

فلم يمضِ إلاّ قليلٌ من الزمن، فجاءني البشير قائلاً: إنَّ ركباً مرَّ علينا وهو متجه إلى الشام.

فتحيَّنت الوقتَ المناسب، واحتلتُ على القيـد حتىٰ حللتُه، وذهبت

خفيةً مع الركبِ حتىٰ وصلتُ بلادَ الشامِ ، فسألتُ عن أعلم مَنْ فيها بدين النصارىٰ؟ فدُلِلْت عليه، والتزمته التزاماً كاملاً، وخدمته بإخلاصٍ وصدق. وإذا به رجلُ سوءٍ، يصطاد الدنيا بالدين!.

يأمر قومه بالزكاة، ويرغبهم في ثواب الصدقة، فإذا ما أعطوْه الأموالَ الكثيرة حبسها عن الفقراء، وادخرها لنفسه! فانكمشتُ عنه، وكرهت صنعَه، إلى أن مات.

فاجتمعت النصارىٰ يُعزون بعضَهم بعضاً بذاك المصابِ.

قلت لهم: إن صاحبَكم هذا رجلٌ غيرُ صالحٍ!.

فقالوا: ويحك. . . من أينَ علمتَ؟.

قال سلمانُ: لأنه كان يأخذُ صدقاتِكم، ولم يُعطِ شيئاً منها للمساكين. وها هي قِلالُ الذهبِ والفضةِ مدفونةٌ هنا، فكان كما أخبر. فرُجم بالحجارة وقُدِّمتْ جثتهُ للكلاب!.

ثم نصَّبوا مكانَه آخرَ، فلزمته ـ أيضاً ـ مبتغياً الفائدةَ، فما رأيت رجلاً أزهدَ في الدنيا، ولا أرغبَ في الآخرة منه، فكان دءوباً على العبادة، يصوم النهار، ويقوم الليل.

فأحببته حباً عميقاً، وصحبته زمناً طويلاً، حتىٰ حضرَتْه الوفاةُ، فقلت له، والحزنُ يغمرني: من تأمرني أن أصحبَ بعدَك؟ فقال:

أي بني: لا أعلمُ أحداً على ما كنتُ عليه إلا رجلاً بالموصل، فلم يُحرِّفْ شيئاً من الإنجيل ولم يبدِّلْه.

فلحقت به بعدَ تمام دفنِ صاحبي.

فدخلت عليه وقلت له: إن فلاناً أوصاني عند موته أنْ ألحقَ بك.

فرأيت منه: أهلاً وسهلاً، فالتزمته فوجدته على حالٍ حسنة إلى أن احْتُضِرَ.

فقلت له: إلى مَنْ توصي بي بعدَك؟ فقال: أي بني: لا أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين، فلما تَمَّ لحدُ صاحبي وغُيّبَ في القبر، فشددتُ العزم، ولحقتُ به، وأخبرته خبري، فأحسن قِراي، وشمَلني بحنَانه، فأقمتُ عنده فوجدته كما وصف لي، وصحبتُه طويلاً، واستفدت من حاله، حتىٰ نزل به ما نزل بمن قبله.

فقلت له: بمن توصي بي؟ فصدقني وقال: لا أعلم أحداً بقي على أمرنا إلا رجلاً بعمُّورية[1]، فالحَقْ به.

فلحقت بصاحب عمورية، وصحبته، واكتسبت عنده بقراتٍ وغنيمة، ثم ما لبث أن احتُضِر، فاستوصيتُه فقال: أي بني: لم يبقَ أحد على ظهر المعمورة، مستمسكاً بما كنا عليه؛ ولكنه قد أظل زمانٌ يخرج فيه بأرض العرب نبيٌّ، يُبعث على الحنيفية السمحة دينِ إبراهيم، ثم يُهاجر إلى أرضٍ ذاتِ نخل، وله علامات ثلاث، فاحفظها عني:

١ - يأكل الهدية.
٢ - لا يأكل الصدقة.
٣ - بين كتفيه خاتم النبوة.

فإن استطعت أن تلحقَ بتلك البلادِ فافعل.

فمكثتُ بعمورية زمناً طويلاً بعدما فُجِعْتُ بصاحبي، وأنا أترقب

---

(١) عمورية: بلد من بلاد الروم، غزاها المعتصم وفتحها في سنة: [٢٢٣] هـ.

واسأل، إلى أن مرَّتْ قافلة من تجار العرب، فقلت بشوق وشغَفٍ: إن حملتموني معكم إلى أرض العرب، أُعطيكم ما معي من بقرٍ وغنيمة.

فقالوا: نعم! فأعطيتُهم ما معي، حتىٰ إذا ما بلغنا وادي القُرىٰ، فغدروا بي وباعوني لرجل من اليهود! فالتحقتُ بخدمته، ثـم باعني من رجل من يهود بني قريظة، ونقلني معه إلى يثربَ، فرأيتُ النخيلَ، فتذكرتُ قـولَ صاحبي بعمورية، وعرفتُها من يومئذ بالوصف الذي ذكرها لي.

وكان النبي ﷺ يدعو قومه في مكة، ولكنَّ صاحبي القرظي لا يعرف الرحمةَ كيف تكون، فأدابني على العمل الشاق ليـلَ نهار في خدمة النخيل! وهذا شيء لم أكن أعلمه من قبلُ؛ لأني عشتُ في قرية عندَ أبي، كما يعيش أولادُ الملوكِ والأمراء.

فلم أتمكن من شدة تعبي، من البحث والسؤال عن النبي ﷺ.

حتى دارتِ الأيامُ دورتَها، فهاجر الرسول عليه الصلاة والسـلام إلى يثربَ، وأنا في رأس نخلةٍ أُصلحُها، والشمسُ تقـذف بشُعَاعها على رأسي كالسهام المحماة، يغلي منها دماغي! وسيدي جالس تحتها، إذ أقبل ابن عمٍ له وقال: قاتل الله بني قَيْلَةَ!.

فقال له: ويحك لِمَ؟.

قال: لأنهم قد اجتمعوا في قُباء على رجلٍ قدم عليهم من مكةَ يزعمُ أنه نبي! فما سمعتُ مقالتَه حتىٰ اختلجت فرحاً كما يختلج من مسه المسُّ من الجن، فخشيتُ أن أسقط على سيدي، وبادرت مسرعاً إلى النزول، حتى صرتُ ثالثَهما، وطلبت منه أن يُعيد عليَّ الحديث!.

فما كان منْ سيدي اليهودي إلا أن جمع يدَه ولكمني لَكْمةً شديدةً وقال لي: ما لك ولهـذا الحديثِ الفضـولي؟ عُد إلى مـا كنتَ عليه من عمـل!

فواصلت عملي حتىٰ دخل وقتُ المساءِ، وأرخىٰ الليلُ ستورَه، وعلمت أن سيدي قد استغرق في نومه، فأخذت بعضَ ما أستحقه من التمر، وتوجهت خفية إلى قُباء، مشياً على الأقدام، فاستأذنت على رسول الله، فأذن لي، فدخلت عليه، وإذا وجهُه كأنه فِلْقةُ قمرٍ، وحديثُه يَهز القلوبَ، ويُزرف العيون. . .

فأردت أن أقف على العلامات التي حفظتُها من صاحب عمورية، فقلت له: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، ومعك أصحاب محاويجُ، وهذا شيء كان عندي للصدقة، فقدمتُه بينَ يديه.

فقال لأصحابه: هلموا فكلوا نصيبَكم، وأمسك بيده عن الأكل.

فقلت في نفسي: هذه واحدةٌ من ثلاث.

ثم انصرفت من مجلسه، ولا يعلم أحد ما كنت أحمل في قلبي من الفرح والسرور، حتىٰ نسيتُ تعبي وجهدي في عَملي، فعدت إلى نخيلي، وشرعت أجمع شيئاً من التمر.

فسمعت أن الرسول قد تحول من قباء إلى المدينة؛ فجئته وسلمت عليه. وقلبي يزداد انجذاباً وتعلقاً به.

فقلت له: هذه هدية أُقدمها لك، فأكل منها، وأذن لأصحابه فأكلوا معه، فاستبشرت وقلتُ في نفسي: هذه الثانيةُ.

ثم جئته في المرة الثالثة، فإذا هو ببقيع الغرقد، حيث كان يواري أحدَ أصحابه، فرأيتهُ على شفير القبر، يذكر الله ويدعو، وعليه شملتان، فسلمت، وأصحابه حولَه كالكواكب المستنيرة، ثم تحينتُ أن أنظرَ إلى ظهره، لعلي أرىٰ الخاتَم الذي وصفه لي صاحبُ عمورية.

فلما رآني عليه الصلاة والسلام، أُطيل النظرَ إلى خلفه، عرف غرضي

فأرخى رداءه عن ظهره لأتمكنَ منه، وإذا به كما وصفه صاحبي، فانكببت عليه أقبله، وأبكي بكاءَ الثكلى!.

فقال لي عليه الصلاة والسلام: ما خبرُك؟ لِمَا رأى من شدة البكاء.

فسردت عليه ما جرى لي، فأُعْجِبَ كثيراً من هذه القصة، وأحبَّ أن أُسمِعَها لأصحابه، لما فيها من دروس وعبر.

فرضي الله عنك يا سيدي يا سليمان!.

فقد أعطيتَ درساً كبيراً للأجيال المتتابعة، في الصبر على المكاره، وتحملِ أعباءٍ تميعُ دونَها الصخورُ الراسيات، في سبيل طلب الخير، والوصولِ إلى الصواب.

فسلامٌ عليك يومَ هاجرتَ، ويومَ آمنتَ، ويومَ مِتَّ(1).

(1) انظر صور من حياة الصحابة للأستاذ الباشا، وتاريخ ابن الأثير.

عمرو بن الجموح

نشأته:

درجَ عَمرو بنُ الجموح من نعومة أظفاره، كما درج عليه أترابُه وذووه من تعظيم الأصنام، والعكوفِ على الأوثان، وذبح القرابين من أجلها، إذا داهمتهم المُلِمَّاتُ! يفزعون إليها بالدعاء، معتقدين ومتبركين، يعبدونها لتُقربَهم إلى الله تعالىٰ زلفىٰ، شأنُ سائر العرب قبلَ الإسلام!.

إلا أن عمرو بنَ الجموح، كان يختلف عن غيره من جِلة قومه وسادتهم...

غدا عمرو زعيماً من زعماء يثربَ، وشريفاً من أشراف العرب، موفورَ المروءة، سخياً كريماً، من ذوي الشهامات، تبدو على مخايله أماراتُ السعادة، كأن الله هيأه لأمرٍ عظيم.

سنه:

قد جاوز عمرو بنُ الجموح سنَّ الستينَ من العمر، ودخل في سن الشيخوخةِ التي يغلب فيها قربُ الرحيلِ، ومعترَكُ المنايا، والتي يصعب تغييرُ شيءٍ من عاداته وأخلاقه التي شبَّ عليها ونشأ في أكنافها، أو تعديلُ شيء مما تلقفه عن أصوله من عمل أو عقيدة.

وإذا العنايةُ لاحظَتْكَ عيونُها ... نَمْ فالمَخاوفُ كلُهنَّ أمانُ

الإسلام في يثرب:

ففي تلك الآونة، وأهلُ يثرب يتصقطون أخبارَ «محمدٍ» ﷺ، ويتتبعون آثارَه...

أرسل رسولُ الله ﷺ، مصعبَ بنَ عُمير ـ وكان قريبَ المأخذ، حلوَ الأداء، طريفَ الموضوعات ـ يدعوهم إلى توحيد «الله» وطرحِ ما سواه من وثن أو صنم.

فشرع مصعب يُنْزِعهُم بعلمه الغزير، وأسلوبه الأثير، بعبارات تستدر الشؤون، وتُثير الشجون.. شَعَّ النورُ في يثرب، وامتد واشتد، حتىٰ لم يبقَ بيتٌ إلا ووصل إليه من شُعاعه!.

إلى أن تناول أولادَ عمرو بنِ الجموح، مع تِرْبٍ لهم يُقال له: معاذُ بنُ جبلٍ، ومعَ أمهم هند زوجة عَمرو، وانصاع تحتَ لواءِ «الإسلام» معظم السادةِ والأشراف.

وعمرو يجهل ما حدث في أسرته؛ ولكنه يَحذر من الداعية مصعب، ويُحَذِّر أولادَه وزوجتَه من سماع حديثِه!.

نظر الأولاد والأم يوماً إلى أبيهم الشيخ الكبير، نظرةَ حُزْنٍ وإشفاق، خشيةَ أن يأتيه الأجلُ وهو على ما هو عليه؛ لأنهم كانوا يُكِنون لأبيهم حُباً وإجلالاً، وإكباراً وتعظيماً، لما يحمل من جميل العشرةِ، وكرمِ الأخلاق.

فكان الأولاد والأم كلما سمعوا النهي والتحذير، يُجيبونه بكل أدب سمعاً وطاعة.

دعـوة الأسـرة لأبيهـم:

تقدمت هندٌ يوماً لزوجها وقالت له: هل لك أن تسمعَ من ابنك معاذ ما يرويه عن هذا الرجلِ؟!.

ـ عمرو: لقد استشاط غضباً وقال: ويحكِ يا هند! وهل صبأ ابني عن دينه وأنا لا أعلم؟!.

ـ هند: كلا.. ولكنه حضر مجلسَه على طريق الصدفة مع أتراب له، فسمع حديثه وحملَه إلينا ليرىٰ رأيك فيـه؟!.

فأشفقتِ المرأة على الوالد من أن يُصابَ بنوبة عصبية، وعلى الولد من بطش أبيه:

ـ عمرو: أُدعوه إليَّ! فلما مَثُلَ بينَ يدي أبيه، ووقف وقفةَ الأديبِ.

فقال عمرو بشدة وعنف: أسمعني ما حفظتَه من هذا الرجل؟!.

فابتدر الولد وسمَّ الله تعالىٰ، وقرأ عليه «فاتحة الكتاب» مُرتلاً ومجوِّداً، حتىٰ أتم السورةَ، وعمرو يُصغي لما يسمع من التلاوة، فما ملك أعصابه أن قال: ما أحسنَ هذا الكلامَ؟!!

يا معاذ: أوَكلُ كلامِه مثلُ هذا؟!.

ـ معاذُ: وأحسن من هذا يا أبتاه، فهل لك أن تبتدرَ لمبايعته، كما بايعه قومك؟!.

سكت الشيخ قليلاً ثم قال: لستُ فاعلاً إذاً حتىٰ أستشير «مَناة» فأرىٰ رأيه في ذلك؟!.

الصنم المستشار:

كان لعمرو صنمٌ يُسمىٰ «مناةً» قد اتخذه من نفيس الخشب، وضمخه من أطايب الطيب، يزوره صباحاً ومساءً، مولَعاً في حبه، مغالياً في الإسراف عليه من ماله!.

تقدم عمرو إلى «مناة» ووقف أمامَه متأدباً ومتذللًا! ثم أثنىٰ عليه الثناء الحسنَ الجميل، ثم رفع إليه قامته وقال له:

لقد علمتَ يا مَناة: ما حصل في بلدنا من أثر هذا الداعية، وأنه يُريد أن يحول وجوهَنا عنك! وقد كرهتُ أن أُحْدِثَ أمراً قبلَ مشورتِك، فأشر عليَّ!.

ولكنَّ «مناة» لم يَرد عليه شيئاً!.

عمرو: لعلك يا مناةُ قد وجدتَ عليَّ، مع أني لم أصنع شيئاً يسوؤك، ولكني سأتركك أياماً ليهدأ غضبُك!.

موقف الأولاد:

انتهز الأولاد هذه الفرصةَ، وتآمروا معَ صديقهم الحميم معاذَ بن جبل، وجاؤا ليلاً بعدما رقد الشيخ، وحملوا «مناةَ» وقذفوه على رأسه في حفرة لبني سلمة، يرمون فيها أقذارَهم.

فلما أصبح عمرو، مشىٰ إلى صنمه الحبيب متبركاً به، فلم يجده، فنادىٰ بأعلى صوته: ويْحكُم من عدا على إلٰهنا هذه الليلةَ، فتناوم الأولاد ولم يُجيبوه.

فَطفِقَ عَمْرو يبحث عن صنمه الحبيب وهو يَرعُد ويُزبد، ويتوعَّد

ويهدِّد، وإذا به منكبّاً على رأسه في حفرة النجاسة! فأخرجه بسرعة، ثم غسله وطيَّبه وأعاده إلى مكانه!.

فلما كانت الليلة الثانية، فعل الأولاد ما فعلوه أولاً!.

غدا عمرو إلى صنمه كعادته فلم يجده، فالتمسه وإذا هو بالحفرة ولكن النجاسة غمرته من فرقه إلى قدمه!.

فأخرجه ثانياً، ثم غسله وطيَّبه وأعاده لمكانه، وجعل في عنقه سيفاً وقال له: «يا مناةُ» إن دنا منك أحد فاعلوه بهذا السيف!.

قام الأولاد بدورهم الثالث، فحملوا «مناة» وربطوه مع كلب ميِّت، وجرَّدوه من السيف وألقوه في الحفرة.

استيقظ الشيخ باكراً وذهب إلى إلهه! فلم يَر له أثراً، فطلبه وبالغ في طلبه، فإذا هو مقرون إلى كلب ميت، ومشدودٌ معه بحبل! والسيفُ مسلوب منه!.

عاد الشيخ إلى رشده، وأبقاه مع الكلب في حفرة مملوءة بالأقذار وأنشأ يقول:

والله لو كنتَ إلهاً لم تكن   أنتَ وكلبٌ وسْطَ بئرٍ في قرن

إعلان إسلامه:

تيقَّظ عمرو من غفلته، وهبَّ من رَقْدتِه، بعدما ذاق طعمَ الإيمان، فأعلن «إسلامَه» وداسَ على الأصنام بقدمه، وجعل يعضُّ بَنانَ الندم على الماضي القديم، وما فاته في تلك الفترات الطِوال.

فأقبل على الدين الجديد بقلبه وقالَبه، ووضع نفسَه ومالَه وأولادَه في سبيل نصرته، راجياً مَحْوَ ما قدم من سوء.

وهكذا تغيَّر عمرو تغيراً لم يُسْبَق له مثيلٌ، وأخذ يفكِّر طويلاً ويفكِّر بعمل يعوِّض به أيامَه الطِوال، حتىٰ وقعت غزوة «أُحُد»..

طلبه الشَّهادة:

رأى عمرو المدينة المنوَّرة قد غصَّ شَوارعُها بحاملي راياتِ الجهادِ، مكبِّرين ومهلِّلين، فرحينَ ومستبشرين، كأنهم يغدون إلى نزهةِ استجمامٍ، وأولاد عَمْرو أيضاً قد أسهموا في تلك المعركة، يتجهَّزون للقاء العدو، يتوجَّهون شوقاً لنيل الشهادة.

عزم الشيخ أن يشترك معهم، وقف الأولاد في وجه أبيهم، وأخذوا يَحُدُّون من نشاطه، لشيخوخته، وعَرجِهِ الشَّديد البيِّنِ...

غضب الشيخ من أولاده، وترافعوا أمَرهم لرسول الله ﷺ. فتقدم عمرو بحديثه قائلاً: يا رسول الله! إن بَنِيَّ هؤلاء يُريدونَ أن يحبسوني عن الخروج معك! فوالله، إنِّي لأرجو أن أطأ بعَرْجتي هذه الجنَّةَ.

فنظر إليه رسولُ الله نظرَ المُعجَبِ من أمره، وقال:

«أمَّا أنت يا عَمْرو! فقد عذرك اللّٰهُ، فلا جهادَ عليك».

والتفت إلى بنيه وقال:

«ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله أن يرزقه الشهادةَ».

خرج الشيخ مع أولاده يومَ «أُحُد» كأنهم الأسود الشارية، وحميَ الوطيسُ، ووقعت المِحْنةُ، وتفرَّق الناسُ عن الرسول!.

وعمرو يَثِب برجله الصحيحة وَثْبَ الأسودِ، مدافعاً تارةً، وضارباً بسيفه وجهَ العدو أخرىٰ.

وما أنْ وَضعَتِ الحربُ أوْزارَها، حتىٰ قامَ «النبي» يتفقَّد الشهداء ليواريَهم.

وإذا بعمرو وابنِه خلاَّد مُمَدَدَيْنِ على أرض المعركة، وليس بين الابن وأبيه إلا لحظات.

فأمر رسول الله ﷺ أن يُترَك الشهداءُ بدمائهم وجراحهم، وقال: «أنا أشهد لهم يومَ القيامة، ما من مسلم يُكلَمُ في سبيل الله إلا جاء يومَ القيامة يَسيل دماً: اللونُ لونُ الزعفران، والريحُ ريحُ المسك».

ذَكَرَ المؤرخونَ:

أن عمرو بنَ الجموح لما خرج من بيته، رفع يديه إلى السماء داعياً وسائلاً وقائلاً: اللهم لا تردني إليها!.

فلما استُشْهِدَ، جعلَه بنوه على بعير ليحملوه إلى المدينة، فاسْتَصعَبَ البعيرُ، فكانوا إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلاّ جهةَ «المدينة» فكان يأبىٰ الرجوع!.

فلما لم يقدروا عليه تذكَّروا قولَه: اللهم لا تردني إليها.. فدفنوه في مصرعه.

فرضي الله تعالىٰ عن «عمرو» الذي صدق مع الله فصدقه، ونور مضجعه؛ لقد عمل قليلاً، وربح كثيراً[1].

(١) للتوسع انظر كتاب: «صور من حياة الصحابة» للأستاذ الباشا، و«تقريب السيرة لابن هشام».

عُمير بن سَعْد

عُمير بنُ سعدٍ: شابٌ من شباب المدينة، وفتىً من فتيان الأنصار، قد تجرَّع كأس اليتم بفقد أبيه، وهو طِفلٌ صغيرٌ دونَ سنِّ التمييز، ولم يترك له والدهُ شيئاً من مال ومتاع، يستعين به على مشاقِّ الحياة؛ ولكنَّ أمَّ عمير ما لبثتْ قليلاً حتىٰ أكرمَها الله سبحانه بزوج ثريٍّ، ضمَّ الولدَ إليه مع أمه.

وكان عمير ربيباً له، فكفَله كَفالةً حسنةً، ورعاه رعايةً جيدة، حتّىٰ خفَّف مُصابَه.

شبَّ الغلام وترعرع على حبِّ مربِّيه، كما أن مربِّيَه أَحبَّ عميراً حبًّا جمًّا، لِمَا بدا على مخايله من أماراتِ النجابة والفِطْنةِ..

كان صادقاً في حديثه، أميناً إذا ائتمِنَ، بعيداً عن سَفاسفِ الأخلاقِ، التي يَشبُّ عليها أترابُه من الأولاد.

فلما دخلَ عُمير في سن العاشرةِ من العمر، وهو يرىٰ النـاسَ غادين ورائحينَ إلى مسجد رسولِ الله ﷺ، متلقِّين الحِكَمَ والأحكامَ، فانشرح قلبُ الغلام لهذا العمل، واستحسنه.

تقدَّم عميرٌ إلى النبي ﷺ مبايعاً له على الإسلام، كما بايعه الكُمَّل من الرجال.

انتسب الغلامُ لتلك الجامعة، واشترك مع طلابِها، وشرعَ ينهـل من معينها العذب، حتىٰ تغلغلَ الإيمانُ في قلبه...

فتلقف الصلاةَ وأحكامَها وفضائلَها، من المسجد النبـوي، فكانت لا تفوتُه مع رسولِ الله ﷺ.

وكـانت الفرحـةُ تَغمُر الأمَ، حينَ تـرىٰ ولدَهـا الصغيرِ منـدفعـاً لأداء الصلاة، حريصاً على جَماعتها كحرص الشيوخ الوعاة..

وزوجُها الجديد، اسمه «الجُلاس» من قبيلة الأوس، ووجُهائها.
فتارةً كان يذهب مع ربيبه تشجيعاً له، وأخرىٰ يذهب الغلام وحده.

تَبادلَ الحبُّ وتمكن بينَ «الجُلاس» والغلام، وأُولع كلٌّ منهما بالآخر، وازداد يوماً فيوماً، فكان لا يستطيع كل منهما أن يُغيِّب وَجْهَهُ عن الآخـر، لوصول الحب لأعماقِ القلوبِ، وصدقِ التعلُّقِ.

فلما دخلتِ السنةُ التاسعةُ من الهجرة، أعلنَ الرسولُ ﷺ في المدينة المنوَّرة وأذاع بينَ القبائل، بأنه يُريد أن يُحارِبَ الـروم، ويَغزوَهـا في قَعْر دارِها، فحيَّهلاً، البدارَ، البدارَ.

على حين أن الحَرَّ قد اشتـدَّ وقوي، وأن الثِمـارَ قـد أَيْنعَتْ، وآن جُذاذُهـا، وطاب الظلُّ والفيءُ!.

فهنا قام المنـافقون، ونسلوا من جعـابهم أَسْهُمَ التخريبِ كعـادتهم، ليثبطوا الهِممَ عن السفر، ويُوهِنُوا العزائم، شأنهُم في كل خَطْبٍ وحدَث.

إلا أن الصحابةَ داسوا بأقدامهم تلك الأراجيفَ، وانتفضوا من أعرانهم كالأسود الشارية، قاموا للخيل فأعدُّوها، وللسلاح فشحذوه.

حتى أزِفَ الرحيلُ من المدينة، وشوارعُها غاصةٌ بالرجال المحاربين.

حتى النساء أسهموا في هذه الحرب، بتقـديمهن ما يُمكن من زينـة وحُليٍّ.

وحتى طائفة من الفقراء المعدَمِينَ ، دفعوا بفرشهم رخيصةً في سبيل نُصرةِ الإسلام والمسلمين! عرضوها للبيع، فافترشوا الأرض، والتحفوا السماء! فامتحن الله المسلمينَ في هذه المعركةِ، ليَظهرَ الغثُّ من السمين، والدخيلُ من العريق..

وعمير يشاهد بعينه هذه الصُوَرَ المثيرةَ، ولكنه قاصر اليد، صغير العمر.

وكان يَعجب من «الجلاس» زوجِ أمه كلَّ العجب، مع يساره وغناه، كيف يتباطؤ في مثل هذا الموطنِ ويتخاذل؟!.

عاد عمير لبيته، وخلا ساعةً بالجلاس، وشرع يسرد له ما شاهده ورآه من التضحيات الفذَّةِ، ليبعثَ فيه النخوةَ والحميةَ.

فكان كلامُ الغلامِ ، صيحةً في وادٍ، أو نفخةً في رمادٍ.

ولكن الجُلاس لم يكتفِ بإمساكه عن الحديث فحسب؛ بل قذف كلمة كانت كالصاعقة، أذهبتْ صوابَ الغلامِ وألهبتْ لُبَّه، وأدمَتْ مقلتاه، إذ سمعه يقول: إن كان محمد صادقاً فيما يدَّعيه من النُبوة، فنحن شرٌّ من الحمير!.

إذ تفوه بكلمة تجتز الإيمانَ من جذور القلب، وتُدخل صاحبَها في الكفر من أوسع منافذِه!.

فأصبح الغلامُ حائراً مَذْهُوشاً من هذا المشهدِ! ماذا يا تُرى يكون موقفه أمامَ هذا الخطبِ الجلَل؟!.

فهل يسكت ويتغاضض عن الجلاس في مقابلة بره وإحسانِه، ويكون قد خان اللّهَ ورسولَه والمسلمين؟!.

أو يعق الجلاسَ بكشف موقِفه؟!.

شُدِهَ الغلامُ وتحيَّر، لأن المعروفَ لا يُنسىٰ، فقد أغناه بعد فقر، وضمه بعد ضياع.

فصار عمير بين صراعين يجتذبانه!.

ولكنَّ الصدقَ لم يترك في قلبه مكاناً للباطل أن يتمركز فيه، فمضىٰ عميرٌ إلى المسجد النبوي، حيث كان رسول الله ﷺ، يسرد أحاديثَ الجهادِ ويُرغِّبُ المسلمين فيه، وأخبره بما سمع من الجُلاس، فما كان من رسول الله إلا أن قطع حديثَه مدهوشاً، واستبقىٰ عميراً عنده، وأرسل من يأتي بالجلّاس.

دخل الجلاس وقعد أمامَ رسولِ الله ﷺ.

فقال له عليه الصلاة والسلام: «ما مقالةٌ بلغتني عنك؟!».

فانتفض الجلاس كانتفاض طائر بلله القطرُ، وأنكر الحديثَ أشدَّ الإنكار وقال: لقد كذب عليَّ عميرٌ وافترىٰ يا رسول الله!.

فأخذ الصحابة يتفحصُّون وجهَ عميرٍ والجُلاس، يُحدون النظر فيهما ليأخذوا من صحائف الوجه أمارةَ صدقٍ أو كذب؟.

عمير غمرته العَبْرةُ، وخنقه البكاء، وهو يقول بقلب حزين:

اللهمَّ أنزل على قلب نبيِّك ما يكشف هذا الخَطْبَ!.

فقام الجلاس على مشهد من الصحابة، يُدعم موقفَه بأيمانٍ، أنه لم يقل شيئاً من هذا!.

فما أنهى أَيْمانَه، حتّىٰ غَشيتْ رسولَ اللّهِ السكينةُ والغيبوبة، كعادته وقتَ نزولِ الوحي.

فأطرق الصحابة بهاماتهم على الأرض، كأنما على رؤوسهم الطير، إجلالاً وإكباراً ينتظرون كشفَ الحقيقةِ.

فظهر على صفحاتِ وجهِ الغلامِ وقتَ ذاك الفرحُ والبِشْرُ، وعلى قسماتِ وجه الجلاسِ القترةُ والخوفُ.

فَسُرّيَ عن رسول الله ﷺ، وجبينُه يَفصمُ عرقاً، ثم تلا قوله تعالىٰ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[1].

فانعقد لسانُ «الجلاس» وارتعَدتْ فرائصُه!. وما كان يظن أن الله تعالىٰ يذكره بهذا الوصفِ، فألقىٰ سلاحَ المِراءِ والافتراءِ، وعاد إلىٰ الحقِّ والرُّشد والصواب، وقال مظهراً الندمَ على ما تقدمَ: بل أتوبُ يا رسولَ اللّهِ!.

فقد صدق عميرٌ فيما قال: فكنتُ من الكاذبين؛ أدعُ الله أن يقبل توبتي! جُعِلْتُ فداكَ يا رسول اللّهِ!.

فالتفتَ رسول اللّهِ ﷺ إلىٰ الغلام، وأخذ بأذنه وأمسكها برفق وقال: «لقد وفَّتْ أذنُك يا غلامُ ما سمعتَ، وصدَّقك ربُّك بما قلتَ».

عاد الجلاس إلى حظيرة الإسلامِ وحسُنَ إسلامُه، وعرف الصحابةُ صَلاحَ الغلامِ.

وأنه لم يتأثّر ببر الجلاسِ وإكرامِه له، كما يتأثّر النفعيُّون عبيدُ المادة.

فكان الجلاس يدعو لعمير قائلاً: جزاه الله عني خيراً، فقد كان سببَ إنقاذي من الكفر.

(١) التوبة: ٧٤.

دارت الأيامُ دورتَها، ودخل عمير في سنِّ الرجال، وتولّىٰ في زمن الفاروق قيادةَ الجيوش.

وجابَ البلادَ فاتحاً ظافراً، مُحرِّراً الأصقاعَ والمدن من آثار الكفر، حتى أخضعَ الله له القبائلَ، ودانتْ له معظمُ الولاياتِ.

أراد عمرُ أن ينقل عميراً من سنابك الخيل المقاتلة، إلى رعاية الناس لمصلحة رآها.

فكتب إليه كتاباً بأن يلتحق إلى بلدة من بلاد الشام تُسمىٰ «حمصَ».

وتَوَّجَهُ ولايَتها، لأن أهلَها كانوا يتذمرونَ من كل والٍ، ويُكثرون الشكاياتِ منه.

أذعن عمير للأمر على مَضضٍ منه وكُرْهٍ، لأن نفسه تتشوَّق للشهادة في سبيل الله.

دخل عمير حمصَ حاكماً عليها، ابتدأ بالمسجد تأسياً برسول الله، ودعا الناسَ إليه، صعد المنبرَ فحمدَ اللَّهَ وأثنىٰ عليه ثم قال: أيُّها الناسُ! إن الإسلام حِصنٌ منيعٌ، وبابٌ وثيقٌ، حصن الإسلامِ العدلُ، وبابُه الحق، فإذا دُكَّ الحصنُ، وحُطِّمَ البابُ، استُبِيحَ حِمىٰ هذا الدينِ، وإن الإسلام ما يزال منيعاً ما اشتد السلطانُ، وليستْ شدَّةُ السلطان، ضرْباً بالسوط، ولا قتلاً بالسيف، ولكن قضاءً بالعدل، وأخذاً بالحق.

ثم مضىٰ عمير في عمله، واستتبَّ الأمر في حمصَ، حتىٰ مرَّ حولٌ كامل، فلم تُرفع لعمرَ شكايةٌ، ولم يَكتُبْ عمير كتاباً له، أو يُرسل لبيت المال شيئاً.

وكان عمر وقَّافاً، خَشِيَ من هذا الإبطاء الفتنةَ على عامله! فأمر كاتبَه أن

يكتب له كتاباً يأمره بالإسراع إليه، ويحمل معه ما جباه من فيء المسلمين، فلم يشعر أميرُ المؤمنين إلا وقد قدِم عليه «عميرٌ» ماشياً حافياً، عكازتُه بيده، وإداوته، ومِزْوَدُه وقصعتهُ على ظهره، قد شَحُبَ لونُه، وذبل جسمُه! فما وقع بصرُ عمرَ عليه، إلا وقف مدهوشاً حائراً!.

قال: يا عمير ما هذا الحالُ؟ أأجدبنا، أم البلادُ بلادُ سَوْء؟!.

عمير: ولِمَ يا أميرَ المؤمنين! وقد جئتُ إليك بالدنيا أجرها بِقرابها، وأنا مُتَمتِعٌ بصحة جيدة.

عمر: وَيْحَكَ يا عمير. ما معك من الدنيا؟ وهو يظن أنه يحمل لبيت المال الشيءَ الكثيرَ.

عمير: عكازةٌ أتوكأ عليها، وأدفعُ بها عدواً إنْ لقيتُه، ومزودٌ أحمل فيه طعامي، وإداوة أحملُ فيها ماءً لشرابي ولطهوري، فوالله يا أميرَ المؤمنينَ! ما الدنيا بعدُ إلا تبعٌ لي!.

عمر: ما أُعطيتَ من بيت المـالِ دابةً تركبُها؟.

عمير: هم لم يُعطوني، وأنا لم أسألْهُم!.

عمر: محصولُ فيء «حمص» ما صنعتَ به؟.

عمير: جمعتُ من أثق بهم من صلحاء تلك البلدةِ، وولَّيتهم بجباية الأموالِ وتوزيعها على فقرائها.

عمر: قَرَّت عينُه بعامله عمير، وأمر كاتبه بتجديد عملِه.

عمير: هيهاتَ، هيهاتَ! فإن ذلك شيء لا أُريده ولا أتشوَّف إليه.

عزفتْ نفسُ عمير عن الدنيا ومُتَعِها، وانتقلَ إلى قـرية من ضَـواحِي «المدينة المنورة» وانكبَّ على عبادة الله، حتىٰ آخرَ أنفاسِه، فالتَحقَتْ روحُه معَ حبيبه وقُرةِ عينه سيِدنا «محمد» عليه الصلاة والسلام.

سعد بن الربيع

رُوِيَ أن رسُول اللَّهِ ﷺ قال يومَ أُحُد:

«مَنْ رجلٌ ينظر إلى ما فعَل سعدُ بنُ الربيعِ، أفي الأحياءِ هو، أم في الأمواتِ»؟.

قال رجُل من الأنصار: أنا يا رسول الله!.

خَـرَجَ فنظر، فـوجَدَهُ جَـريحـاً في القَتْلَىٰ وبـه رَمَقٌ، فقـال لـه: إنَّ رسول الله ﷺ أمَرَني أن أنظرَ أفي الأحياءِ أنتَ أم في الأموات؟.

فقال له سعد: أنا من الأموات؛ فَأَبْلِغْ رسولَ اللَّهِ ﷺ سَلامي وقُلْ له: إن سعدَ بنَ الربيعِ يقولُ لك: جَزاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرَ ما جَزَىٰ نَبِياً عن أُمته.

وأَبْلِغْ قَوْمي عَنِّي السلامَ! وقُلْ لهم: إن سعدَ بنَ الربيعِ يقولُ لكُمْ: إنه لا عُذْرَ لكُم عندَ الله تعالىٰ، إنْ خَلَصَ إلى نَبِيِّكُم مَكْرُوهٌ، وفيكُم عَيْنٌ تُطْرَف!.

وقال عليه الصلاة والسلام:

«رَحِمَهُ اللَّهُ! نَصَحَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ حيًّا وَمَيِّتاً».

وفي رواية: فذهب الرَّجُل يَطُـوفُ بينَ القَتْلَىٰ فوجَدَهُ وبه رَمَقٌ!.

فقال له سعد: ما شأْنُك؟ فقال له الرجُل: بَعَثني رسولُ الله ﷺ لآتيهِ بخَبرك. قال: فاذهَبْ إليه فأَقْرِئْهُ منِّي السلام، وأَخْبِرْه أنِّي قد طُعِنْتُ اثنتيْ

عشرة طعنة، وإنِّي قد أنفِذَتْ مقاتِلي، وأَخْبر قَوْمَك أنهم لا عُـذْرَ لهم عند الله، إنْ قُتِلَ رسولُ الله ﷺ وواحدٌ منهم حَيٌّ!.

والرَّجُلُ المبعوثُ هو أُبيُّ بنُ كَعْبٍ. اهـ من «الإصابة» باختصار.

حَارِثَة

رُوِيَ عن أنس بنِ مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال: بينما رَسولُ الله ﷺ يمشِي إذ استقبله شابٌ من الأنصار، فقال له عليه الصلاة والسلام:

«كيفَ أَصْبَحْتَ يا حارِثَةُ»؟.

قال: أصبحتُ مُؤْمِناً حَقّاً. فقال عليه الصلاة والسلام:

«أُنْظُر ما تقول! فإن لكل قولٍ حقيقةً، فما حقيقةُ ما تقولُ»؟.

فقال: يا رسولَ الله! عَزفَتْ نفسي عن الدنيا، فأَسْهَرْتُ لَيْلِي وأَظْمَأْتُ نَهَاري، فكأَنِّي بعرش ربِّي بارزاً، وكأَنِّي أَنْظُرُ إِلى أَهل الجنة يتزاوَرون فيها، وكأَنِّي أَنظُرُ إلى أَهْل النار يتَعَاوَوْن فيها.

فقال له عليه الصلاة والسلام:

«أَبصرتَ فالزمْ، عبدٌ نوَّرَ اللَّهُ الإيمانَ في قلبه».

فقال: يا رسول الله! أُدْعُ لي بالشَّهادة؛ فَدَعَا له، فقُتِلَ يوم بدر شَهيداً.

فجاءَتْ أُمُّه إلى النبي ﷺ، فقالت: قد عَلِمْتَ منزلةَ حارثةَ مِنِّي، فإن يكُنْ في الجنة أَصْبِرْ، وإن لم يكُنْ في الجنة تُرَ ما أَصْنَعُ؟ فقال عليه الصلاة والسلام:

«أَوَ هَبِلتِ، أَجنةٌ هِيَ، إنها جِنانٌ، وإنَّ ابنَك أَصَابَ الفِردوسَ الأَعلىٰ».

فرجعتْ وهي تَضْحَكُ وتقول: بَخٍ، بَخٍ يا حارثة![1].

---

(١) «أخرجه الطبراني، والبزار، وغيرُهما».

سَعْد بن عُبَادة

غيرته:

رُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال سعد بنُ عُبادة: يا رسول الله! لو وجَدْتُ مع أَهْلي رَجُلاً، أُمهله حتى آتيَ بأَربعةِ شُهداءَ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «نعم».

فقال سعد: كَلاَّ والذي بعَثَكَ بالحق! كُنْتُ لأُعْجِلَنَّهُ بالسَّيف قبلَ ذلك. قال عليه الصلاة والسلام:

«اسمعوا إلى ما يقول سيدُكم؟ إنه لَغيور، وأنا أَغيرُ منه، والله تعالىٰ أغيرُ مني».

كرمه:

رَوَى ابن أَبي الدنيا، من طريق ابن سِيرين قال:

كان أَهل الصُّفة إذا أَمْسَوْا، انطلق الرَّجُلُ بالواحِد، والرَّجُلُ بالاثنين، والرجل بالجماعة، وأَما سعدُ فكان ينطلق بثمانينَ!.

وكان عليه الصلاة والسلام يقول:
«اللهمَّ اجعلْ صلواتِك ورحمتَك على آلِ سعدَ بنِ عُبادة».

كان رضي الله تعالىٰ عنه مشهوراً بالجُودِ، هُوَ وأَبوهُ وَجدُّهُ وَوَلدُه!.

وكان لهم أُطُم[1] يُنادىٰ عليه كلَّ يـوم: من أَحَبَّ الشَّحْمَ، واللَّحْمَ، فَلْيَأْتِ أُطُمَ دليم بنِ حارثة!.

وكانت جَفْنَةُ[2] سعد، تَدُور معَ النبي ﷺ في بُيُوتِ أَزْوَاجِه!.

(١) الأطم بالضم: بناء مرتفع وجمعه آطام.

(٢) الجفنة: كالقصعة، وجمعها، جفان، وجفَنَات بالتحريك.

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه

اتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّه ما
جاورتْ قلبَ امرئٍ إلا وَصَلْ
لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقاً بَطَلا
إنما مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ البَطَلْ

حُكِي أنه لما اسْتُخْلِف «عُمَرُ بنُ عبدالعزيز» مكَثَ شهرين مُقبلاً على بَثِّه وحُزْنِه، لِمَا ابْتُلِيَ بِهِ من أُمور النَّاسِ!.

ثم أخذ ينظُرُ في أُمورهم ومصالِحهم، ويرُدُّ المظالمَ إلى أهلها، حتىٰ كان هَمُّهُ بالناس أشدَّ من هَمِّه بأُمور نفسِه! فَعَمِلَ بذلك حتىٰ انقضَىٰ أَجَلُه.

فلما تُوُفِّيَ رضي الله عنه، جاءَ الفقهاءُ إلى زَوْجَتِه يُعَزُّونها، ويذكرونَ عِظَم المصيبةِ التي أُصيبَ بها أهلُ الإسلام لموتِه.

وقالوا لها: أخْبِرِينَا عنه؟ فإن أَعْلَم الناسِ بالرجُل أهْلُهُ.

فقالت: والله ما كان بأكْثَرِكُم صلاةً ولا صِياماً، ولكن ما رأَيْتُ عَبْداً كان أشَدَّ خَوْفاً من اللَّهِ تعالىٰ من عُمَرَ!.

كان ـ رحمه الله ـ قد فَرَّغ بَدَنَهُ ونفسَه للناس، فكان يَقْعُدُ لحوائجهم يَوْمَه!.

فإذا أمْسَىٰ وعليه بقيَّةٌ لحوائجهم، دعا بمصباح كان يستَصْبِحُ بـه من

مالِه، ثم صَلَّىٰ ركْعتين، ثم أَقْعَىٰ واضِعاً يَدَهُ تحتَ ذَقْنِه، تَسِيلُ دمُوعُه على خَدِّه، فلم يزَلْ كَذلك حتىٰ بَـرِقَ الفَجْرُ، فأَصْبَح صائماً.

فقلت له: يا أَمِيرَ المؤمنينَ! لِشيءٍ ما كان منك ما رأَيتُ الليلةَ!.

قال: أَجَلْ؛ إنما وَجَدْتُني وُلِّيتُ أَمْـرَ هذه الأُمـةِ، فذكَـرْتُ الغريبَ الضائع، والفقيرَ الجائع، والأَسِيرَ المقهور، وأَشْباهَهم في أَطراف الأَرض.

فعلمتُ أَن الله تعـالى سـائلي عنهم، وأَن محمـداً ﷺ حَجيجِي فيهم، فَخِفْتُ أَن لا يثبتَ لي عنـدَ الله عُذْرٌ، ولا يَقُـومَ لي مع محمـدٍ ﷺ حُجَّـةٌ فَخِفْتُ علىٰ نَفْسِي!.

وفـي روايـة قـالـت:

والله إنْ كان لَيكُونُ في المكان الذي ينتهي إليه سرورُ الرجُلِ بأَهْلِهِ، بَيني وبينه لحافٌ، فيَخْطرُ على قلبه الشيءُ من أَمْرِ اللَّهِ، فينتفِضُ كما ينتفضُ طائـرٌ وقع في الماءِ، ثم يَنشجُ، ثم يَرتفع بكاؤه حتىٰ أَقولَ: والله لتخرُجَنَّ نفسُـه! فأَطرح اللحافَ عنه رحمةً له، وأَنا أَقول: يا لَيْتَ كانَ بيننا وبينَ هذه الإِمارةِ بُعْدَ المشْرِقَيْن! فواللَّهِ ما رأَينا سروراً منذُ دخَلنا فيها!.

موقفـه مـع ابنـه:

حُكِيَ أَنَّ بعضَ أَولادِهِ اتخذ خاتَماً، واشترىٰ لـه فَصّاً بـأَلْفِ دِرْهمٍ! فكَتب إِليه عُمَر أَميرُ المؤمنين:

أَمَّا بعد؛ فقد بَلَغني أَنك اشتريْتَ فصّاً بأَلْفِ دِرْهم، فَبِعْهُ وأَشْبِعْ به أَلْفَ جائع! واتَّخِذْ خاتماً من حَدِيد صيني، واكتب عليه:

«رَحِمَ اللهُ امْرءاً عرفَ قَدْرَ نَفْسِهِ».

حـالـه فـي القبـر:

حُكِيَ عن رَجاءَ قال: قال لي عُمر بنُ عبدِالعزيزِ في مَرَضِه:

كُنْ فيمَنْ يُغَسِّلني، ويُكَفِّنني، ويَدخُل قبري! فإذا وَضعُوني في لَحْدِي، فَحُلِّ العُقدةَ، ثم انظُرْ في وَجْهي، فإنِّي قد دَفَنْتُ ثلاثةً من الخلفاءِ، كُلُّهم إذا وَضعْتُه في لَحْدِه، حَللْتُ العقدة، ثم نظرتُ إلى وَجْهه، فإذا وَجْهُه مُسْوَدٌّ في غَيرِ القِبْلَة!.

قال رجاءُ: فلما ماتَ أميرُ المؤمنين، فكُنْتُ فيمَنْ غَسَّله، وكَفَّنَه، ودخَل في قَبْرِه، فلما حللت العُقدةَ، نظَرْتُ إلى وَجْهِه، فإذا وَجْهُه كالقراطيسِ في القِبْلة.

قول رعاة الشاء:

وحُكِي أنه لما وُلِّي قالت رُعاةُ الشَّاءِ في ذِرْوَة الجبال: مَنْ هٰذا الخليفةُ الصَّالحُ الذي قام علىٰ الناسِ؟!.

فَقِيل لهم: وما عِلْمُكم بذلك؟.

قالوا: إذا قام على الناس خليفةٌ صالحٌ، كَفَّ الذِّئابُ والأسْدُ عن شائنا.

وكانَ رضي الله تعالىٰ عنه، كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات:

نَهارُكَ يا مَغْرورُ سَهْوٌ وغَفْلَةٌ ... ولَيْلُكَ نومٌ والرَّدَىٰ لَكَ لازِمُ
يَغُرُّكَ ما يَفْنىٰ وتَفْرَحُ بالْمُنَىٰ ... كما غُرَّ باللَّذَّاتِ في النَّومِ حالِمُ
وشُغْلُكَ فيما سَوْفَ تَكْرَهُ غِبَّه[1] ... كذلك في الدنيا تَعيشُ البهائمُ

زهده:

وعن مَسْلَمَةَ قال: دخَلْتُ على «عُمرَ بنِ عبدِالعزيز» أعُوده في مَرضِه؛ فإذا عليه قميصٌ وَسِخ، فقلْتُ ـ لفاطمةَ بنتِ عبدِالملك زَوْجِه: يا فاطِمةُ! اغْسِلي قَميصَ أميرِ المؤمنينَ!.

(١) غِبُّ كلِّ شيء: عاقبته.

قالت: نفعلُ إن شاءَ اللَّهُ.. ثم غَدَوْتُ فإذا القميصُ على حاله!.

فقلت: يا فاطمةُ! أَلَمْ آمركُم أن تَغسلوا قميصَ أميـرِ المؤمنينَ، فإنَّ الناسَ يَعُودُونَه!.

قالت: والله ما له قَميصٌ غَيْرَه!.

حـالـه بعـد الخـلافـة:

وعن يونُسَ بنِ أَبي شَيْبٍ قال: شهدْتُ عُمرَ بنَ عبدِالعزيز وهو يطوفُ بالبيتِ. وإن حُجْزَةَ إزَارهِ لغائبـةٌ في عُكَنه، ثم رأيتُه بعدما استُخْلِفَ، ولو شئتُ أن أَعُدَّ أَضْلاعَه من غيرِ أَنْ أَمَسَّها لفعلْتُ.

سـببُ إنـابتـه:

قِيلَ لعمرَ بنِ عبدِالعزيز رضي الله عنه: ما كان بدءُ إنَابتِك؟.

قال: أَردتُ ضَرْبَ غُلَامٍ لي. فقال لي: يا عُمَرُ اذكُرْ ليلةً صَبيحتُها يومَ القيامة!.

الجانب العلمي في حياة عمر بن عبدالعزيز:

تبرزُ ثلاثةُ أُمور في الحياة العِلْمية لعمرَ بنِ عبدالعزيز رضي الله عنه:

أَحَدُها: إقامته ورِفعةُ مكانتِه في العِلْم.

ثانيها: نَشْرُه العِلْمَ في الأَمصار والبوَادِي.

ثالثها: تَدوينُه العِلْمَ وتثبيته، خَشْيَةَ انْدِراسِه بموتِ حَمَلَتِه.

أمـا الأمـر الأول:

فقد اتفقتْ كلمةُ المترجمين له على أنه أَحدُ أئمةِ زمانِه المليءِ بأَئمة التابعينَ. فقد أطلق عليه كلٌّ من الإمامين: مالكٍ، وسُفيانِ بنِ عُيَيْنَةَ وَصْفَ «إمام».

وقال فيه مجاهد: أتيناهُ نُعَلِّمُه، فما بَرِحْنا حتىٰ تَعَلَّمْنَا منه!.

وقال ميمونُ بنُ مِهران: ما كانت العلماءُ عندَ عُمرَ إلَّا تلامِذَةً!.

وقال أيضاً: كان عُمر بنُ عبدِالعزيز معلِّمَ العلماءِ.

وذكَر الحافظ ابن عبدِالبر في كتابه: «جامع بيان العِلْم وفَضْلِه» (٢/١٢٨) حِجاجَ عُمرَ لبعض خَوارج الجزيرة: وأَخْذَه الغَلَبَةَ عليهم، ثم قال فيه: كان أَحَدَ الراسِخين في العِلْم رحمه الله[1]!.

وكان رحمه الله تعالىٰ: إماماً، فَقِيهاً، مُجْتَهِداً، عارِفاً بالسُّنن، كَبِيرَ الشأْنِ، حافظاً، قانِتاً لله، أوَّاهاً مُنِيباً.

يُعَدُّ في حُسْنِ السِّيرةِ، والقيامِ بالقِسْط مَعَ جَدِّه لأُمه عُمرَ بنِ الخطابَ رضي الله عنه.

وفي الزُّهد مَعَ الحسنِ البصريِّ رحمه الله تعالىٰ.

وفي العِلْم مع الزُّهْرِيِّ، ولكنَّ مَوْتَه قَرُبَ من موت شُيوخِه، فلم يَنتشر عِلْمُه.

وكان طلبهُ للعِلْم في مُقْتَبَلِ شَبَابِه، على شيوخِ المدينةِ المُنَوَّرة، الزَّاخِرة بالأئمة من عُيون التابعين، فَنَهلَ من عِلْمهم وأَدَبِهم.

وكَفَانَا قولُ الإمامِ أحمدَ رضي الله عنه: إذا رأيتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ «عُمر بنَ عبدِالعزيز» ويَذْكُر محاسِنَه وينشرُها، فاعْلَم أَن من وراءِ ذلك خيراً إن شاءَ الله!.

---

(١) كما في مسند أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه.

وأما الأمر الثاني:

فذلك في إرسالِه العلماءَ إلى الأمصار والبوادي، ليُعلِّموا أهلَها شَرْعَ اللَّهِ ويُفَقِّهُوهم فيه!!.

فأرسل نافعَ مَوْلىٰ ابنِ عُمر إلىٰ أهل مِصرَ ليعلِّمَهم السُّنَنَ؛ وأرسلَ بَكْرَ سوادة المصريَّ، إلى إفريقية مع تسعةِ علماءَ، ليفقِّهوا أهلها.

وأما الأمر الثالث:

وهو تَدْوِينه العِلْمَ وتثبيتُه، فذلك في إرشاداتِه وأوامِره الخاصةِ والعامة بتَدْوِين السُّنة عامَّة، وروايات بعضِ الصحابةِ والتابعينَ خاصَّةً.

فمن إرشاداتِه قولُه رضي الله عنه: قَيِّدُوا العِلْم بالكتابة!.

وهذا يَدُلُّ على ذهابِه إلى ما استقرَّ عليه الأمرُ من جوازِ كِتابةِ العِلم.

ورَوَى البخاريُّ في صحيحه كتاب «عُمر بنِ عبدِالعزيز» إلى أبي بكر بن محمد بن عَمْرو بن حَزْم: «أُنْظُرْ ما كان من حديث رسولِ الله ﷺ فاكْتُبه، فإنِّي خِفْتُ دروسَ العِلْم». أي: انْدِراسَه وذَهابَ العلماءِ.

عن عبدِ الله بنِ دِينارٍ قال: كَتب عُمر بنُ عبدِالعزيز إلى أبي بكر بنِ مُحمد بنِ عَمْرو بنِ حَزْم:

أن انْظُرْ ما كان من حديثِ رسولِ الله ﷺ، أو سُنَّةٍ ماضِيةٍ، أو حديث عَمْرة بنتِ عبدِ الرحمٰن فاكْتُبْه، فإنِّي قد خِفْتُ دروسَ العِلْمِ وذهابَ أهلِه.

وعن ابن شهاب قال: أَمَرنا عُمر بنُ عبدِالعزيز بجمع السُّنن، فكَتَبناها دفتراً دفتراً، فبعثَ إلى كلِّ أرضٍ له عليها سُلْطَانٌ دفتراً.

فهذا كله يدلُّ على عُمْق نَظَرِه، ودِقَّةِ فِكْره، ونافِذِ بَصَرِهِ في العِلْم،

رحمه الله تعالىٰ، وجزاه عن الإسلام والسُّنةِ النبوية، عَظِيمَ الأَجْرِ ووافرَ الثواب.

وإن الله عَزَّ وَجَلَّ قد ادَّخر لعمرَ بنِ الخطاب، رضي الله تعالىٰ عنه، منقبةَ اقتراحِه على أبي بكر الصديق رضي الله تعالىٰ عنه، بمهمة جَمْعِ القرآنِ الكريم!.

وقد تَمَّ ذلك بناءً على دِقَّةِ مُلاحظته لحوادث يومِ اليَمَامَةِ.

وادَّخر لسبطه عُمرَ بنِ عبدِالعزيز، منقبةَ أَمْرِه علماءَ عصرِه بجمع السنةِ النبوية.

بناءً على دقة ملاحظتِه لذهاب العلماءِ، واندراسِ العلم بذهابهم. والله تعالىٰ هُوَ الموفق لجميع الخيرات.

أَمَا عَلِمتَ أَنّ لِكُلِّ قَوْمٍ نَجِيباً ...
وَأَنَّ نَجِيبَ بَنِي أُمَيَّةَ عُمَرُ بنُ عَبدِالعَزِيز
وَأنه يُبعَثُ يَومَ القِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ.

«محمدَّ بن عَليّ بن الحسَين»(١)

(١) انظر صور من حياة التابعين للأستاذ الباشا.

الإمام الشافعي

عبادته:

رُوِيَ أنه كان يَقسمُ الليل ثلاثةَ أجزاءٍ:

ثُلُثاً للعِلْم، وثُلُثاً للعِبادة، وثُلُثاً للنَّوْم.

قال الربيع: كان الشافعي يَختم القرآنَ في رمضانَ سِتِّينَ مَرَّة، كلُّ ذلك في الصَّلاة.

زهده:

قال رضي الله عنه: ما شَبِعْتُ منذ سِتَّ عشْرَة سنة؛ لأن الشِّبَع يُثْقِلُ الْبَدَن، ويُقسي القلب، ويُزِيلُ الفِطْنَة، ويَجْلُبُ النَّوْمَ، ويُضْعِفُ صاحبَه عن العِبادة.

وقال رحمه الله: مَن ادَّعَىٰ أنه جَمَعَ بينَ حُبِّ الدنيا، وحُبِّ خالِقها في قلبه، فَقَدْ أعظم الفِريةَ على الله.

سخاؤه:

حُكِيَ أنه قَدِمَ «مكة المكرمةَ» بعشرةِ آلافِ دينارٍ، فَضَرَب خِبَاءَهُ في موضِعٍ خارجَ مكة، ونَثَرَها على ثَوْبٍ له، ثم أقبلَ على كلِّ مَنْ دَخل عليه، ويقبض له قبضَةً ويُعطيه، حتى صَلَّى الظهرَ، ونفضَ الثَّوْبَ، وليس عليه شيءٌ، وأَنْشَدَ قائلاً:

يــــا لَهْفَ قلبي على مــــالٍ أَجُــودُ بـــه
على المُقِلِّينَ من أهــــــلِ المُـــــروءَاتِ
إن اعْتِـــــذاري إلى مَنْ جـــاءَ يَسْـــأَلُني
مـــا ليس عِنْـــدِي لَمِنْ إحْـــدَى المُصيبـــاتِ

ورعه:

سُئِلَ الشافعيُّ رضي الله عنه عن مسألة، فَسَكَتَ فَقِيلَ له: أَلَا تُجيبُ رحمَك اللَّهُ؟!.

فقال: حتى أدْري، الفَضْلَ في سُكُوتي، أَوْ في جَوابي؟.

وقال أحمدُ بنُ يحيىٰ بنِ الوزيرِ: خرج الشافعي - رحمه الله تعالىٰ - يوماً من سُوق القنادِيلِ، فَتَبِعْنَاه، فإذا رَجُل يَسْفَـه على رَجُلٍ من أهـل العِلْم! فالتفَتَ الشافعيُّ إلينا وقال:

نَزِّهوا أسماعَكُم عن اسْتِمَاعِ الْخَنَا، كما تُنَزِّهُونَ أَلْسِنَتكُم عن النُّطْق به! فإن المُستَمِعَ شَريكُ القائِلِ، وإن السَّفِيه لَيَنْظُر إلى أَخْبَثِ شيءٍ في إنائِه، فَيحرِصُ أن يُفْرِغَه في أَوْعِيَتِكُم، ولو رُدَّتْ كلمةُ السَّفيهِ، لَسَعِدَ رَادُّها، كما شَقِيَ بها قائِلُها!

خوفه:

رُوِي أَنَّ سفيان بنَ عُيينة حَدَّثَ حديثاً في الرقائق، والشافعي جالسٌ، فلما سَمِعَ الحديثَ غُشِيَ عليه.

فَقِيلَ لِسُفْيانَ: قد ماتَ الشافعيُّ! فقال: إنْ مـاتَ فقد مـاتَ أفضلُ زَمانِه.

وسَمِعَ مَرَّةً من الحارث بنِ لَبيد في «مكةَ المكرمة» على الصَّفَا يقرأُ قولَه تعالىٰ:

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[1].

وكان حَسَنَ الصَّوْتِ، فتغَيَّرَ لَوْنُه، واقشَعَرَّ جِلْدُهُ، واضطَرَبَ اضطراباً شديداً، وخرَّ مَغْشِيًّا عليه، فلما أفاقَ جَعلَ يقول:

أَعُوذُ باللهِ من مقام الكاذِبينَ، وإعراضِ الغافِلينَ، اللهم لك خَضَعَتْ قلوبُ العارِفينَ، وذَلَّتْ لك رِقابُ المُشتَاقينَ، إلهي! هَبْ لي جُودَكَ! وَجَلِّلني بِسِتْرِك! واعْفُ عن تَقْصِيري بكَرَمِ وَجْهِك!.

حُكِيَ أنه وَقَعَ سوطُه من يَدِه مرةً، فرفَعَهُ إنسانٌ إليه، فأعطاهُ جزاءً عليه خمسينَ دِيناراً.

إرادتُه بعلمه وجهَ اللّهِ تعالىٰ:

رُوِيَ أنه قال: وَدِدْتُ أن الناسَ انتفعوا بهذا العِلْم، وما نُسِبَ إليَّ شيءٌ منه.

وقال رحمه الله تعالىٰ: ما كَلَّمتُ أَحَداً قَطُّ إلا أَحببْتُ أن يُوَفَّقَ، ويُسَدَّدَ، ويُعَانَ، ويكونَ عليه رِعايةٌ من اللّهِ وحِفْظ.

وقال: ما نَاظَرْتُ أحداً قطُّ فأَحْبَبتُ أن يُخْطِىءَ.

شهادةُ أهلِ الفضل له:

قال أبو ثَوْر: ما رأيتُ، ولا رَأىٰ الراؤن مِثْلَ الشافعيِّ رحمه الله.

وقال أحمد بنُ حنبلٍ رضي الله عنه:

ما صَلَّيتُ صلاةً منذ أربعينَ سنة، إلَّا وأنا أدْعُو للشافعي.

---

(١) المرسلات: ٣٥ ـ ٣٦.

ولكَثْرة دُعائِه له قال له ابْنُه: أيُّ رَجُلٍ كان الشافعيُّ، حتىٰ تَدْعُوَ له هذا الدعاء؟.

فقال أحمد: يا بُنَيَّ! كان الشافعي رحمه الله تعالىٰ كالشَّمس للدنيا، وكالعافيةِ للناس.

وقال أيضاً: ما مَسَّ أحَدٌ بيده مِحْبَرَةً إلاَّ وللشافعيِّ فيه مِنَّةٌ.

وعْظُــه وإرشــادُه:

حُكِي أنَّ شابًا قال له: عَلِّمْنِي ممَّا عَلَّمَكَ الله! فقال رضي الله عنه: اعْلَم أن مَنْ صَدقَ اللَّهَ نجا، ومَنْ أشفَق على دِينِهِ سَلِمَ من الرَّدَىٰ، وَمَن زَهِدَ في الدنيا قرَّتْ عَيْناه مما يراه من ثواب الله تعالىٰ غداً؛ أفَلا أزِيدُك؟.

قلت: نعم!.

قال: مَنْ كان فيه ثلاثُ خِصَالٍ فقد استكملَ الإيمانَ.

١ ـ مَنْ أمَرَ بالمعروف وائْتَمَرَ.

٢ ـ ونَهَىٰ عَن المُنكَر وانْتَهَىٰ.

٣ ـ وحافَظَ على حُدُودِ اللَّهِ تعالىٰ.

ألاَ أزِيدُك؟.

قلت: بَلَىٰ!.

فقال: كُنْ في الدنيا زَاهِداً، وفي الآخرة رَاغِباً، واصْدُقِ الله تعالىٰ في جميع أُمورِك، تَنْجُ مع النَّاجِين.

وقال رضي الله عنه: مَنْ لم يَصُنْ نفسَه لم يَنْفَعْه عِلْمُه!.

وقال رضيِ الله تعالىٰ عنه: ما مِنْ أحَدٍ إلاَّ وله مُحِبٌّ ومُبْغِض، فإذا كان كذلك فكُن مَعَ أهلِ طاعةِ اللَّه عزَّ وجلَّ.

وقيل للشافعيِّ رحمه الله تعالىٰ: متَىٰ يكُون الرَّجُل عالماً؟.

قال: إذا تحقَّقَ في عِلْمٍ فَعَلِمَهُ، وتعرض لسائرِ العلُومِ فنظَرَ فيما فاتَه، فَعِنْدَ ذلك يكُون عالماً.

وقال رضي الله عنه: إذا خِفْتَ على عَمَلك الْعُجْبَ فانظر رضَا مَنْ تطلبُ؟ وفي أي ثوابٍ تَرْغَبُ؟ ومن أَيِّ عِقَابٍ تَرهَبُ؟ وأَيِّ عافيةٍ تَشْكرُ؟ وأَيَّ بلاءٍ تذكُر؟.

فإنك إذا تفَكَّرْتَ في واحدةٍ من هذه الخِصالِ، صَغُرَ في عينيك عملُك.

حالُه عندَ موتِه:

حُكِيَ أن الإمام المزني، دخَلَ على الإمام الشافعي في مَرَضِه الذي ماتَ فيه، فقال: كيفَ أصبحْتَ يا أَبَا عبدِالله؟ فأَجابَهُ قائلاً:

أَصبحْتُ مِنَ الدنيا رَاحِلاً، وللإخوان مُفَارقاً، ولِسَيِّءِ عَملي مُلاقياً، ولكَأْس المَنِيَّة شَارباً، وعلى ربِّي تبارك وتعالىٰ وَارِداً، لا أَدْرِي: تَصِيرُ روحي إلى الجنة فأُهَنِّيَها، أو إلى النار فأُعَزِّيَها، ثم أَنْشَدَ قائلاً:

ولما قَسَا قلبي وضاقَتْ مَذَاهِبي
جعَلْتُ الرَجَا منِّي لِعَفْوكَ سُلَّما
تَعَاظَمَني ذَنْبي فَلمَّا قَرَنْتُهُ
بعَفْوِكَ ربِّي كان عَفْوُكَ أَعْظَمَا
وما زلْتَ ذَا عَفْوٍ عن الذَّنْبِ لم تَزلْ
تَجُودُ وتَعْفُو مِنَّةً وتكَرُّمَا

شَرْحُه لحالـه:

سُئِلَ رضي الله تعالىٰ عنـه عن حالِـه؟ فقال: كَيفَ حـالُ مَنْ يُصْبِحُ ويُطالبُه ثمانيةٌ:

١ ـ كِتَابُ رَبِّهِ بالعمل
٢ ـ وسُنَّةُ نَبيِّه بالمتابعة
٣ ـ ونَفْسُه بالشَّهواتِ
٤ ـ وشَيْطَانُهُ بالمُخالَفَاتِ
٥ ـ وعِيَالُه بالْقُوت
٦ ـ وهَواهُ بطُول الأَمل
٧ ـ والدَّهْرُ بصُرُوفه
٨ ـ ومَلكُ الموتِ بقَبْضِ رُوحِه!

شعـره الرائـع:

حُكِي أنه لما مَرِضَ الإمام أَحمد بنُ حَنبل ذَهَبَ لعيادته، فلما رآه جَزِعَ الشافعي جَزعاً أَوْقَعَه في الفراش، فذهبَ الإمام أَحمد لعيادَتِه، فلما نَظَرَ إليه الإمام الشافعي بَرِئَ. فقال رضي الله تعالىٰ عنه:

مَـرِضَ الـحَـبِـيـبُ فـزُرْتُـه   فَـجزِعْـتُ من حُـزْنـي عَـلَيْـه
عـادَ الـحـبـيـبُ فَـزَارَنـي   فـبـرِئْـتُ مِـنْ نَـظَرِي إلـيْـه

وقال مرغِّباً بالقناعة ومُوصِياً بها:

عَـزِيـزُ الـنـفْسِ مَـنْ لَـزِمَ الـقَـنَـاعـة
ولـم يـكْـشِـفْ لـمـخـلُوقٍ قِـنَـاعَـه(1)
أَفَـادَتْـنـي الـتَـجَـارِبُ كُـلَّ عِـزٍّ
وهـلْ عِـزٌّ أَعَـزُّ مِـنَ الـقَـنَـاعَـة

---

(1) القَناعة: الرضا بالقَسْم، قليلاً كان أو كثيراً.
القناع: كشف ما تقنع به من رداء أو خمار، فهو كناية عن صفة كشف حاله لغير الله، وفيه من البديع الجناس الناقص.

فَصَيِّرْهَا لِنَفْسِكَ رأسَ مالٍ
وصَيِّرْ بَعدَهَا التقوىٰ بضاعة
ولا تُطِعِ الهوىٰ والنَّفسَ واعْمَلْ
مِنَ الخيراتِ قَدْرَ الاستطاعَة
أحِبُّ الصَّالِحينَ ولستُ منهم
لَعَلِّي أن أنالَ بهم شَفَاعة[1]
وأكْرَهُ مَنْ بضاعتُه الْمَعَاصِي
وإنْ كُنَّا سَواءً في البِضَاعَة

وله أيضاً:

أَمَتُّ مَطامِعِي فأرحْتُ نَفْسِي
فإنِ النَّفْسَ ما طَمِعَتْ تَهُونُ
وأحييْتُ الْقُنُوعَ وكان مَيْتاً
ففي إحيائِه عِرْضي مَصُونُ
إذا طَمَعٌ يَحِلُّ بقلبِ عبدٍ
عَلَتْهُ مَهَانَةٌ وعَلاَهُ هونُ

وله أيضاً:

عِلْمي مَعِي حَيثُمَا قد كُنتُ ينفعني
قلبي وِعاءٌ لَهُ لا بَطْنُ صُندوقِ

---

(١) فهذا تواضع من هذا الإمام الكبير، وتعليم وإرشاد للعلماء والمتعلمين؛ بأن الرجل مهما بلغ من العلم والمعرفة، والتقوى والعبادة، إن لم يكن فيه صفة التواضع والخنوع، والتذلل لله تعالىٰ والخضوع، وهضمُ النفس واتهامُها بالتقصير، فهو مغرور يجب عليه أن يصححَ سيره، وأن يتوبَ إلى الله تعالىٰ من هذه الصفات، الموجبة للمقت والعياذ بالله تعالىٰ. وعليه أن يُكثر من المطالعة في «تنبيه المغترين».

إنْ كنْتُ في البيت كـان العِلْمُ فيـه مَعِي
أو كنتُ في السُّـوق كان العِلْمُ في السُّـوقِ

وقال مُنفِّراً مِنَ الزِّنا، ومُحَذِّراً منه:

عِفُّـوا تَـعِـفَّ نِسَـاؤكُـم فـي الْـمَـحْـرَمِ
وتَـجَـنَّـبُـوا مـا لا يَـلِـيـقُ بِـمُـسْـلِـمِ
إنَّ الـزِّنَـا دَيْـنٌ إذَا أَقْـرَضْـتَـهُ
كـان الـوَفَـا مِنْ أهـلِ بيتِـك فـاعْـلَـمِ
مَـنْ يَـزْنِ يُـزْنَ بـه ولَـوْ بـجِـدَارِه
إنْ كُـنْـتَ يـا هَـذا لَـبِـيـبـاً فَـافْـهَـمِ
يـا هَـاتِـكـاً حُـرَمَ الـرجـالِ وقـاطِـعـاً
سُـبُـلَ الـمـودَّةِ عِـشْـتَ غـيـرَ مُـكَـرَّمِ
لـو كُـنْـتَ حُـرًّا مـن سُـلالَـةِ طـاهِـرٍ
مـا كُـنْـتَ هَـتَّـاكـاً لـحُـرمَـةِ مُـسْـلـمِ

وقال مرغِّباً بالتَّجمُّل، ومُحبِّباً فيه:

حَـسِّـنْ ثِـيـابَـكَ مـا اسْـتَـطَـعْـتَ فـإنـهـا
زَيْـنُ الـرِّجَـالِ، بـهـا تُـعَـزُّ وتُـكْـرَمُ
وَدَعِ الـتَّـخَـشُّـنَ فـي الـثِّـيَـابِ تَـوَاضُـعـاً
فـالـلَّـهُ يَـعـلَـمُ مـا تُـسِـرُّ وتَـكْـتُـمُ
فـجـديـدُ ثَـوْبِـكَ لا يَـضُـرُّكَ بَـعْـدَمـا
تَـخْـشَـى الإلَـهَ وتَـتَّـقِـي مـا يَـحْـرُمُ
وَرَثِـيـثُ ثَـوْبِـكَ لا يَـزِيـدُكَ رِفْـعَـةً
عِـنْـدَ الإلَـه وأَنْـتَ عَـبْـدٌ مُـجْـرِمُ

وقال في أدب المجالس:

إذا رُمْتَ الدخُول علىٰ أُناسٍ
فكُنْ منهم بمنزِلَةِ الأَقَلِّ
فإنْ رَفعُوكَ كان الْفَضْلُ مِنهم
وإنْ أبْقوْكَ قُلْ هَذَا مَحَلِّي

وقال أيضاً:

فَمَنْ مَنَحَ الْجُهَّالَ عِلْماً أضَاعَهُ
ومَنْ مَنَعَ المسْتَوْجِبينَ فَقَدْ ظَلَمْ

وقال أيضاً:

إذا شئتَ أن تحيا سليماً من الأذىٰ
وذنبُكَ مغفورٌ وعِرْضُكَ صَيِّنُ
لسانُك لا تَذكُرْ به عَوْرَةَ امرىءٍ
فَكُلكَ عَوْرَاتٌ وللناسِ أَلْسنُ

قيل للإمام الشافعي رضي الله عنه: ما لك تُدمن إمساكَ العَصا، ولستَ بضعيف؟ فقال: لأذكرَ أني مسافرٌ من الدنيا إلى الآخرةِ!.

فإمامُنا «الشافعيُّ» رضي الله تعالىٰ عنه، أَعْرَفُ من أن يُعَرَّف، وأَشْهَرُ من أن يُذكر، فهو: كالْعَلَمِ إذا ذُكِرَ الْعُلَمَاءُ، والشمسِ في رابعة السماءِ، والبدرِ في الليلةِ الظلماءِ.

ولهذا اكْتَفَيْنَا بذِكرِ بعضِ مآثِره، عما ذَكَره المؤرِّخون والعُلَماءُ، من إسهابٍ وإطنابٍ، من حِين وِلادَته إلَىٰ حين وفاتِه، فتكرار أمثالِ هذه

الذكرياتِ ـ حَقاً ـ هو الترياقُ المجرَّبُ للقلُوب، والدَّوَاءُ النَّاجع للنفوس، ولله درُّ القائل:

كَرِّرْ عليَّ حديثَهُمْ يا حادِي
فحديثُهُمْ يجْلو الفؤادَ الصَّادي

داوُد الطَّائِيُّ

سَبَبُ إنابَتِه:

كان رَحِمَهُ الله تعالىٰ، يحضُر مجلسَ أبي حَنِيفة رضي الله عنه، فقال له يوماً في تقريره: أمَّا الآلاتُ فقد أحْكَمناها.

فقال له داوُدُ: فما بَقِيَ؟.

قال الإمام الأَعْظَم: العمـلُ بما عَلِمْنَاه.

فاعتزَلَه وتزَهَّدَ وتَعبَّد، وانقطع لذلك حتىٰ صار فَحْلاً من الفُحُول.

وقِيلَ: وإن سَبَب تَوْبَتِه، أَنَّ امرأَةً جاءَتْ إلى أَبي حَنِيفة تسأَلهُ عن مسأَلةٍ فأَجابَها!.

فأُعْجِبَتْ بجوابه، ثم قالَتْ: هذا العِلْمُ، فأَيْنَ العملُ؟!.

فأَثَّرَ كلامُها في قلب داودَ، فاعتزل وتَعَبَّدَ، فصارَ عظيمَ الشَّأْن، عِلْماً وعَمَلاً، وزُهْداً وَوَرَعاً!.

زُهْدُه:

حُكِيَ عن صالح بنِ مُسْلم الْعُجْلي أَنه قال: دَخَلْتُ على داودَ في مَرَضِ مَوْتِهِ، وليسَ في بَيْتِهِ بارِية ـ يَعْني الْحَصِيرَ ـ ولا قليلٌ ولا كَثِير!.

وقال أَحمد بنُ ضرار العُجْلي: أَتَيْتُ داودَ فوجدتُه في دارٍ وَاسعةٍ خرْبَةٍ

ما فيها إلا بيتٌ ليس له بابٌ! فقلتُ له: يا أَبا سُليمانَ! أَنْتَ في دار وحْشَةٍ، لو اتخذتَ لبيتِكَ هذا باباً!.

فقال: حالتْ وَحْشَةُ القَبْر، بيني وبينَ وَحْشَةِ الدنيا وأَهْلِها.

حُـزْنُـه:

وكان الغالِبُ عليه الْحُزْنَ، فكان يقوم بالليل مُناجياً ربَّه: يا إِلٰهي! هَمُّـكَ عَطَّلَ عليَّ الهمُـومَ، وحالَ بيني وبينَ الـرُّقاد، وشَـوَّقَني إلى النـظر إليـك، ومَنعني اللذَّاتِ والشَّهواتِ، فأَنا في سِجْنكَ يا كَريمُ!.

عـزْلَتُـه:

كان إذا خَرجَ مَشَىٰ في الطريق المهجُورة البعيدة، فَيُقَالُ له: الطريقُ من ههنا أَقربُ! فيقُول: «فِرَّ مِنَ الناس فرارَكَ مِنَ الأَسَدِ»!.

خوفُـه ومحاسَبتُـه:

قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالىٰ:

دخَل رجُلٌ على داودَ، فقال له: ما حاجَتُك؟.

قال: جئْتُ لِزيارَتِك.

قال داودُ: أَما أَنْتَ فقد عَمِلْتَ خَيْراً حِينَ زُرْتَ؛ ولكن... أَنْظُرْ مَاذا يَنزلُ بي أَنا؟! إِذا قيلَ: مَنْ أَنْتَ فَتُزَارُ؟ أَمِنَ الزُّهَّادِ أَنْتَ؟ لا والله، أَمِنَ الْعُبَّادِ أَنْتَ؟ لا والله، أَمِنَ الصَّالحينَ أَنْتَ؟ لا والله!.

ثم أَقْبَلَ يُوبِّخُ نفسَه ويقول: كُنْتُ في الشَّبيبة فاسِقاً، فلما كَبِرْتُ صِرْتُ مُرائياً! واللَّهِ لَلْمُرائي أَشَرُّ مِنَ الفاسِق!.

غَيْبوبتُه:

كانت النَّمْلَةُ تَدُورُ في وَجْهِهِ: طُولاً وعَرْضاً فلا يَفْطُنُ لها، من الهمِّ والتفكير، يَعْني: في شَأْن الآخرةِ.

وعظه:

قال رحمه الله تعالىٰ: صُمْ عن الدنيا! وأَفْطِرْ علىٰ الموْتَ! حتى إذا كان عندَ المعاينةِ، أتاك خَازِنُ الْجِنَان بشَرْبةٍ من ماءِ الجنةِ، تَشْرَبُها على فِراشِك، فتخرُج من الدنيا وأَنت رَيَّان، وتَنْزِلُ القبرَ وأَنتَ رَيَّانُ، ويمكُثُ الناسُ يتردَّدُونَ في ظُلمة القيامةِ، جِيَاعاً عِطَاشاً ما شاء الله، وأَنت رَيَّانُ.

وكان يقول: إيَّاكُمْ أَن يتَّخِذَ أَحَدُكم في دارِه أَكْثَرَ من زَادِ الراكب!.

وقال له رجُلٌ: أَوْصني! قال رضي الله عنه: عَسْكَرُ الموتِ ينتَظِرُكَ.

وقال لسُفْيانَ الثوري: إذا كُنْتَ تَشرَبُ الماءَ المبرَّدَ، وتَأْكُلُ اللذيذَ المطَيَّب، وتمشِي في الظِّل، فمتَىٰ تُحِبُّ الموتَ! والقُدُومَ على الله تعالىٰ؟ فبكىٰ سُفيان رحمهما الله تعالىٰ.

سَخاؤه:

احتَجَمَ يَوْماً فأَعْطَىٰ الحجَّامَ دِيناراً. قيل له: هذا إِسْرَافٌ!.

قال: لا عِبادَةَ لمَنْ لا مُروءَةَ لهُ.

بطولة في السخاء

حُكِيَ أنَّ عبدَاللَّهِ بنَ جعفرٍ رضي الله عنهما، وهو مشهور بالسَّخاءِ، مَرَّ علىٰ بُسْتانٍ، فرأىٰ فيه عَبْداً من العبيد، يعملُ فيه، ويجمعُ التَّمْرَ، فجاءَهُ ابنُ سَيِّدِه برغيفين ليأْكُلَ، فجلس العبدُ ليأْكُلَ، فرأىٰ كَلْباً قد أقبل نَحْوَه، يُهَمْهِمُ ويُحَرِّكُ ذَنَبه، فألْقىٰ إليه برغِيفٍ، فالْتَهَمَهُ سريعاً، واقتربَ منه يُحَرِّك ذَنَبه ـ أيْضاً ـ فرمَىٰ إليه بالرَّغِيف الثاني، وقام لعمله!.

فعجب عبدُاللَّهِ بنُ جعفر من فِعْلِ هذا العبدِ! واقتربَ منه وسألَهُ: يا غُلامُ! كَمْ قُوتُكَ كُلَّ يوم؟.

قال العبدُ: هُوَ ما رأَيْتَ.

قال عبداللَّهِ: ولِمَ آثَرْتَ بهما هذا الكلبَ؟.

قال العبد: إنَّ أرضَنا ليستْ بأرض كِلاب، وعلمت أن هذا الكلبَ ما ساقه إلينا إلا الْجُوعُ، فآثَرْته على نفسي.

قال عبدالله: وكيف تصْنَعُ بنفسك هذا اليوم.

قال العبد: أطْوِي هذه الليلةَ. أي: أبِيتُ على الْجُوع.

قال عبدالله: يَلُومني الناسُ على السَّخاءِ! وهذا الغلامُ أسْخَىٰ مِنِّي.

فذهب عبدُالله بنُ جعفر إلى سَيِّد الغلام، وطلب منه أن يَبِيعَه غُلامَه هذا.

قال سَيِّدُ الغلامِ: ولِمَ تُرِيدُ شِرَاءَه؟ فأخبرَه بما رأىٰ منه، وأنه يُريدُ شراءَه وعَتقَه، وشراءَ البستانِ وإهداءَهُ إليه.

فقال له السَّيدُ: أَنْتَ تُريد أَن تفعلَ به ذلك، بهذه الخَصْلةِ الواحدة، ونحنُ لا نزالُ نرىٰ منه العجائبَ كُلَّ يوم!.

أُشْهِدُكَ أَنَّهُ حُرٌّ لوجْه اللّهِ تعالىٰ، وأَن البستانَ هِبَةٌ مِنِّي إليه!.

البُطولاتُ الرائعة في الإيثار

حُكِيَ أنه كان في بيتٍ من بُيوت السَّلَف، عُنقودٌ واحدٌ من العِنَب، فأعطاهُ الأخُ لأُخته، فأَعْطَتْهُ الأُختُ لأُختِها، فأعطته الأُخرىٰ لأُمها، فَخَبَّأَتْهُ الأم لزوجها، فأَطْعمَه الأبُ لولَدِه الأول، الذي كان معه العنقود. . . وهكذا دارَ العنقودُ، من واحدٍ إلى واحدٍ، حتىٰ عادَ إلى الأول!.

وحُكِيَ أنه أُهْدِيَ لبعضهم رأسٌ مشْويٌ، وهو مَجْهودٌ ـ أي في حاجةٍ وجَهْد ـ فتداوَلَتْهُ تسعةُ أنْفسٍ، وكُلٌّ يقول: أَعْطِه فلاناً فهو أَحَقُّ! ويدفعُ به إليه حتىٰ عادَ إلى الأول!.

يا ابنَ عمِّنا: لقد أَسْرَفتَ!:

قال الحسنُ والحسينُ لابن عمِهما، عبدِالله بنِ جعفر ـ رضي الله عنهم ـ يوماً: إنك قد أسرفتَ في بذل المال!.

فقال: بأبي أنتما، إن الله عز وجل عوَّدني أن يتفضَّلَ عليَّ، وعوَّدتُه أن أتفضلَ علىٰ عبادِه، فأخافُ أن أقطعَ العادةَ، فيقطعُ عني المادَّةَ.

القـرض الحسـن:

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالىٰ: «ما كانوا يَعدُّون القرضَ معروفاً!». يعني: لا يستوي ثوابُ من يهبِ المالَ، وثواب من يُقرضه؛ ولكل مقامٍ رجال.

قمة الإيثار

جاءَ رجُل إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إنِّي مجهودٌ - أيْ شَديدُ الْجُوعِ -.

فأرْسَلَ إلى بيتِ إحدىٰ زَوْجاتِهِ يَسْأَلُهَا: هل عِنْدَكَ شيءٌ من طعامٍ؟.

فقالت: لا، والذي بعَثَك بالحقِّ، ما عِنْدي إلا ماءٌ!.

فأرْسَل إلى بُيوتِ أزواجِه كُلِّهنَّ، يَسْأَلُهنَّ...

فكان جَوَابُ كلِّ واحدةٍ: لا، والذي بعَثَكَ بالحقِّ، ما عِنْدِي إلَّا ماءٌ.

فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: مَنْ يُضيفُ هذا اللَّيْلةَ رحمه الله؟.

فقام رجُل من الأنصار، وذَهَب به إلى بَيْتِه، ودخل علىٰ زَوْجَتِه فقال: «أكرِمي ضيفَ رسولِ الله!».

وفي رواية:

أنَّه سَألَها: هل عِنْدَكِ شَيءٌ من طعام؟.

فقالت: ما عِنْدِي إلَّا قُوتُ صِبْيَاني.

فقال: عَلِّلِيهم، فإذا أرادُوا الطعامَ فَنَوِّمِيهم! فإذا كان اللَّيلُ، فَضَعي الطعامَ بينَ يَدَي الضَّيفِ! ثم قُومي إلى السِّراجِ فأَصْلِحِيهِ، ثم أطْفِئيه! وأرِيه أنَّا نأكُلُ، حتىٰ يأكلَ الضيفُ ويشبعَ.

فَفَعَلتْ ما أشَار به زَوْجُها، فَنَوَّمتْ أطْفَالَها على الْجُوعِ، ووضَعَتِ الطعامَ بينَ يَدَي الضَّيفِ؛ ثم قامتْ إلى السِّراج فأطْفَأتْه - وهي تُظهر أنها تُريد إصلاحَه - وجلَسَت معَ زَوْجِها، وضَيْفِها على الطعام.

وتَظاهرا أنهما يأكُلان ـ ولا يأكُلان ـ حتىٰ أكَلَ الضَّيفُ وشَبع وحَمِدَ اللَّه تعالىٰ.

فنَزَل جبريلُ عليه السلام، وأخبر النبيَّ ﷺ، بما فَعَل الأنصاري وزَوْجُه معَ الضَّيف!.

ولما كان الصَّباحُ، التفَتَ النبي ﷺ إلىٰ الأنصاري، وقال له:

«إن الله تعالىٰ عَجِبَ من صَنِيعكُما بضَيْفكُما البارِحَةَ».

يَعْني: رَضِيَ عَنْكُما كلَّ الرِّضا.

ونَزَل فيهم قولُه تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾(١).

وحُكِي أنه اجتمع ثلاثونَ رَجُلاً في سَفَر، ولهم أرغِفَةٌ مَعْدُودة لا تُشبع جميعَهم، فكَسَروا الرُغْفَانَ، وأطْفَئُوا السِّراج، وجَلَسُوا للطعام، فلما رُفِعَ؛ فإذا الطعام بحاله، ولَمْ يأكل أحَدٌ منه، إيثاراً على نَفْسِهِ!.

نكْتَفي بهذا الموجَزِ، بما نقلناه من صفحات التاريخ، عن بُطولات أسلافِنا، نفَعنا الله تعالىٰ بهم، ووفقَنا للسَّير على منهاجهم!.

ولو أرَدْنَا البَسْط لهذا الموضوع، لضاقَ بنا فَسِيحُ هذا الكِتاب، ولكنَّ الحاذِقَ يستفيد من القليل، والغِرُّ لا ينفعه التطويل.

فهذه الذكريات تمحُو عن القلب الرَّان، وتُذَكِّرُ القارىءَ بالملك الدَّيَّان، وتُعلِّمُه بأن الرَّجُلَ بدِينِه وخُلُقِه، بِعِلْمه وعَمله، بزُهْدِه ووَرَعِه، لا بمالِه وجاهِه، لا بِحَسَبِه ونَسَبِه.

---

(١) الخصاصة: الحاجة وشدة االفقر. والآية من سورة الحشر: ٩.

وللهِ در القائــل:

هــذه الــسَّــعــادةُ لا ثَــوْبــانِ مــن عــدنٍ
خِيــطا قميصــاً فَـصَــارا بَعْــدُ أَسْمَــالا[1]
تــلك الـمـنــاقِــبُ لا قَــعْــبــانِ[2] مـن لَـبَـنٍ
شِـيــبـا بـمــاءٍ فـعــادا بَـعْـدُ أبــوالا

مـلاحظــة:

فينبغي للوالدين، أن يُرَبيَا أَوْلَادَهما على الإيثار منذ الصِّغر، فكلُّ طِفلٍ ينشأُ على ما تُربي عليه، وبذلك تحصُل الإلفة والمحبة، بين أفراد الأُسرة، ويعيشون سُعداءَ متحابين!.

(١) السَملُ: الخَلَق من الثياب، يعني: العتيق.
(٢) القَعب: إناء ضخم كالقصعة، والجمع قعاب.

التوحيد

أركـان الدين ثـلاثة : الإسـلام، الإيمان، الإحسـان

الإسلام:

هو الانقياد والاستسلام، للأحكام الشرعية العملية، التي جاءَ بها سيدُنا مُحَمدٌ عليه الصلاة والسلام.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾[1].

قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾[2].

أركانُ الإسلام خَمْسَةٌ:

شهادةُ أَن لا إِلَه إِلاّ الله وأن مُحمداً رسولُ اللّهِ، وإِقامُ الصَّلاة، وإِيتاءُ الزكاة، والحجُ، وصومُ رمضان.

ومعنى أشهد أن محمداً رسولُ الله:

أيْ: أَعْلَم وأَتحقَّق وأَتيقَّنُ بقَلْبي، أَن لا مَعْبودَ بحقٍّ في هذا الوجُودِ، إِلاَّ اللّهُ الواحِدُ الأَحَدُ، الفردُ الصَّمدُ، الذي لم يَتَّخِذْ صاحبةً ولا وَلَداً.

---

(١) آل عمران: ١٩.

(٢) آل عمران: ٨٥.

ومعنىٰ إقام الصلاةِ:

أيْ: الإتيانُ بها على الوَجْه المُرْضي، وأداؤها في أوْقاتها، بأركانِها وشُروطِها، وتَجَنُّبُ مُبطلاتِها، معَ المحافظةِ على حُضُور القلبِ والخشُوعِ فيها.

ومعنىٰ إيتاءِ الزكاة:

إعطاؤها لمستحقِّيها من فَقير، ومِسْكين، وغَريم، وابْنِ سَبيل...

ومعنىٰ صوم رمضانَ:

بأنْ يُمْسِك الصَّائم عن الأَكلِ، والشُّرْبِ والْجِمَاع، وغيرها من المفطِّرات، من طُلُوع الفجر إلى غُروب الشمسِ، بِنِيَّةٍ مخصُوصةٍ:

ومعنىٰ حج البيتِ:

أيْ: بأَن يقصِد المستطيعُ البيْتَ الحرامَ للنسك والعبادة.

فهذا هو الإسلام ومتعلقاتِه، بشكلٍ موجَز.

الإيمانُ:

وهو الركنُ الثاني من أركان الدِّين: هوَ تَصديقُ الْقلبِ بِمَا جاءَ بهِ سيدنا محمد ﷺ.

أرْكَانُ الإيمَانِ:

أَركانُ الإيمانِ ستة: أنْ تؤمِنَ باللَّهِ، وملائكتِهِ، وكتبِهِ، ورسلِهِ، واليومِ الآخرِ، وبالقدَرِ خيرِهِ وشرِّهِ من الله تعالى.

الأول: الإيمانُ باللَّه:

وَهوَ أنْ تؤمنَ وتصدِّقَ بأنَّ الله تعالى موجودٌ، وأنهُ وَاحدٌ، وَأنهُ مُتَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ، منزَّهٌ عنْ كلِّ نقصٍ، وأنه الفاعلُ المختارُ، الفعَّالُ لما يريدُ؛ ولا يجرِي في ملكِهِ إلّا ما يشاءُ.

متصف بصفات الكمال، ومنزّه عن صفات النقص.

صفات المعاني، وهي: العلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة.

صفات المعنوية، وهي: كونه تعالىٰ عَالِماً، مُريداً، قادِراً، سميعاً، بصيراً، متكلماً، حياً، وغير ذلك مما بسطت في المطولات.

ما يستحيل علىٰ الله تعالىٰ:

ويَستحيلُ على الله تعالىٰ أضدادُ هذه الصفاتِ، وقد بسطها علماءُ التوحيد في كتبهم الخاصة، وشرحوها شرحاً مفصلاً.

الثاني: الإيمان بالملائكة:

بأن تُصدقَ بأن لله تعالىٰ مَلاَئِكَةً خَلَقَهُم مِنْ نورٍ، لا يأْكُلونَ ولا يشربونَ، ولا ينامونَ ولا يتناكحون، ولا يعصون اللَّهَ ما أمرهم، ويفعلون ما يُؤْمرون، وليسوا ذكوراً، ولا إناثاً، وهم كثيرونَ لا يُحصي عددَهم إلّا اللَّهُ، ومنهم الخاصُ، ومنهم العامُ، ويجب على المؤمن أن يعرف الخاص منهم وهم عشرة.

جبريل، ميكائيل، إسرافيل، عزرائيل، منكر، نكير، رقيب، عتيد، مالك، رضوان.

وكل واحدٍ مِنْ هؤلاءِ له وظيفة خاصةٌ، موكَّل عليها لا يَتعداها.

وقد ذُكِرَتْ في الكتب المطولة، فارجع إليها، واسأل أهلَ الذكرِ عنها.

الثالث: الإيمان بالكتب:

بأن تصدق أن الله تعالىٰ أنزل كتباً على رسله، منها: صحف الخليل إبراهيم، وصحف الكليم موسىٰ، عليهما السلام.

والواجب معرفتها من الكتب أربعة:

١ ـ التوراة المنزَّل علىٰ سيدنا موسىٰ.

٢ ـ والإنجيل المنزَّل علىٰ سيدنا عيسىٰ.

٣ ـ والزبور المنزَّل علىٰ سيدنا داودَ، عليهم الصلاة والسلام.

٤ ـ والفرقان وهو «القرآن» المنزَّل على سيدنا محمد ﷺ.

الرابع: الإيمان بالرسل:

هو أن تصدق بأن الله تعالىٰ أرسل رُسُلاً لهداية الناس، وإرشادِهم إلى ما فيه صلاحُ معاشِهم ومعادهم، وهم كثيرونَ، أولُهم: أبو البشر سيدنا آدم، وآخرُهم سيدنا محمد ﷺ.

والواجبُ معرفتهم خمسةٌ وعشرونَ وهم:

آدمُ، إدريسُ، نوحٌ، هودٌ، صالحٌ، إبراهيمُ، إسماعيلُ، إسحاقُ، يعقوبُ، يوسفُ، لوطٌ، أيوبُ، شعيبُ، موسىٰ، هارونُ، اليسعُ، ذو الكفلِ، داودُ، سليمانُ، إلياسُ، يونسُ، زكريا، يحيىٰ، عيسىٰ، ونبيُّنا «محمد» ﷺ وعليهم أجمعين.

الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

بأن تصدقَ بأن أمامَنا يوماً يجمعُ اللّٰهُ فيه الأولينَ والآخرينَ للجزاءِ والحساب، يومَ يقومُ الناسُ لربِ العالمينَ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

والناس فريقان:

سعداءُ وأشقياءُ، أصحابُ اليمينِ، وأصحابُ الشمالِ، ومنهم من كان

---

(١) زلزلة: ٧ ـ ٨.

حسابُهم يسيراً، ومنهم من كان حسابُهم عسيراً، ومنهم من يأخذ كتابَه بيمينه، ومنهم بشماله، ومنهم من وراءِ ظهرِه.

التصديقُ بما في يوم القيامة:

ويجبُ التصديقُ بما يكون في يوم القيامة: من الحشر، والنشر، والميزانِ، والصراطِ، والحسابِ، والحوضِ، والجنةِ، والنارِ، وغيرِ ذلك، مما ورد ذكرُه في القرآن، أو أخبرَ به سيدُنا محمدٌ عليه الصلاة والسلام، الصادقُ المصدوقُ بما يُخبر به، أو يَنطقُ عنه.

فما هو إلا وحي من الله، فَمَنْ شك فيما أَخبرَ به هذا الرسولُ، أو حدَّث به عن ربه، فهو كافرٌ قطعاً لا حظَّ له في الإسلام، يجب أن يَتداركَ نفسه بالتوبة وتصحيحِ عقيدتِه.

السادس: الإيمانُ بالقدر خيرِه وشرِه:

بأن تصدق تصديقاً جازماً، بأنه لا يكون كائنٌ في الأرض ولا في السماء، إلا بقضاءِ اللّهِ وتقديرِه، ما شَاءَ الله كان، وما لم يَشأْ لم يكن، فكل شيءٍ بقضاءٍ وقدر.

قال الله تعالى ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[1].

الإحسانُ:

هو الركن الثالثُ من أركان الدينِ، وقد وضَّحهُ عليه الصلاة والسلام في حديث جبريلَ، عندَما سألـه عن الإحسانِ ما هو؟ فأجاب عليـه الصلاة والسلام:

«**أنْ تَعْبدَ اللهَ كأنَّكَ تَراهُ، فإنْ لم تَكُنْ تَراهُ فإنّهُ يَراكَ**».

---

(١) يس: ٨٢.

والإحسان: هو روحُ العبادةِ التي لا تَتِمُ إلا بها، ولا يُؤْجَر إلا بما حضر فيها، وراقب اللَّهَ مراقبةً صحيحةً، أوقعتْ في نفسه عظمةَ اللَّهِ تعالىٰ وإجلالَه، حتىٰ غيبته عن حِسّه، كما هو حالُ العارفينَ بالله، الغارقينَ بحبه، المعرضين عما سواه.

الإيمـان بالجـن:

وما ينبغي الإيمانُ به، وجودُ الجنّ، فقد دلَّ الدليلُ عليه نَقْلاً وإجماعاً، من الكتاب والسُّنة، وإن كان الحِسُّ قاصِراً عن إدراك هذه المغيَّباتِ، فهو محدودٌ، فليس له إلا الخضوعُ والخنوع للنقل.

والجن: أَجسامٌ لطيفة هوائية، تتشكل بأشكالٍ مختلفـةٍ، قادرةٍ على الأَعمال الشاقَّة، ومنهم المطيعُ والعاصي، والمؤمنُ والكافر.

والشياطينُ: أجسامٌ نارية، شأْنُهم الشرُّ والإغواءُ، وإلقاءُ النـاسِ في الفساد بتذكيـرهم أسبابَ المعـاصي والشهوات، حمـانا الله من شـر النفس والشيطان!.

رؤيةُ اللَّهِ تعالىٰ:

روي عن جرير بنِ عبدِاللَّهِ رضي الله تعالىٰ عنه قال: نظر رسولُ الله ﷺ إلى القمر ليلةَ البدْرِ فقال:

«إنكم سترَوْنَ رَبَّكم عِياناً كما تَرونَ هذا الْقَمر، لا تُضامُّون في رؤيتِه، فإنْ استطعتم أنْ لا تُغْلَبوا على صلاةٍ قبـلَ طلوعِ الشَّمسِ، وقبلَ غـروبِها فافعلوا»[1]. ثم قرأ قولَه تعالى:

---

(١) رواه الشيخان، وأحمد في «مسنده».

﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾[1].

وعن صهيب رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، يقولُ اللَّهُ تعالىٰ: **تُريدون شيئاً أزيدُكم**.

فيقولون: ألم تُبيضْ وجوهَنا؟ ألم تُدخِلْنا الجنةَ؟ ألم تُنْجِنا من النار؟ قال: فَيُكشَفُ الحِجابُ، فما أُعْطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظرِ إلى ربِّهم تبارَكَ وتعالىٰ»[2]، ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾[3].

أقول: رؤيةُ اللَّهِ تعالىٰ جائزةٌ عقلاً: دنيا وأُخرىٰ، يقظة ومناماً، فهو سبحانه موجود، وكل موجود يصح أن يُرَىٰ، ولسؤال سيدنا موسىٰ إياها حيث سألها: ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾[4].

فإنها لو كانت مستحيلةً، ما سألها سيدُنا موسىٰ عليه الصلاة والسلام؛ ولكنها لم تقع في الدنيا إلا لنبينا عليه الصلاة والسلام على خلاف فيه.

وواجبةٌ شرعاً في الآخرة، للكتاب والسنَّةِ والإجماع.

ورؤيةُ اللَّهِ تكون بقوة يجعلُها اللَّهُ في خَلْقِه، ولا يُشترط فيها مقابلةٌ، ولا جهة، ولا اتصالُ أشعةٍ بالمرئي؛ لأنه سبحانه يُدرَكُ بالعقل منزَهاً، فكذا بالبصر؛ لأن كليهما مَخْلوقٌ.

---

(١) طه: ١٣٠.

(٢) رواه مسلم، والترمذي.

(٣) يونس: ٢٦.

(٤) الأعراف: ١٤٣.

وأشار إلى هذا صاحبُ بدءِ الأمالي بقوله:

يَــــراهُ المؤمنــــونَ بغيــــرِ كَيْفٍ ... وَإدْراكٍ وضَــــرْبٍ مِنْ مِثَــــالِ
فَيَنْسَــــــــــوْنَ النَّعِيمَ إذا رَأَوْهُ ... فيَــا خُسْــرَانَ أَهْــلِ الاعتِــزالِ

الجنــة والنــار:

ومما يجب علينا الإيمانُ به: الجنة والنار فهما ثابتتانِ في الكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾[1].

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾[2].

أقول: إن الله تعالىٰ أوجدَ الجنةَ والنارَ فيما مضىٰ، فهما الآن موجودتانِ، أعد اللّهُ النارَ للكافرينَ خالدينَ فيها أبداً، ولمن شاءَ من العصاة، لمدة أرادها الله تعالىٰ لهم.

وأعد الجنةَ للمؤمنينَ بمحض فضلِه، يَتنعمونَ فيها بأنواعِ النعيم، وهي فوقَ السماءِ السابعة، كما أن النار تحتَ الأرضِ السابعةِ.

وها أنا ذا أُقدم لك بعضَ ما وردَ من أثرٍ، لتكونَ على شوقٍ وحذر:
عن عليٍ رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ في الجنَّةِ غُرَفاً يُرَىٰ ظُهورُها من بطونِها، وبطونُها من ظهورِها فقام أعرابي فقال: لِمَنْ هي يا رسولَ اللّهِ؟ قال: لِمَنْ أطابَ الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وأدامَ الصِّيام، وصلىٰ بالليل والناسُ نيامٌ».

---

(١) مريم: ٦٣.
(٢) التحريم: ٦.

عن أنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إنَّ في الجنَّةِ شجرةً يَسيرُ الراكبُ في ظِلِّها مائةَ عامٍ لا يَقْطَعُها، إن شِئْتُم فاقرءُوا: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾[1]»[2].

رُوِيَ عن عِكْرِمَةَ رضيَ اللَّهُ تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إنَّ الحورَ العينَ لأكثرُ عَدداً مِنكُنَّ، يَدعونَ لأزواجهن يَقُلْن: اللهم أعِنه على دينِك بعزَّتك، وأَقبِل بقلبه على طاعتِك، وبلغه إلينا بقربك يا أرحمَ الراحمينَ»[3].

عن أبي هريرةَ رضي الله تعالىٰ عنه، قال رسول الله ﷺ:
«ضِرْسُ الكافرِ مثلُ أُحُدٍ، وغِلَظُ جِلْدِه مسيرةُ ثلاث».
وفي رواية:
«ما بين مَنْكِبيْ الكافرِ مسيرةُ ثلاثةِ أيامٍ للراكب الْمُسْرِعِ»[4].
وعن أبي هريرةَ رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال النبي ﷺ:
«تحاجَّتِ الجنةُ والنارُ، فقالتِ النارُ: أوثِرتُ بالمتكبرينَ والمتجبرينَ.
وقالت الجنةُ: فما لي لا يَدْخلُني إلا ضعفاءُ الناسِ وَسَقَطُهم؟.
فقال الله تعالىٰ للجنة: أنْتِ رحْمَتِي أرحمُ بكِ مَنْ أشاءُ من عبادي.
وقال للنار: أنتِ عَذابي أُعذِّبُ بكِ من أشاءُ من عبادي، ولكلِ واحدةٍ منكما مِلْؤها»[5].

---

(١) الواقعة: ٣٠ ـ ٣١.
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه ابن أبي الدنيا.
(٤) رواه مسلم، والترمذي.
(٥) رواه البخاري.

وعن عمرانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«يخرجُ قومٌ من النَّارِ بِشَفاعَةِ محمدٍ ﷺ، فيدخلُونَ الجنَّة يُسَمَّوْنَ: الجهنميينَ»[1].

منكـر ونكيـر:

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«إنَّ العبدَ إذا وُضِعَ في قبره، وتولَّىٰ عنه أصحابُه، وإنه لَيسمع قرعَ نعالهم إذا انصرفوا.

أتاه ملَكانِ فيُقعِدانِه، فيقولانِ له: ما كنتَ تقولُ في هذا الرجلِ محمدٍ؟ ﷺ.

فأما المؤمنُ فيقولُ: أشهد أنه عبدُاللَّهِ ورسولُه.
فيُقال له: أُنظرْ إلىٰ مَقْعَدِكَ من النار! أبدلكَ اللَّهُ به مقعـداً من الجَنةِ، فيراهما جميعـاً، ويفتحُ الله له من قبره إليه.

وأما الكافرُ والمنافقُ فيقول: لا أدري! كنتُ أقولُ كما يقول الناس.
فيُقال: لا دَرَيْتَ ولا تَلَيْتَ، ثم يُضربُ بِمِطْرَقةٍ من حديدٍ ضربةً بين أُذنيه، فيصيحُ صيحةً، فيسمعُها مَنْ يليه إلَّا الثقلين[2]»[3].

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، وأبو داود.
(٢) أقول: يجب على المؤمن اعتقاد سؤال منكر ونكير في القبر للميت، وذلك بعد تمام الدفن، وعند انصراف الناس، يُعيد الله تعالىٰ الروحَ إلى الميت جميعه، كما قال الجلال السيوطي:
وكـلـه يـحـيـا لـدىٰ الـجـمـهـورِ   لا جـزؤه لـظـاهـر الـمـأثـور
ويرد الله تعالىٰ من حواسه وعقله وعلمه، ما يقدر به على فهم الخطابِ، وردِ الجواب حينَ يسألانه!.
(٣) أخرجه الخمسة: إلَّا الترمذي.

الملائكةُ يزورونَ النبي ﷺ:

عن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله تعالىٰ عنه قال:

«جاءَتْ ملائكةٌ إلى النبي ﷺ وهو نائم.

فقال بعضهم: إنه نائمٌ!.

وقال بعضهم: إنَّ العينَ نائمةٌ، والقلبَ يقظان!.

فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً.

فقال بعضُهم: إنه نائم!.

وقال بعضهم: إن العين نائمةٌ والقلبَ يقظانُ!.

فقالوا: مَثلهُ كمثل رجلٍ بنىٰ داراً، وجعل فيها مأْدُبة، وبعث داعياً، فَمَنْ أجاب الداعِي دخل الدار، وأكلَ من المأْدُبةِ؛ ومَنْ لم يُجبِ الداعيَ، لم يدخلِ الدارَ، ولم يأْكلْ منَ المأْدُبةِ.

فقالوا: أوِّلوها له ﷺ يفْقَهْها.

فقال بعضهم: إنه نائمٌ!.

وقال بعضهم: إن العين نائمة، والقلبَ يقظانُ!.

فقالوا: فالدارُ الجنة، والداعي محمدٌ عليه الصلاة والسلام، فمن أطاع محمداً فقد أطاع اللَّهَ، ومن عصىٰ محمداً فقد عصىٰ اللَّهَ، ومحمد فَرْقٌ بين الناس»[1].

هذا موجزُ ما اقتصرناه من الأحكام المتعلقةِ بعلم التوحيد؛ ليكونَ القارىء على ضوءٍ في عقيدته؛ لأن تصحيح العقيدةِ أساسٌ كبير لقبول العملِ وصحته.

•

(١) رواه البخاري.

الصَّلاة

حمداً لله، وصلاةً وسلاماً على سيدنا محمدٍ رسولِ الله، مَنْ قد قام في الصلاة، حتىٰ تَورمَتْ قدمٰاه، فصلواتُ اللَّهِ تعالىٰ وسلامُه عليه، وعلى آله وأصحابه الراكعين الساجدين، ورضي الله عن التابعين، وتابعيهم العابدين الخاشعين، وعن أئمة الدين، الذين قدَّموا وِسْعَهم، وبذلوا جهدَهم في خدمة المصلينِ من المسلمين، فبيَّنُوا ما خَفِيَ من أحكامها، وفصَّلوا ما أُجْمِلَ منها.

وبعد؛ فهذا موضوع عظيم من مواضيع التشريع الإسلامي، وركنٌ كبير من أركان الدينِ الحنيف، وعمادٌ متين من أعمدته، فلا يتم إسلامُ المسلمِ إلا به.

فالصلاة صِلة كبيرةٌ بين الخالقِ والمخلوق، والعابدِ والمعبود.

وقد ذكرت بتعليقي على «فتح العلام» للإمام الجرداني ـ رحمه الله ـ (١ / ٤٨٠) «كتاب الصلاة» مزايا الصلاةِ وفوائدَها، الحسيةَ، والمعنويةَ، مع ذكر بعضِ ما ورد في فضلها من أثر. وكتبَ الإمامُ الجرداني في هذا الموضوع كتابةً قلَّما تجدُها في كتاب، فجزاه الله عن المسلمين خيرَ جزاء.

وكان لي ـ والحمدلله ـ ترتيبُ الموضوعِ وتنقيحُه وفتح فِهرسه، ترغيباً للمطالعين، وتسهيلاً للمراجعين.

وموضوع الصلاة قد تناول حديثَه كثيرٌ من العلماءِ الأعلام، وبيَّنوا ما يتعلق به من أحكام. . . ولهذا اكتفيت بهذه العُجالة الموجَزة عما ذكروه،

وبيَّنتُ فيها أقوالَ الأئمةِ المجتهدينَ في «حكم تاركِ الصلاة» مع ذكر بعضِ الأحاديث المرغبةِ والمرهبةِ، لِمَا رأيتُ من وجود خللٍ كبير في بيوت المسلمين، من تعطيلٍ للصلاة والتساهلِ فيها، حتىٰ أصبحَ الناسُ في أمر الصلاة المكتوبةِ على طبقاتٍ أربعٍ:

١ ـ الأولىٰ: لم يَقبلوها رأساً، لا عَملاً ولا عقيدةً، وهؤلاءِ مصيرُهم سقر، قال الله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾[1].

٢ ـ الثانية: قبلوها عقيدةً، ولم يؤدوها عملاً، وهؤلاءِ جزاؤهم الغيُّ، قيل: هو الشر، وقيل: الخسران، وقيل: هو وادٍ في جهنم، بعيدُ القعرِ، خبيثُ الطعم! قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾[2].

٣ ـ الثالثة: لم يهتموا بها، ولم يُبالوا أدَّوها في وقتها، أو أخروها! كالمنهمكينَ في الدنيا، بحيثُ يخرج وقتُ الصلاةِ ولا يَشعرون به!.

فهؤلاءِ جزاؤهم الويل، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالىٰ عنه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾[3]؟ قال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها».

٤ ـ الرابعة: هم الذين قبلوها عقيدةً، وقامـوا بها عملاً، وهم يَرْعَوْنَها في مواقيتها، بشرائطها، وخشوعها، وآدابها، وهم المؤمنون الكاملون، المنوه بهم

---

(١) المدثر: ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) مريم: ٥٩.

(٣) الماعون: ٤ ـ ٥.

بقوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾[1].

وقد ذكر الله مَصيرَهُم برعايتهم هذه، مع ما اتصفوا به من الصفات الحسنة المذكورة في الآية، ثم قال أخيراً: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2].

وها أنا ذا أُقدم للقارىء الكريم، ما وردَ في حقِّ تاركي الصلاةِ من أثرٍ؛ ليكونَ على أمره من خوفٍ ووجل وحذر.

ويُبيِّن للناس من أهلٍ وولد وزوج، وعامٍ وخاص، ما كُتِبَ من خبر صحيح، وقولِ عالِمٍ نصيح، فأقول:

حُكْـم تارِكِهـا:

عن جابر رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«إن بينَ الرجلِ وبينَ الشِّركِ والكُفر تركُ الصلاةِ».

وفي رواية: «بينَ الكُفْرِ والإيمان تركُ الصلاةِ»[3].

أي: فَمَنْ تركَها كان كافراً، ومَنْ فعلَها كان مؤمناً.

وعن بُريدةَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«العهدُ الذي بينَنا وبينهُمُ الصلاةُ، فَمَنْ تركَها فقد كفرَ»[4].

وقال عبدالله بنُ شقيق: كان أصحابُ محمدٍ ﷺ، لا يَرَوْن شيئاً من الأعمالِ تركهُ كفرٌ، غيرَ الصلاة[5].

---

(١) و(٢) المؤمنون: ١ ـ ١١.

(٣) رواه الخمسة، إلا البخاري.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) رواه الترمذي.

وأخرج الإمام أحمد: «مَنْ حافظ على الصلوات كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يومَ القيامة.

ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ، ولا برهانٌ، ولا نجاةٌ، وكان يومَ القيامة مع قارونَ، وفرعونَ، وهامانَ، وأُبيِّ بنِ خلفٍ»[1].

وروى أبو نُعيم: «مَنْ ترك الصلاةَ مُتعمِّداً كتب اللَّهُ اسمَه على باب النار ممَّنْ يدخلُها.

ومَنْ تركَ صلاةً متعمداً أحبط اللَّهُ عَمَلَه، وبرِئتْ منه ذمةُ اللَّهِ تعالىٰ، حتىٰ يُراجعَ لله توبةً».

وفي حديث الإسراءِ:

«ثم أتىٰ على قوم تُرْضَخُ رؤُسُهم بالصخرة، كلما رُضِختْ عادتْ كما كانتْ، ولا يُفتَّرُ عنهم من ذلك شيءٌ، قال: يا جبريلُ! مَنْ هؤلاءِ؟ قال: الذين تثاقلتْ رؤُسهم عن الصلاة المكتوبة».

رَأْيُ العلماءِ في تارِكِها:

ظاهرُ هذه النصوص، أن مَنْ ترك الصلاةَ فهو كافر، وهذا بإجماع المسلمينَ إذا تركها جاحِداً لها، أي: لا يعتقد وجوبَها عليه؛ لأنها معلومةٌ من الدين بالضرورة.

قال صاحب الجوهرة:

وَمَنْ لِمَعْلومٍ ضَرورةً جَحَدْ مِنْ دِيننا يُقْتَلُ كُفْراً ليس حَد

(١) وإنما حُشر مع هؤلاء، لأنه إن اشتغل عن الصلاة بماله، أشبه قارونَ فيُحشر معه، أو بملكِه أشبه فرعون فيحشر معه، أو بوزارته أشبه هامان فيحشر معه أو بتجارته أشبه أبي بن خَلف تاجر من كفار مكة، فيحشر معه.

ومِثلُ هذا مَنْ نَفىٰ لمُجْمَعِ   أو استَباحَ كالزِّنا فلتَسْمَعِ

إلا أن يكون نشأ بعيداً عن العلماءِ، أو قريبَ عهدٍ بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدةً يبلغه فيها وجوبُها.

وإنْ تركَها كسلاً وهو معتقد لوجوبها، كما هو حال كثيرٍ من الناس، فجمهور السلفِ والخلفِ أنه لا يُكَفَّر، وعليه مالك، والشافعيَ ـ رضي الله تعالىٰ عنهما ـ؛ بل يُفسَّق فيُستتابُ؛ فإن تاب وصلىٰ، وإلاَّ قُتِلَ حداً كالزاني المحصَن؛ ولكنه يُقتل بالسيف، وحجتُهم في عدم كفرِه قولُه تعالىٰ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[1].

وحجتُهم في قتله: ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾[2].

عن علي، وأحمدَ بنِ حنبلٍ أنه يكْفُر. وقال أبو حنيفة: يُعَزَّر ويُحبَس حتى يُصلي[3].

فضــلُ جماعتهــا:

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«صلاةُ الرجل في جَماعةٍ، تُضَعَّف على صلاته في بيتِه وفي سوقه خمساً وعشرين ضِعْفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسنَ الوضوءَ، ثم خرج إلىٰ المسجد لا يُخرجُه إلا الصلاةُ، لم يَخْطُ خَطوةً إلا رُفعَتْ له درجةٌ، وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ؛

---

(١) النساء: ١١٦.

(٢) التوبة: ٥.

(٣) التاج الجامع للأصول: (١/١٤٠)، باختصار.

فإذا صلىٰ، لم تزل الملائكةُ تصلي عليه ما دام في مصلاه ما لم يُحْدِثْ: اللهُمَّ صلِّ عليه، اللهم ارحمه! ولا يزال أحدُكم في صلاة ما انتظر الصلاةَ»[1].

وعن ابنِ عمرَ رضي الله تعالىٰ عنهما، عن النبي ﷺ قال: «صلاةُ الجماعةِ تَفْضُل صلاةَ الفذِّ بسبعٍ وعشرينَ درجةً»[2].

وعن أبي موسىٰ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال: «أعظمُ الناسِ أجْراً في الصلاة أبعدُهم مَمْشَىٰ، والذي ينتظرُ الصلاةَ حتىٰ يُصلِّيَها مع الإمامِ، أعظمُ أجراً من الذي يُصلي ثم ينامُ»[3].

حُكْمُ المتخَلفِ عنها:

عن ابنِ مسعودٍ رضي الله تعالىٰ عنه قال: من سره أن يَلقىٰ الله تعالىٰ غداً مسلماً، فَلْيُحَافظْ على هؤلاءِ الصلوات، حيثُ يُنَادَىٰ بهن، فإن اللَّهَ تعالىٰ شرع لنبيكم ﷺ سُننَ الهُدَىٰ، وإنهُنَّ من سُنَن الهُدىٰ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلفُ في بيته لتركتُم سنةَ نبيكم! ولو تركتُم سنةَ نبيكم لضللتم، ولقد رأيْتُنا وما يتخلَّفُ عنها إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ، ولقد كان الرجل يُؤتىٰ به، يُهادَىٰ بينَ الرجلينِ حتىٰ يُقامَ في الصف[4].

تهديدٌ كبيرٌ للمتخلفِ عن جَمَاعَتِها:

وعن أبي هريرةَ رضي الله تعالىٰ عنه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لقد همَمَتُ أن آمرَ بحطب فيُحتَطبَ، ثم آمرَ

---

(١) رواه الخمسة.
(٢) رواه الخمسة، إلا أبا داود.
(٣) رواه الثلاثة.
(٤) رواه مسلم.

بالصلاة فيؤذَّنَ لها، ثم آمرَ رجلاً فيؤمَّ الناسَ، ثم أُخَالِفَ إلىٰ رِجَالٍ فأُحَرِّق عليهم بيوتَهم»(١).

وعن أبي الدرداءِ رضي الله تعالىٰ عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بدوٍ لا تُقام فيهم الصلاةُ، إلَّا قد اِستحوذ عليهم الشيطانُ، فعليكم بالجماعة! فإنما يأكلُ الذئبُ من الغنم القاصِيةَ»(٢).

قولُ. . . الشِعْراني في العهود:

أُخِذَ علينا العهدُ العامُّ من رسول الله ﷺ أن نُبينَ لتارك الصلاةِ: من الفلاحين، والعوام، وسائرِ الجهال، ما جاءَ في فضل الصلوات الخمس، وفضلِ مَنْ يُواظبُ عليهن، ونخصُ ذلك بمزيد تأكيدٍ، كما أكده اللَّهُ ورسوله.

وقد أغفل ذلك غالبُ الفقراء، وطلبةِ العلم الآن فترىٰ أحدَهم يُخالطُ تاركَ الصلاة: من ولدٍ، وخادم، وصاحبٍ وغيرِهم، ويأْكُلُ معه، ويَضحك معه، ويستعملُه عنده في التجارة، والعمارة، وغير ذلك! ولا يبيّن له قطُّ ما في ترك الصلاة من الإثم، ولا في فعلها من الأجر، وذلك مما يهدم الدين.

فبيِّن يا أخِي! لكلِّ جاهلٍ ما أخلَّ به من واجباتِ دينِه، وإلا فأنْت أولُ من تُسَعَّرُ بهم النارُ، كما ورد في الحديث الصحيح.

فإنك داخِلٌ فيمَنْ علِمَ ولم يَعْمَلْ بعلمِه؛ لأنَّ كلَ مَنْ عرف شيئاً من أحكام الشريعة، ولم يَعْمَلْ به ويُعلِمْه غيرَه، فهو داخِلٌ فيمنْ عَلِم ولم يعملْ بعِلْمه.

---

(١) متفق عليه.

(٢) رواه أبو داود بإسناد حسن.

واعلموا ـ رحمكُمُ الله ـ أن الصلاة والمداومةَ عليها، وعلى جماعتها، سببٌ لحصول الخيراتِ، والبركات، وتكثيرِ الحسناتِ، ورفعِ الدرجاتِ، وتكفيرِ السيئاتِ، وأن البلاءَ لَيرتفعُ عن المكان الذي أهلُه يصلون؛ كما أن البلاءَ ينزل على المكان الذي يترك أهلُه الصلاةَ، فلا تستبعدْ وقُوعَ الزلازلِ والخسف والصواعِق، على مكانٍ أهلُه يتركون الصلاةَ، ولا تقل إني أُصلي ولا أُبالي بهم، ولا عليَّ منهم! لأن البلاءَ إذا نزل يعمُّ الصالحَ والطالح؛ لكونه لم يأمُرْهُم، ولم يَنْهَهُم، ولم يَهْجُرْهم في الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾.

قولُ الحبيبِ الحدادِ في النصائحِ:

قال الحبيب عبدُالله بنُ عَلَوي الحداد في النصائح:

وكما يجب عليك أن تُحافظَ على الصلاة، ويحرم عليك أن تضيعها، كذلك يجب عليك أن تُشدِّدَ على أهلِكَ وأوْلادِكَ، وكلِّ مَنْ كان لك عليه ولايةٌ في إقامة الصلاةِ، ولا تَدعْ لهم عُذْراً في تركها، ومن لم يسمع ويُطع، فهدده وعاقبه، واغضب عليه أشدَّ وأعظمَ مما تغضب عليه لو أتلف مالك، فإن لم تفعل كنتَ من المستهينين بالصلاة، وبحقوقِ الله ودينِه.

ومَنْ عاقَبته وغضبتَ عليه ولم يمتثل وينزجر، فأبْعِدْهُ عنكَ، واطرده منك، فإنه شيطانٌ لا خيرَ فيه ولا بركة! تَحْرمُ مُوالاتُه ومعاشرتُه، وتجب مُعاداتُه ومقاطعته، وهو من المحادِّين لله ورسوله. قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾[1].

(١) المجادلة: ٢٢.

فنفىٰ الإيمانَ عن الموادِّين للمحادِّين لله ورسوله، ولو كانوا من أقرب الأقربين. فاحرِصوا ـ رحمكم الله ـ على المواظبة على الصلاة، وعلى حضورها في المساجد، واستعيذوا بالله من تضييعها، وأحسِنُوا المسارعةَ إليها وأديموا العكوفَ عليها، فهي مَغنمُ الرابحين، وفوزُ الأتقياءِ المبشَّرين، وراحة الزهَّاد الصالحين، وأدبُ السعداءِ المهتدين، وسلوةُ الصفوة المحبين، وغنيمة السادة العارفين، ومرهم العلماء العاملين.

لم يَشغلهم عنها شاغلٌ، ولم يبالوا عند حضورها بطالعٍ ولا نازل، قلوبُهم إلى حضورها تحِنُّ، وعند فواتِها تأسفُ وتئن، فلهم بها الفرحُ والحبور، والبهجة والسرور.

فرحم الله امرءاً بادر إلى الطاعات، وحافظ على فرضه في الجماعات، فهي المَغنم الخطير، والفوزُ الكبير، فإن سمعتم وأطعتم، سعدتم وأفلحتم، وإن أبيتم وأعرضتُم، فقد بُلّغتِ المعاذيرُ، والحُكْمُ لله العلي الكبيرُ اهـ.

وقال أيضاً الحبيبُ عبدُالله بعد قوله ﷺ:
«إن صلاةَ الجماعةِ تفضُلُ صلاةَ الفذِّ بسبعٍ وعشرينَ درجةً»:

فمن تساهل بهذا الربْحِ الديني الأُخْرَوي، الذي لا تعبَ في تحصيله، ولا مشقةَ في نيْله، فقد عظُمتْ عن مصالح الدين غفلتُه، وقلَّتْ في أمر الآخرة رغبتُه، لا سيَّما وهو يعلمُ من نفسه كثرةَ ما يتحمله من التعب، ويقاسي من المشاق، في طلب ربح الدنيا اليسيرِ الحقير!.

وإذا حصلَ له منه شيءٌ تافهٌ، ناله بتعبٍ كثير، نسي تعبَه وعدَّ ما ناله من ربح الدنيا الفانية غُنْماً جَسيماً.

أفلا يَخْشىٰ مَنْ يعرف من نفسه هذه الأوصافَ، أن يكون عند الله من المنافقين؟ وفيما وَعَدَ اللَّهُ به من المتشككين؟.

ولم يَبْلُغْنا في جملة ما بلغَنا عن رسول الله ﷺ، أنه صلى منفرداً ولا صلاةً واحدةً.

فلا يليقُ بمسلمٍ كاملٍ أن يتساهلَ في صلاة الجماعةِ ويصليَ منفرداً، فيدخل في الوعيدِ الشديد، الواردِ في تركِ الجماعةِ وتكونُ صلاتـهُ مختلَفاً فيها!.

فقد قال ابنُ مسعودٍ، وأبو موسىٰ الأشعَرِيُّ، وجماعةٌ من الصحابة ـ رضي الله تعالىٰ عنهم ـ:

«إنَّ مَنْ سَمِعَ النِّداءَ ولم يُجِبْ من غير عُذرٍ، فلا صلاةَ له».

ونُقِلَ اعتمادُ ذلك عن جماعـةٍ من السلف منهم: عطاءٌ، والثوريُّ، والإمام أحمد؛ وكفىٰ بهؤلاءِ قُدوةً... اهـ.

تسوية الصفوف وحكمها:

ومما ينبغي ويتأكدُ في صلاة الجماعة، تسويةُ الصفوفِ والتراصُّ فيها، قال ﷺ:

«سوُّوا صفوفَكم، وحاذُوا بينَ مناكِبكُم، ولِينُـوا في أيدي إخـوانكم، وسُدوا الخَللَ، فإن الشيطان يدخلُ فيما بينكم بمنزلة الْحَـذَفِ» يعني أولادَ الضأنِ الصغار[1].

وعن البرآءِ بنِ عازبٍ رضي الله تعالىٰ عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يأتي ناحيةَ الصفِّ، ويُسوِّي بينَ صدورِ القومِ ومناكِبهم، ويقول:

«لا تختلفوا فتَخْتَلِفَ قلوبُكم»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد، والطبراني، وإسناد أحمد لا بأس به مرفوعاً.

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وفي رواية للشيخين: فإن تسويةَ الصفوفِ من تمام الصلاة.

وفي رواية للبخاري: من إقامة الصلاة.

وقال ﷺ:

«رُصُّوا صفوفَكم، وقاربوا بينَها، وحاذُوا بالأَعْنَاق، فوالذي نفسي بيده، إني لأَرىٰ الشيطانَ يدخُلُ من خَلَلِ الصفِّ كأنه الحذَفُ»[1].

وقال ﷺ:

«استووا تستوِ قلوبُكم، وتماسُّوا تَراحموا»[2].

قال شُرَيْحٌ: تماسُّوا، يعني: تزاحموا في الصلاة.

وقال ﷺ:

«أقيموا الصفوفَ، وحاذُوا بينَ المناكِبِ، وسُدوا الخَللَ، ولِينوا بأيدي إخوانِكم، ولا تذروا فُرجاتِ الشيطان، ومن وصلَ صفاً وصَلهُ اللَّهُ، ومن قطعَ صفاً قطعه اللَّهُ»[3].

وعن أنس رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أقيموا صفوفَكم، وتراصُّوا، فإني أراكم من وراءِ ظهري»[4].

وفي رواية للبخاري:

«فكان أحدنا يُلْزِق مَنْكِبَهُ بمنكب صاحبِه، وقدمه بقدمه».

إلـىٰ هنا تمَّ موضوعُ الصلاة؛ ولله الحمدُ والمِنَّـة.

---

(١) رواه النسائي، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما مرفوعاً. والحذف: الغنم السود الصغار.

(٢) رواه الطبراني مرفوعاً.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود.

(٤) رواه البخاري، ومسلم بنحوه.

فضائل بعض السور

فَضْلُ سورةِ الفاتحةِ:

روى ابنُ عباسٍ رضي الله تعالى عنهما قال: بينما جبرائيلُ عليه السلام قاعدٌ عندَ النبي ﷺ، سمعَ نقيضاً[1] من فوقِ رأسِهِ، فقال:

«هذا بابٌ من أبوابِ السماءِ، فُتِحَ لَمْ يُفْتَح له قَطُّ إلا اليومَ، فَنزلَ منهُ مَلَكٌ، فقال: هذا مَلَكٌ نزلَ إلىٰ الأرض لمْ ينزل قط إلَّا اليومَ، فسلَّمَ وقال: أبشر بنورين أُوتيتَهُما لم يُؤْتهُما نبيٌّ قبلَك: فاتحةِ الكتاب، وخواتيمِ سورة البقرةِ، لَنْ تَقرأ بحرفٍ منهما إلا أُعْطِيتَه»[2].

فَضْلُ آيةِ الكرسِيِّ:

عن أُبَيِّ بنِ كعب رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يا أبا المُنْذِرِ! أتدري أيُّ آيةٍ من كتاب الله معكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلت: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾.

قال: فضربَ في صدري، وقال: «لِيهْنَكَ[3] العِلْمُ أَبا المنذرِ»[4].

---

(١) النقيض: الصوت.

(٢) رواه مسلم، والنسائي.

(٣) أي: فلتهنأ بهدية العلم، وليفرحك الله به.
قال الإمام النووي: فيه منقبة عظيمة لأبي المنذر، ودليلٌ على كثرة علمه.
قال القاضي عياض: فيه حُجة للقول بجواز تفضيلِ بعض القرآن على بعض وتفضيلهِ على سائر كتبِ الله تعالىٰ.

(٤) رواه مسلم، وأبو داود.

فضل سورة الكهف:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«مَنْ قَرأَ سورةَ الكهفِ في يومِ الجمعة، أضاءَ له من النور ما بينَ الجُمُعَتَيْنِ»(١).

فضل سورة الدخان:

رويَ عن أبي أمامةَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَنْ قرأ حٰمٓ الدخان في ليلةِ جُمُعةٍ، أو يومِ جُمُعة بَنىٰ اللّٰهُ لهُ بَيْتاً في الجَنَّة»(٢).

فضل سورةِ آل عمران:

رويَ عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَنْ قرأَ السورةَ التي يُذْكَرُ فيها آلُ عِمْرانَ يومَ الجُمعة، صلى الله عليه وملائكتُه حتى تجِبَّ(٣) الشمسُ»(٤).

فضل سورة الواقعة:

رويَ عن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَنْ قرأَ سورةَ الواقعةِ في كل ليلةٍ لم تُصبْه فاقةٌ أبداً»(٥).

---

(١) رواه الحاكم، والبيهقي في السنن.

(٢) رواه الطبراني في الكبير.

(٣) تجب: أي تغيب. لقد تكلمت على هذا الحديث في تعليقي على كتاب التبيان فعد إليه.

(٤) رواه الطبراني في الكبير.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان. وكذلك بسطت الحديث عنه في التبيان فارجع إليه.

فضل سورة يٓس:

رويَ عن جُندُبٍ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«مَنْ قرأ يٓس في ليلةٍ ابتغاء وجهِ اللّهِ غُفِر له»[1].

فضل سورة تبارك:

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«إنَّ سورةً في القرآن ثلاثونَ آيةً، شفَعتْ لرجلٍ حتىٰ غُفِرَ له، وهي ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾»[2].

ورويَ عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: ضرب بعضُ أصحابِ النبي ﷺ خِبَاءَهُ على قبر، وهو لا يحسِب أنه قبرٌ؛ فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورةَ المُلكِ حتىٰ ختمها.

فأتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! ضربتُ خِبائي على قبر وأنا لا أحسِب أنه قبرٌ، فإذا قبرُ إنسانٍ يقرأ سورةَ المُلكِ حتىٰ ختمَها.

فقال عليه الصلاة والسلام: «هي المانعةُ، هيَ المُنَجِّية من عذاب القبر»[3].

وعن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«ودِدْتُ أنها في قلب كلِّ مؤمنٍ».
يعني: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[4].

---

(١) رواه مالك، وابن حبان، وابن السني.
(٢) رواه أبو داود، والترمذي، وغيرُهما.
(٣) رواه الترمذي.
(٤) رواه الحاكم.

فضل سورة قل هو الله أحد:

عن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أحشُدوا، فإني سأقرأُ عليكم ثلثَ القرآنِ».

فَحَشَدَ مَنْ حشدَ... ثم خرج النبي ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثم دخل. فقال بعضُنا لبعض: إنَّا نرىٰ هذا خبراً جاءَه من السماءِ، فذلك الذي أدخله، ثم خرج نبيُّ اللَّهِ ﷺ فقال:

«إنِّي قلتُ لكم سأقرأُ عليكم ثُلثَ القرآنِ، ألا إنها تعدل ثلثَ القرآن»[1].

ورويَ عن معاذ بنِ أنس الجُهني رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ قرأ قُلْ هُوَ اللَّهُ أحدٌ، حتىٰ يَختمَها عشرَ مراتٍ بنى اللَّهُ له قصراً في الجنة».

فقال عمر بن الخطاب: إذاً نستكثرُ يا رسولَ الله!.

فقال عليه الصلاة والسلام: «اللَّهُ أكثرُ وأطيبُ»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال: أقبلتُ مع رسول الله ﷺ، فسمع رجلاً يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾.

فقال عليه الصلاة والسلام: «وجبتْ».

فسألتُه: ماذا يا رسولَ الله؟ فقال: «الجَنَّةُ».

---

(١) رواه مسلم، والترمذي.

(٢) رواه أحمد.

فقال أبو هريرة: «فأردت أن أذهب إلى الرجل فأُبشره، ثم فَرِقت أن يفوتني الغَداءُ معَ رسولِ الله ﷺ، ثم ذهبت إلى الرجل فوجدته قد ذهب»[1].

وعن أبي أيوبَ رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أيَعْجِزُ أحدُكم أن يقرأ في ليلة ثلثَ القرآن؟ مَنْ قرأ: الله الواحد الصمد، فقد قرأ ثلثَ القرآن»[2].

فضل سور: التكوير، والانفطار، والانشقاق:

عن ابن عمرَ رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
«مَن سرَّه أن ينظُرَ إلى يومِ القيامة كأنه رأيُ العين، فليقرأ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾»[3].

فضل سور: الزلزلة، والإخلاص، والكافرون:

عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾: تعدل نصفَ القرآن، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: تعدل ثلثَ القرآن، ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: تعدل ربُع القرآن[4].

فضل سورة التكاثر:

عن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.
(٢) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي.
(٣) رواه الترمذي، وغيرهُ.
(٤) رواه الترمذي، والحاكم.

«ألا يستطيع أحدُكم أن يقرأ ألفَ آيةٍ كلَّ يوم؟» قالوا: ومن يستطيع ذلك؟ قال: «أما يستطيع أن يقرأ ألهاكم التَّكاثر؟»(١).

ولقد ذكرتُ لك بعض فضائل السور، لتكون مكثراً لتلاوة القرآن، حريصاً على تعلمه وتعليمه.

وها أنذا أذكر لك فضلَ التلاوة بشكلٍ عام، إتماماً للفائدة فأقول:

عن عبداللّهِ بن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«مَنْ قرأ حَرْفاً مِنْ كِتابِ الله فَله به حَسنةٌ، والحسنةُ بعشر أمثالِها، لا أقولُ: ﴿الٓمٓ﴾، حرفٌ، ولكن ألفٌ حرف، ولامٌ حرف، وميمٌ حرف»(٢).

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، أن رسول الله ﷺ قال:
«مَنْ استمعَ إلى آيةٍ من كتابِ الله كُتِبَتْ له حسنةٌ مضاعَفةٌ، ومَنْ تلاها(٣) كانت له نوراً يومَ القيامة»(٤).

وعن أبي سعيد رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«يقول الربُّ تبارك وتعالىٰ: مَنْ شَغلَهُ القرآنُ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أُعطي السائلينَ، وفضلُ كلامِ الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه»(٥).

---

(١) رواه الحاكم.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) أي قرأها، فتتجسم القراءة وتكون له مصباحاً وهَّاجاً تُزيل ظلمةَ الوحشة، وتَطرد شدائدَ الأهوال، فيشعر القارىء بالنور الساطع، والنعيمِ اللامع جزاء عملِه وقراءته.
(٤) رواه أحمد.
(٥) رواه الترمذي.

عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال: «خيرُكم مَنْ تَعلَّم القرآنَ وعَلَّمَهُ[1]»[2].

وها أنذا أُقدم لك هذه الأبيات الرائعة، للإمام... البصيري - رحمه الله - في مدحه القرآن العظيم، لتتم رغبتُك، وتنجلي بصيرتك، وتكثر تلاوتُك. فقال ناظماً ومادحاً:

دَعْني وَوصفي آياتٍ له ظَهَرتْ ... ظُهورَ نارِ القِرَىٰ[3] ليلاً على عَلَمِ[4]
فالدرُّ يزدادُ حُسْناً وهو مُنْتَظِمُ ... ولَيس يَنْقُصُ قَدْراً غيرَ مُنْتَظِمِ
فما تَطاولَ آمالُ المديحِ إلىٰ ... ما فيهِ مِنْ كَرَمِ الأَخْلاَقِ والشِّيَمِ
آياتُ حقٍّ مِنَ الرَّحمٰنِ مُحْدَثَةٌ ... قديمةٌ صفةُ الموصوفِ بالقِدَمِ
دامَتْ لَدَيْنا فَفَاقَتْ كلَّ مُعْجِزةٍ ... مِنَ النبيِّين إذْ جاءَتْ ولم تَدُمِ
مُحَكَّماتٌ، فما تُبْقِينَ من شُبَهٍ ... لَدَىٰ شِقَاقٍ، وما تبغين مِنْ حِكَمِ
ما حُورِبَتْ قطُّ، إلا عادَ من حَرَبٍ ... أعدَىٰ الأَعَادي إليها مُلْقِيَ السَّلَمِ

---

(١) أي: أفضلكم الذي جاهد نفسه في حفظ القرآن، وفهمِ معانيه، وتفسيرِ آياته، ثم يُعلمه غيره ويوضح مجملَه، ويدعو الناسَ إلى العمل به.
قال الشرقاوي:
لا ريب أن الجامع بين تعلم القرآن وتعليمه، مكمل لنفسه ولغيره، جامع بين النفع القاصر والنفع المتعدي.
لا يقال: إن من لازم هذا أفضليةَ المقرىء على الفقيه، لأن المخاطَبين بذلك كانوا فقهاء الناس بذلك، إذ كانوا يدرون معانيَ القرآن بالسليقة، أكثرَ مِن دراية مَنْ بعدهم بالاكتساب. يرغب عليه الصلاة والسلام في حديثه هذا، في الوعظ والإرشاد، ويدعو العلماء إلى تعليم المسلمين، والعمل بأحكام الدين، والاجتهاد في تفهيم الضالين، وتبصيرهم الطريق المستقيم.
(٢) رواه البخاري، ومسلم.
(٣) القِرى: ما قُرِيَ به الضيف.
(٤) العَلَم: الجبل المرتفع.

رَدَّتْ بَلاغَتُها دَعْوى مُعارِضِها ... ردَّ الغَيُور يدَ الجاني عن الحُرَمِ
لها مَعانٍ كموجِ البَحرِ في مَددٍ ... وَفَوْقَ جوهرِهِ في الحُسنِ والقِيَمِ
فما تُعَدُّ ولا تُحْصَىٰ عجائِبُها ... ولا تُسَامُ على الإكْثارِ بالسأَمِ
قَرَّتْ بها عينُ قارِيها فقلتُ لهُ ... لقَدْ ظَفِرْتَ بحبلِ اللَّهِ فاعتَصِمِ
إن تتلُها خيفةً مِنْ حَرِّ نارِ لَظَىٰ ... أطفأتَ حَرَّ لَظىٰ من وِردِها الشَّبَمِ(١)
كأنها الحَوْضُ تَبْيَضُّ الوجوهُ به ... مِنَ العصاةِ وقَدْ جاؤُهُ كالحُمَمِ(٢)

عن أبي ذر رضي الله تعالىٰ عنه قال: قلت: يا رسول الله! أوصني، قال:

«عليك بتقوىٰ الله، فإنها رأْسُ الأَمْرِ كلِّه».

قلت: يا رسول الله! زِدْني، قال:

«عليك بتلاوة القرآن، فإنه نورٌ لك في الأرضِ، وذخر لك في السماءِ»(٣).

وعن جابر رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«القرآنُ شافعٌ مُشَفَّعٌ، ماحِلٌ(٤) مصدَّق، مَنْ جعله أمامَه قادَه إلىٰ الجَنَّة، ومن جعله خلفَ ظهرِه ساقَه إلى النار»(٥).

سماع القرآن من المذياع:

لقد ذكرتْ مجلة «نور الإسلام» ص: [٣٥٨] المجلد الرابع، سنة [١٣٥٢] هـ فتوىٰ لفضيلة المرحوم الشيخ «طه حبيب» رحمه الله تعالىٰ:

(١) الشبم: بفتحتين البرد. وقد شبِم الماء من باب طرِب فهو شبِم.

(٢) الحمم: الرماد والفحم، وكل ما احترق من النار.

(٣) رواه ابن حبان.

(٤) معناه: خصم مجادل مصدق.

(٥) رواه ابن حبان.

إن الذي يُسمَعُ من الكلام بواسطة «الراديو» هو كلام المتكلم، وصوتُ القارىء، وليس صَدىً كلماتٍ، كالذي يُسمع في الجبال والصحارىٰ وغيرِها. وعلى هذا يكون المسموع من «الراديو» قرآناً حقيقةً، فمتىٰ كان القارىءُ جالساً في محل غيرِ مُمْتَهنٍ، وكان في قراءته مراعياً ما تجب مراعاته، مستوفياً شروطَ القراءة، وليس في قراءَته خلل، كانت قراءَتُه جائزةً، والمسموع منه قرآناً، سماعه جائز ومثابٌ عليه.

أما إذا لم يستوفِ الشروط، كأن جلس في محل ممتَهن، أو أخل بشرط من شروط القراءَةِ، أو قصدَ من قراءَته اللهوَ واللعبَ فلا تجوز.

وعلى السامع أن يستمع، وإذا وجد مَنْ يشوِّش، نهاه عن التشويش. اهـ باختصار.

البِــدعُ المُسْتَحدَثــةُ:

أقول: بناءً على فتوىٰ الشيخ، إذا مرَّ القارىءُ على آية سجدة، فعلىٰ المستمع السجودُ.

وأقول أيضاً: وليحذر المسلمون من فتح المذياع في أماكن اللهـو: كالمقاهي وغيرِها، فهو استخفاف بكلام الله، الواجبِ احترامُه وتعظيمُه.

وليحذروا ـ أيضاً ـ من قراءَة القرآنِ في الطرقات، وأبوابِ المساجد، والمدافنِ بقصد التسول! فعلى المستمعِ الإنكارُ، وعدمُ الإعطاءِ والاستماعِ.

وكذا لا يجوز الاستماع ممن يُسيءُ القراءَة، ويُخل في أحكام التجويد، ولا يجوز تقديمُ أمثالِه في محاريب المسلمين يؤم الناسَ!.

فعلىٰ مدراءِ الأوقاف، النظرُ في هذا الأمرِ، واختيارُ الفئةِ المتعلمة للصلاة بالناس.

التفسير

قال الله تعالى

﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(1).

البحث

زُين للذين كفروا الحياةُ الدنيا، فعظُمَتْ في أعينهم، وأُشربتْ محبتُها في قلوبهم؛ فَمَنْ كثُر مالُه احترموه وعظموه ووقروه!.

ومن قلَّ مالُه احتقروه وسخِروا منه، وكان صغيراً في أعينهم!.

ومَنْ كان من المسلمين يُعظم شأنَ الدنيا وأبنائِها، غيرَ مكترثٍ بالآخرة وأمْرِها، فهو على شاكلة الكافرين، وهو من المفتونين بالدنيا المغرورين بها، وفي إيمانه نقصٌ كبير، وخلل عظيم، ينبغي له تدارُكُه.

المُزين: هو الشيطان، زَيَّنَ لهم الدنيا، وحسَّنَها في أعينهم بوساوسه، وحبَّبها إليهم، فلا يُريدون غيرَها!.

أو المزين: هو الله تعالىٰ، ابتلاءً واختباراً بخَلْقِ الشهواتِ فيهم، ليظهرَ عبدُاللهِ، وعبدُ الشهوةِ.

---

(1) البقرة: ٢١٢.

فخلق الأشياءَ العجيبةَ ومكنهم منها، وزادهم من مشتهياتها استدراجاً، إذ ما من شيءٍ إلا وهو خالقُه وفاعله؛ ويدل عليه قراءةُ: ﴿زُيِّنَ﴾ بفتح الزاي.

ويسخرون من الذين آمنوا: كبلال، وعمار، وصهيب، لفقرهم، يستهزؤن بهم ويتعالَوْن عليهم بالمال؛ لأنهم لا يريدون غيرَ الدنيا، وهم يسخرون ممن لا حظَّ له فيها، أو ممن يطلب غيرَها. اهـ.

قال الله تعالى

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1].

البحث

يشري - أي يبيعُ - نفسَه فيبذلُها في طاعة الله: من صلاة، وصيام، وجهاد، وأمرٍ بمعروفٍ، ونهيٍ عن منكرٍ.

فكان ما يَبذُله من نفسه كالسِلعَة، فصار كالبائع، والله تعالىٰ: المشتري.

والثمن: هو رضاءُ اللّهِ تعالىٰ، وثوابهُ المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾.

ومن رأفته بعباده، أن أنفُسَ العباد وأموالَهم له سبحانه، ثم إنه تعالىٰ يشتري مُلكَه بملكه! فضلاً منه ورحمةً وإحساناً.

سبب نزول هذه الآية:

روي عن ابن المسيب قال: أقبل صُهيبٌ رضي الله تعالىٰ عنه مهاجراً من مكةَ، فاتبعَهُ رجالٌ من قريش، فنزل عن راحلته، وانتثل ما في كِنانته وقال:

---

(١) البقرة: ٢٠٧.

والله لا تصلون إليَّ حتىٰ أرمِيَ بكل سهم معي! ثم أضربَ بسيفي ما بقي في يدي.

وإن شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة، وخليتم سبيلي. ففعلوا!.

فلما قدم على رسول الله ﷺ نزلت: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾.

رواية أُخرىٰ في سبب النزول:

وفي رواية: أتيتَنا صعلوكاً حقيراً، فكثُر مالُك عندنا، وبلغتَ الذي بلغتَ، ثم تُريد أن تَخرجَ بمالك ونفسك؟! واللّهِ لا يكون ذلك!.

فقال لهم: أرأيتُم إن جعلتُ لكم مالي أتُخْلُونَ سبيلي؟ قالوا: نعم.

قال: فإني قد جعلت لكم مالي.

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال:

«ربحَ صهيبٌ، ربحَ صهيبٌ».

رواية أُخرىٰ ـ أيضاً ـ:

وفي رواية: أخذه المشركونَ وعذبوه ليرتدَ! فقال: إني شيخ كبير، لا ينفعكُم إن كنتُ مَعكم، ولا يَضركُم إن كنتُ عليكم، فخلوني وما أنا عليه! وخذوا مالي. فقبلوه منه؛ وأتى المدينةَ فنزلت الآية. اهـ.

قال الله تعالى

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾[1].

---

(١) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦.

البحث

أخبر الله تعالىٰ في هذه الآيةِ أنه يَبتلي عبادَه - أي: يختبرهم ويمتحنُهم - فتارةً بالسراءِ، وتارةً بالضراءِ، وتارةً في الشدة، وأُخرَىٰ في الرخاءِ، وتارةً في الصحة، وأُخْرَىٰ في المرض، وتارةً في الغِنىٰ، وأُخْرَىٰ في الفقر، وبالخوف تارةً، وبالجوع أُخْرَىٰ.

فإن الجائع إذا جاع، والخائف إذا خافَ، يظهر ذلك على كلٍّ منهما.

وبنقص الأموال - أي: ذهابِ بعضِها - والأنفس: كموت الأصحاب، والأقارب والأحباب.

والثمرات: أي: لا تُعطي الحدائقُ والمزارعُ كعادتها.

وكل هذا وأمثاله مما يَختبر الله به عبادَه، فمن صبر أثابَه، ومن قنِط وضجر، حلَّ به عقابُه!.

صريح الآيات:

الآيات تصرح بأن المؤمنينَ في هذه الحياة، غرضٌ لسهام الابتلاءِ الإلٰهي: من خوف على حياةٍ، لجوع البطون، ولفساد المزارع، ولفقد المال، ولموت الأحباب، إلى غير ذلك مما نُشاهده بأعيننا كلَّ يوم.

تفاوت الناس في البلاء:

ثم الناس عندَ وَقْعِ البلاءِ متفاوتون، فمنهم من يمشي وراءَ نفسه وجزعها على فراق المحبوب المألوف.

ومنهم من يعرف أن كل كائنٍ لم يكن إلا بقضاءِ ربه تعالىٰ، فاطمأن له، ورضي به؛ برهاناً على أن رضاه عن ربه رضاءٌ لم تَشِبْه شائبةُ سَخطٍ فإنَّ من رضي عنك، ثم اشمأز من مواقع أفعالِك، فهو كاذب في دعواه.

وبُشْرىٰ اللّهِ تعالىٰ لا يستحقها إلا الراضون عنه، الصابرون على قضاياه، وإن كانت على خلاف ما يهوَوْنَ.

ولقد ذكرنا في كتابنا هذا في موضوع [الوعظ والرقائق] الصبرَ وأقسامَه، مع ذكر الأُمور المُعينة عليه، فارجع إليه إن شئت!. لأن المؤمن في هذه الحياةِ ممتحَنٌ ومبتلىٰ، ومعرَّضٌ لكل شدة.

وأنجعُ علاجٍ فعَّال هو العوْد لما وعدَ اللَّهُ الصابرينَ من أجر، وما ذكرَ من ثواب، فإن المؤمنين العاملين ينالون من ربهم الحسناتِ بالعد والوزن، إلا الصابرين، فيُكال لهم الأجرُ بالمِكْيالِ الأَوْفىٰ، من غيرِ عدٍّ ولا وَزْنٍ! ومصداقُ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(١).

فإذا رأى أهلُ العافيةِ في الدنيا ما أُفيضَ على أهلِ البلاءِ: من خير وفضل، وثواب، وأجر، تَمَنَّوْا أَنْ لو كانت أجسادُهم قد قُرِضَتْ بالمقاريض، وأن لو كانوا أشدَّ الناسِ فقراً وفاقةً.

قال الله تعالى

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾(٢).

البحث

﴿ قَضَىٰ ﴾: أمرَ وكتبَ ووصَّىٰ، ولهذا قرنَ بعبادته برِّ الوالدين، فلا تُسْمِعْهُما قولاً سيئاً، ولا التأفيفَ الذي هو أدْنىٰ مراتبِ القولِ السيءِ.

---

(١) الزمر: ١٠.

(٢) الإسراء: ٢٣ - ٢٤.

و ﴿أُفٍّ﴾: كلمة تضجر وتزمُّر.

﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾: بأن لا يصدرَ منك إليهما فعلٌ قبيح.

ولما نهاه الله عن القول القبيح، والفعلِ القبيح، أمره بالقول الحسن، والفعلِ الحسن بقوله:

﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: ليناً، طيباً، حسناً، بتأدبٍ وتوقر وتعظيم.

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ أي: تواضعاً لهما بفعلك، وألِن لهما جانبَك رحمةً لهما، وادعُ لهما بالرحمة، بأن تنالَهما رحمةُ اللّهِ، حيث إنهما ربياك وأنتَ في المهد صغيراً، أحوجَ ما تكون للخدمة والرعاية، ومن الجفاءِ، إذا دعوتَ لنفسك وأهمَلْتَهما! ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا﴾.

لقد تضمنت الآيتان عنايةً كبيرة بالوالدين، وكفىٰ أن الأمرَ بالإحسان إليهما، بعد الأمرِ بعبادة اللّهِ وحدَه مباشرةً، وهو في مواضعَ من القرآن هكذا.

سبب علو مرتبتهما:

وإنما كانت مرتبتهما كذلك؛ لأنهما السببُ في الإيجاد، والله هو الموجد، وهما السببُ في حفظ الوجود، بما أنفقا من مال، وبذلا من خدمة، والله هو الحافظ الرازق، وهما أرحمُ الخلق بالولد، وأصدق الأصحابِ وأخلصُهم، واللّهُ أرحمُ منهما به.

ومن هذا ـ أيضاً ـ حرم الله تعالىٰ على الولد، أن يُشافِههما بما يُفيد ضجرَه منهما، مهما ظلماه وهضما حقَّه.

فكيفَ بما هو فوقَ ذلك، مما يفعله الجاهلون؟ من أعمال يَندىٰ لها الجبين، تدل على كفران نعمةِ الوالدين، وجحود معروفِهما.

راجع موضوع [بر الوالدين] في هذا الكتاب، ترَ ما يُثلج قلبَك، من خبر، وأثر، ومَثَلٍ، وقَصَصٍ. في ص ٢٤٥.

قال الله تعالى

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (١)

البحث

يُقسم تعالىٰ بنفسه الكريمة المقدسةِ، أنـه لا يُؤْمِنُ أحدٌ حتىٰ يُحَكِّمَ الرسولَ ﷺ، في جميع الأمور، فما حكمَ به فهو الحق، الذي يجب الانقيادُ له باطناً وظاهراً، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾.

أي: إذا حكَّمـوك في أمر يُـطيعونـك في بواطنهم، فـلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمتَ به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيُسلِمونَ لذلك تسليماً كُلياً من غير مُمانعة، ولا مدافعةٍ، ولا منازعـةٍ، كما ورد في الحديث الشريف.

«والذي نَفسي بيَدِه، لا يُؤمِنُ أحدكم حتىٰ يكونَ هواهُ تبعاً لِمَا جئتُ به»(٢).

سبب نزول هذه الآية:

«اختصم رجلانِ إلى رسول الله ﷺ، فقضىٰ بينَهما، فقال الذي قضى عليه: رُدَّنا إلى عمرَ بنِ الخطاب!.

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) رواه الإمام النووي في «الأربعين»، وقال: حديث حسن صحيح، إلّا أنه لم يذكر: والذي نفسي بيده.

فأتيا إليه؛ فقال الرجل: يا ابنَ الخطابِ! قضىٰ لي رسولُ الله ﷺ علىٰ هذا؛ فقال: رُدَّنا إلى عمر! فردنا إليك.

فقال ـ عمر ـ: أكذلك؟ قال: نعم. فقال عمر: مكانَكما حتىٰ أَخرجَ إليكما فأقضيَ بينكما! فخرج إليهما مشتملاً على سيفه، فضرب الذي قال: ردنا إلى عمر فقتله!»[1].

مفهوم الآية:

هذه الآية: نَصَّتْ على نفي الإيمان عن كل مَن لم يرضَ ويُسلِّمْ كلَّ التسليم، بحكم رسولِ الله ﷺ، في أي حادثةٍ من الحوادث، له أو عليه.

وهذا النفيُ على ظاهره، فإنه لا يُمكن أن يعتقدَ امرؤ، أن الرسول ﷺ صفوةُ اللَّهِ من خَلْقِه، يتكلم عن اللَّهِ، مُنزهاً عن الميل والجَوْر، ومعَ ذلك يشك في حُكمه، ويضيق صدرُه من قضائه!.

ويُحب أن يتولىٰ سواه الحكمَ في مشكلته! هذا مُحالٌ من قلب رُبِطَ على تلك العقيدة.

وفي الآية من التنويه برِفعةِ قَدْرِ النبي ﷺ، ما لا يَخْفَىٰ، زاده الله كمالاً، وأسعدنا برضاه عنا آمين! ـ اهـ.

قال الله تعالى

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[2].

البحث

لقد نهانا اللَّهُ العليمُ الحكيمُ، عن الاقتراب من الزنىٰ، وما يدعو إليه: من النظر، واللمسِ، والاختلاطِ، والخلوة بالأجنبية؛ لأن هذه الأمورَ تؤدي إلى الزنىٰ: كالراعي يَرعَىٰ حولَ الحِمىٰ، يُوشِك أن يقعَ فيهِ.

---

(١) لُبابُ النقولِ في أسباب النزول، للإمام السيوطي رحمه الله تعالىٰ.

(٢) الإسراء: ٣٢.

فإذا كان الله تعالىٰ قد حذرنا من مقدمات الـزنىٰ: كالنـظر واللمس، فالتحذير من آرتكابه أولى وأشدُّ، وأقسىٰ وأمرُّ.

حكمةُ تحريمِ الزنىٰ:

فلَمْ يُحرِّم اللَّهُ علينا الزنىٰ عَبثاً، ولم ينهنا عنه إلا لحكمةٍ وفائدةٍ تعود علينا؛ فإن الزنىٰ من أفحش الفواحش، ومن أكبرِ القبائح، وأعظمها خطراً على المجتمع الإسلامي، والنوع الإنساني.

يُبدد الأموالَ، ويَهتك الأعراضَ، ويقتل الذريـةَ والأبناءَ، ويؤدي إلىٰ آختلاطِ الأنساب، ويُفضي بالأمـة إلى الهلاك والفناءِ.

والـزنىٰ: يُفسد الأخـلاقَ، ويدعـو إلى الشَقاءِ، ويُـوقـع في البـلايـا والأمراض الخبيثة القاتلة.

وما مرضُ الزُّهري، والسلِ الرئوي، وغيرِهما من الأمراض؛ إلا من آثاره السيئة، وعواقِبه الوخيمة!.

ولقد كان لإقامة الحد، في زمن الرسالة، وما تلاه من عصور زاهرة للإسلام والمسلمين، أثرٌ بالغُ الأهميةِ، عظيمُ التقديرِ.

ولقد أعرض المسلمون عن هذه الفاحشةِ إعراضاً تاماً: رجالاً ونساءً، شيباً وشُبَّاناً.

فعمَّ الـطهرُ والـطهارةُ جميـعَ المدن والقُـرىٰ، فأمِنـوا على أعراضهم وأمـوالهم، وعـاشـوا سعـداءَ هـانئين، وسيكـون لهم في الآخـرة جـزاءُ المحسنين!.

حكـم الحـد:

أما اليوم: فقد أعرض المسلمون عن إقامة هذا الحدِ، ومن أجل هذا فشا الزنىٰ فشواً ذريعا، وذهب الحياءُ من النساءِ والرجال، وخرجت المرأة

عاريةٌ، وهي تتباهى بعُريِّها! كأن العُريَّ سِلْعَةٌ معروضةٌ للناس، وفجرَتْ وهي تتباهى بفجورها! كأن الفجور فضيلةٌ تُظهرُها للناس!.

فإن حَدَّ الزانيةِ والزاني، لا زال واجباً إلى يوم القيامة، لم يُلْغِه لاغٍ، ولم ينسخه ناسخٌ، إقرأْ أولَ سورةِ «النور» وانظر حُكْمَ اللَّهِ العلاَّم، في حد الزنىٰ!.

فإقامتُه محتمٌ في كل زمن؛ ليزدجرَ الفجار، وتستقيمَ الأحوالُ، ويعمَّ الطهرُ، فيعيشوا سعداء، كما عاش الأولون، ويفوزوا بحسن الجزاءِ، كما فاز السابقون.

وها أنذا، أُقدم لك ما ورد عن الزنىٰ ومقدماته إتماماً للفائدة، فإن أعظم فتنةٍ عالمية، أُصيب بها المسلمون «قضية المرأة».

فهي تقضي على معنويات المؤمن، وتُزلزلُ قدمَه عن الطريق المستقيم، فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

التحذير من الزنىٰ ومقدماته:

عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: ما رأيتُ شيئاً أشْبَهَ باللمم[1] مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ:

«إنَّ الله كَتَبَ على ابنِ آدمَ حَظَّه[2] من الزنا، أدركَ ذلك لا مَحالةَ[3]،

---

(١) بالصغائر: كالنظرة والقُبلة، واللمسة والغمزة.

(٢) نصيبَه ما قدر عليه في علم الله تعالىٰ، الذي لا محيدَ عنه.

(٣) لا حيلة في التخلص من إدراك ما كُتب عليه ولا بد منه.

فَزِنا العينِ: النَّظرُ[1] وزنا اللسانِ: المَنطقُ[2]، والنفسُ: تَمنَّىٰ وتَشتهي[3]، والفَرْجُ: يُصدِّقُ ذلك كلَّه أو يُكذِّبُه»[4].

روي عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«يا شبابَ قريشٍ! إحفَظوا فروجَكم، لا تَزْنوا! ألا مَنْ حفِظَ فَرْجَه فله الجنة»[5].

وعن ميمونةَ رضي الله تعالىٰ عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«لا تزالُ أُمَّتي بخيرٍ ما لم يَفْشُ فيهم ولدُ الزنا؛ فإذا فشا فيهم ولدُ الزنا، فأَوْشَكَ أن يعمَّهم اللَّهُ بعذاب»[6].

شهــادة الجــوارح:

وقال بعضهم: إيَّاكَ وزنىٰ الجوارح! فإنها تشهدُ عليكَ يومَ القيامةِ:

١ ـ فتقول العين: أنا نظرتُ.

٢ ـ ويقول اللسان: أنا تكلمتُ.

٣ ـ وتقول الأذن: أنا سمعتُ.

٤ ـ وتقول: اليد: أنا لمستُ.

٥ ـ وتقول الرجل: أنا مشَيْتُ.

٦ ـ ويقول الفرج: أنا فعلتُ.

---

(١) إن تعمد وكان بشهوة وزاد على النظرة الأولىٰ.

(٢) أي النطق فيما يستلذ به، ومحادثةُ من لا يَحِل له محادثتُه.

(٣) قال ابن بطال: سمـي النظر والنطق زناً، لأنه يؤدي إلى الزنا الحقيقي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه الحاكم، والبيهقي.

(٦) رواه أحمد وإسناده حسن.

٧ ـ وتقول الأرض: أنا شهِدتُ.
٨ ـ ويقول الملَكُ: أنا كتبتُ.

والزنا يؤخذ بمثله، لقوله عليه الصلاة والسلام:
«مَنْ زَنى زُنِيَ به ولو بحيطان داره»[١].
راجع ترجمة «الإمام الشافعي» ترى من الشعر البديع المقتَبس من هذا الحديث ما يسرك في ص ١٦٠.

روي عن أبي أُمامةَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما من مسلمٍ ينظُرُ إلى محاسنِ امرأةٍ، ثم يغُضُّ بصَرَه؛ إلَّا أحدَثَ الله له عبادةً يجدُ حلاوتَها في قلبه».

وفي رواية:
«ما مِنْ مُسلمٍ ينظُرُ إلى امرأةٍ أوَّلَ رَمْقةٍ»[٢].
وروي عن أبي أُمامة ـ أيضاً ـ عن النبي ﷺ أنه قال:
«لَتغُضُّنَّ أبصارَكم، ولتحفَظُنَّ فروجَكُم، أو لَيَكْسِفَنَّ اللَّهُ وجوهَكم»[٣].

وعن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«إيَّاكُم والدخولَ على النِساءِ!». فقال رجل من الأنصار: أفرأَيْتَ الحَمْوُ؟ قال: «الحَمْوُ الموتُ»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه ابن النجار، عن شُريك رضي الله تعالىٰ عنه.
(٢) رواه أحمد، والطبراني.
(٣) رواه الطبراني.
(٤) رواه الشيخان، وغيرهما.

«ما مِنْ صباحٍ إلاَّ وملَكان يُنادِيَانِ: ويلٌ للرجال من النساءِ، وويلُ للنساءِ من الرجال»(١).

وعن عبدالله بن بُسْر رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ الزُّناةَ تَشْتَعِلُ وجوهُهُم ناراً»(٢).

وعن عبدالله بنِ عمرَ رضي الله تعالىٰ عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: «الزنا يُورِثُ الفقرَ»(٣).

وروي عن أنس بنِ مالك رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «المقيمُ على الزنا كعابدِ وَثَنٍ»!(٤). اهـ.

قال الله تعالى

﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴾(٥).

البحث

قال الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير (٢١/٢٤٩): إعْلَم أنه تعالىٰ لما ذكر الدلائلَ أوَّلاً على صحة البعث، ثم أورد شبهةَ المنكرينَ وأجاب عنها، أوْرَدَ عنهم الآن ما ذكروه على سبيل الاستهزاءِ طعناً في القول بالحشر، فقال: أفرأيت... الآيات.

---

(١) رواه البيهقي، والحاكم.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) رواه البيهقي.

(٤) رواه الخرائطي وغيرُه.

(٥) مريم: ٧٧ - ٨٠.

فإن قيل لِمَ قال: ﴿كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ بسين التسويف، وهو كما قاله كتب من غير تأخير؟ قال تعالىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ قلنا: فيه وجهان:

أحدهما: سيظهر له، ويعلمُ أنا كتبنا.

الثاني: أنَّ المتوعِدَ يقول للجاني: سوف أنتقم منك؛ وإن كان في الحال الانتقام، ويكون غرضهُ من هذا الكلام محضَ التهديدِ فكذا. . . هنا.

سبب نزول الآية:

قال العوفي: عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما، أن رجَالاً من أصحابِ رسولِ الله ﷺ كانوا يطلبون العاصَ بنَ وائل السهمي بدَيْن، فأَتَوْه يتقاضَوْنَه.

فقال: ألستُم تزعمونَ أن في الجنة ذهباً وفضة وحريراً، ومن كلِ الثمرات؟.

قالوا: بلىٰ..

قال: فإن موعدَكم الآخرةُ. فوالله لأُوتَينَّ مالاً وولداً، ولأُوتَين مثلَ كتابِكم الذي جئتم به!.

فضرب الله مثلَهُ في القرآن فقال: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ الآية. . .

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ﴾ أي: نظر في اللوح المحفوظ فرأىٰ منيته؟ وعلم ما له في الآخرة من مكانة؟ حتىٰ تألّىٰ وحلف على ذلك بأنه سيؤتيه اللّهُ مالاً وولداً!.

أمانيه الباطلة:

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ أي: أم له عند الله عهد سيؤتيه ذلك، أو قال: لا إلَه إلا الله، فيرجو بها ما يتمنىٰ؟!.

أو قد بلغ من عظمـة شأنه إلى أن ارتقىٰ إلى علم الغيب، الذي تَوحَّد به الواحدُ القهار، حتىٰ ادَّعىٰ أن يُؤْتَىٰ في الآخرة مالاً وولداً!.

أم اتخذ من عالِم الغيب عهداً بذلك؟ فإنه لا يُتَوصَّل إلى العلم إلا بأحد هذين الطريقين.

وقيل: العهدُ، كلمة الشهادةِ، والعمل الصالح، فإن وَعْدَ اللّهِ بالثواب عليهما كالعهد عليه.

وعيـد الله لـه:

﴿كَلَّآۚ﴾: رَدْعٌ وزجر وتنبيـه على الخطأ، هـو مخطىءٌ فيمـا تصوره لنفسه، فليرتدع إذاً عنه!.

﴿سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ﴾: المراد سنُظهر له ونُعْلِمُه أنا كتبنا قولَه؛ لأنه كما قال: كتب من غير تأخير، قـال الله تعالى

﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ﴾[1].

﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾[2].

نزيده من العذاب، كما يزيد في الافتراءِ والاجتراءِ.

والمعنى: نُطوِّل له من العـذاب ما يستأهله، ونضاعفـه لـه لكفـره واستهزائه، وافترائه علىٰ الله جلتْ عظمتُه.

---

(١) ق: ١٨.

(٢) مريم: ٧٩.

رواية أخرىٰ في سبب نزولِها:

روي عن خبَّاب بنِ الأرت رضي الله عنه قال: كنت قَيْناً[1] في الجاهلية، فعمِلتُ للعاص بنِ وائل سيفاً، فجئتُ أتقاضاه، فقال: لا أُعطيك حتىٰ تكفرَ بمحمدٍ! فقلتُ: لا أكفر حتىٰ يُميتك اللّهُ ثم تُبعث! قال: وإني لميتٌ ثم مبعوث؟! قلتُ: بلىٰ. قال: دعني حتىٰ أموتَ وأُبعثَ، فسأُوتىٰ مالاً وولداً، فأقضيكَ! فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى...﴾ الآية. اهـ.

قال الله تعالىٰ:

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾[2].

البحث

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾: عض اليدين، والأناملِ، وأكلِ البَنان، ونحوُها: كناياتٌ عن الغيظ والحسرةِ!.

قال عطاءٌ: يأكل الظالمُ يديه حتىٰ يأكلَ مِرفَقيه، ثم ينبتان، ثم يأكلهما، وهكذا كلما نبتت يداه أكلهما على ما فعل تحسراً!.

قال سيدنا عبدُ الله بنُ عباس رضي الله تعالىٰ عنهما:
الظالمُ: عُقبةُ بنُ أبي مُعيط؛ والخليلُ: أُبيٌّ[3] بنُ خلف.

---

(١) قيناً: حداداً.

(٢) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

(٣) وفي رواية: أمية بن خلف.

وذلك أن عقبةَ صنعَ طعاماً، فدعا أشرافَ قريشٍ، وكان فيهم رسولُ الله ﷺ، فامتنع أن يَطعمَ، أو يَشهد عُقبةُ شهادةَ التوحيدِ، ففعل. فأتاه أُبيّ[1] بنُ خلف، وكان خليلَه، وقال: أصَبأْتَ؟.

قال: لا! ولكن استحييتُ أن يخرجَ من منزلي، أو يَطْعمَ من طعامي.

«فقال له خليلُه: لا أرضىٰ حتىٰ ترجعَ وتبصقَ في وجهِهِ، وتطأ عنقه، وتقول: كيت، وكيت! ففعل عدوُّ اللَّهِ ما أمره به خليلُه! فأنزل الله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾.

قال الضحاك: لما بصق عقبةُ في وجه رسولِ الله ﷺ. رجع بصاقُه في وجهه، وشوىٰ وجهَه وشفتيه، حتىٰ أثَّر في وجهه وأحرقَ خديه، فلم يزل أثرُ ذلك في وجهه حتى قُتل»[2].

حكم الآية:

الظالم: هو المشرك عقبةُ بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين، ثم رجع إرضاءً لأبيٍّ بنِ خلف!.

وفي تفسير الخازن: حكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين، اجتمعا على معصية الخالقِ عز وجل!.

وورد: «المرءُ على دينِ خَليلِه، فَلينظرْ أحدُكم مَنْ يُخالِلُ»[3].

وورد: «لا تُصاحب إلاّ مؤمناً، ولا يأكل طعامَك إلا تقي»[4].

---

(١) وفي رواية: أمية بن خلف.

(٢) تفسير القرطبي: (١٣: ٢٥/٢٦).

(٣) رواه أبو داود، والترمذي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ.

(٤) رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ.

يقول: «يا» للتنبيه، ليتني اتخذتُ مع الرسول سبيلاً: محمدٍ، أي: صاحبته في اتخاذ سبيل الهدىٰ، أي: طريقاً إلى الهدىٰ، يا ويلتا: ألفه عوض عن ياءِ الإضافة ـ أي: ويلتي، ومعناه: يا هَلَكتي ـ، ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، فكنىٰ عن اسمه وإن أُريد به الجنس، فكل من اتخذ من المضلين خليلاً، كان لخليله اسمُ علم لا محالة، فجعل كناية عنه.

لقد أضلني عن الذكر ـ أي القرآنِ ـ أو عن ذكر الله، أو كتابه، أو موعظةِ الرسول، أو كلمةِ الشهادة، بعدما تَمكنتْ منه.

خذلانُ الكافرِ خليلَه:

﴿بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ بأن ردني عن الإيمان به. ﴿وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾ والكافر خذولاً لخليله، بأن يتركَه ويتبرأ منه عند البلاءِ بعدَ المعاونةِ، والموالاة: هو مبالغة من الخذلان، وهو من عادة الشيطان تركُ من يواليه.

قال في الظلال:

وهكذا راح القرآن، يهز قلوبهم هَزاً بهذه المشاهدِ المزَلْزِلَة، التي تُجسم لهم مَصيرَهم المَخيف، وتُريهم إياه واقعاً مشهوداً، وهم بَعدُ في هذه الأرض: يُكَذِبونَ بلقاءِ الله، ويَتَطاولون علىٰ مَقامه دونَ توقيرٍ، ويقترحون الاقتراحاتِ المُستهترة؛ والهول المرعِب ينتظرهم هناك، والندم الفاجع بعد فوات الأوان. اهـ.

قال الله تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.[1]

(١) البقرة: ٢٦٧.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا﴾: تقصِدوا، والأصل تتيمموا بتاءَين فحُذفتْ إحداهما تخفيفاً، ﴿ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ﴾: الرديءُ، من المذكور في قوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ في صدر الآية: ﴿وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾: أي: الخبيثَ لو أُعْطِيتموه ﴿إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾: أي: بالتساهل وغضِ البصر وإطباق الجَفْنِ؛ وذلك أن الإنسان إذا أخذ ما يَكره، أغمضَ عينيه لئلا يرى ذلك! فكيفَ تؤدون منه حقَّ اللّهِ تعالىٰ؟ وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كانوا يتصدقون بحشَف التمر وشِراره، فنُهوا عنه.

فائِدةُ الصدقةِ:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ أي: غني عن نفقاتكم، فلم يأْمركم بها لاحتياجه إليها؛ بل لنفعكم بها، واحتياجكم لثوابها، فينبغي لكم أن تتحَرَوْا فيها الطيبَ.

حميد: أي محمود في أفعاله ـ وقيل: حميد: بمعنى حامد، أي: أجرَكم على ما تفعلونه من الخير.

سببُ نزولِ الآية:

عن البراءِ بنِ عازب رضي الله تعالىٰ عنه قال: نزلت فينا معشرَ الأنصارِ، كنا أصحابَ نخلٍ، فكان الرجل يأْتي من نخله على قدْرِ كَثْرتِه وقلتِه، فكان الرجل يأْتي بالقِنو[1] والقنوين، فيعلقه في المسجد، وكان أهل

(١) القنو: العَذْق أي: غصن الشجرة: والجمع القنوان.

الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدُهم إذا جاع، أتى القِنْوَ، فضربه بعصاه، فسقط البسرُ[1] والتمر فيأكل.

وكان ناسٌ ممن لا يَرغب في الخير، يأتي الرجلُ بالقنو فيه الشيص[2] والحَشَف[3]، وبالقنو قد انكسر فيعلقه.

فأنزل الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ . . . الآية.

قال: لو أن أحدَكم أُهْدِيَ إليه مِثلُ ما أَعطى لم يأخذه إلا على إغْماضٍ وحياءٍ. قال: فكنا بعد ذلك يأتي أحدُنا بصالح ما عنده[4] اهـ.

قال الله تعالى

﴿ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[5].

البحث

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ أي: تمنَّوْا بأن تركنَ إلى آلهتهم، وتتركَ ما أنت عليه من الحق! أو تُلاينهم، بأن تَدعَ نهيهَم عن الشرك، وتُوافقَهم فيه أحياناً، فيلاينُونك بترك الطعنِ والموافقة.

---

(١) البسر أوله: طلع، ثم خلال، ثم بلح، ثم بُسْر، ثم رُطَب، ثم تمر.

(٢) الشيص: هو التمر الذي لا يشد نواه، وإنما يتشيص إذا لم تلقح النخل.

(٣) الحَشَف: هو أردأ التمر. وفي المثل: أحَشَفاً وسوء كِيلة. اهـ. مختار.

(٤) أخرجه الترمذي.

(٥) ن: ٨ - ١٧.

وأصل الإدهانِ: اللينُ والمصانعةُ، والمقاربة في الكلام.

وقيل: ادَّهن الرجل في دِينه، وداهن في أمر: إذا خان فيه وأظهر خلافَ ما أبطنَ.

أو تمنَّوا لو تتركَ ما أنت عليه، مما لا يَرْضَوْنَه مصانعة لهم، فيفعلوا مثلَ ذلك، ويتركوا بعضَ ما لا ترضىٰ به، فتلينُ لهم، ويلينون لكَ.

سبب نزولها:

وروي أن الوليد بنَ المغيرةِ وجماعتَه، لقُوا رسولَ الله ﷺ فقالوا: يا محمد! هَلمَّ فلتعبدْ ما نعبدُ، ونعبدُ ما تعبد، ونشتركُ نحن وأنت في أمرنا كله!.

فإن كان الذي جئتَ به خيراً مما بأيدينا، كنا قد شاركناك فيه وأخذنا بحظنا منه!.

وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك، كنت قد شاركتنا في أمرنا وأخذتَ بحظك منه! فأنزل الله: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ الآيات. فهذا هو معنى الإدهان أو المداهنة.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ أي: كثيرَ الحلف في الحق والباطل.

﴿مَّهِينٍ﴾: حقير الرأي، من المهانة وهي الحقارة. وذلك أن الكاذب لضعفه ومِهانته، إنما يتقي بأيمانه الكاذبة، التي يجترىءُ بها على أسماءِ الله تعالىٰ، واستعمالِها في كل وقت، في غير محلها.

﴿هَمَّازٍ﴾: عيَّاب، يعني بذلك ـ والله أعلم ـ الاغتياب.

وقيل: الهمَّاز الذي يهمز الناس بيده ويؤذيهم.

واللمَّاز: بلسانه، أي: يهمزهم بلسانه.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾: نقَّال للحديث على وجه السعاية، يعني: الذي يمشي بين الناس ويُحرش بينَهم، وينقل الحديثَ لفساد ذاتِ البين، وهي الحالقة.

حديث الباب:

روي أنَّه عليه الصلاة والسلام مرَّ بقبرين فقال:

«إنهما يُعذبَانِ وما يُعذَّبانِ في كبير، بلىٰ إنه كبير، أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله»[(1)].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل الجنةَ قتات»[(2)].

وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ بنِ السكن، أن النبي ﷺ قال:

«ألا أخبرُكُمْ بخياركم»؟، قالوا: بلىٰ يا رسولَ الله! قال ﷺ:

«الذين إذا رُؤُوا ذُكِرَ اللَّهُ عز وجل». ثم قال: «ألا أخبركم بشراركم؟ المشاؤون بالنميمةِ، المفسدونَ بينَ الأحبةِ»[(3)].

وفي رواية: خيارُ عبادِ اللَّهِ: الذين إذا رؤوا ذُكِرَ الله، وشرار عبادِ الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بينَ الأحبة، الباغون للبرآء العَنت[(4)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه إلا أنه قال: نمام.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه أحمد عن شهر، وبقية إسناده محتج بهم في الصحيح.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾: يمنع الناسَ عن الخير من الإيمان، والإيقانِ، والعمل الصالح.

﴿مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾: متجاوزٌ في الظلم، وكثير الإثم، أو معتد في تناول ما أحل الله له، يتجاوز فيها الحدَّ المشروع. أثيم: بتناول المحرماتِ.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ جافٌ غليظٌ، صحيحٌ جموحٌ منوعٌ.

روي أنه عليه الصلاة والسلام قال:
«ألا أخبركم بأهل النار؟ كلُّ عتلٍ جوَّاظ مستكبر»[1].

﴿زَنِيمٍ﴾ أي: دَعي مُلحق النسبِ.

ولما نزلت هذه الآياتُ قال لأمه: - أعني الوليدَ بنَ المغيرةِ - إن محمداً - ﷺ - وصفني بتسع صفاتٍ أعرفُها، غَيْرَ التاسعِ منها، فإن لم تصْدُقيني الخبرَ ضربتُ عنقَكِ!.

فقالت له: إن أباك عنِّينٌ، فخفتُ على المال، فمكنت الراعيَ من نفسي فأنت منه!.

قال ابن عباس: لا نعلم أن الله وصف أحداً بما وصفَه به من العيوب كالوليد، فألحق اللّهُ به عاراً لا يُفارقه أبداً.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ أي: هذه مقابلة من أنعم الله عليه، من المال والبنين! كفرَ بآياتِ اللّهِ تعالىٰ، وأعرضَ عنها، وزعم أنها كذب، مأخوذ من أساطير الأولين.

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

فما ينبغي ولا يليق منه ذلك، لأن المالَ والبنين من النعم، فكان ينبغي مقابلَتُها بالشكر والتصديق، لا بالكفر والتكذيب.

إذا تليتْ عليه آياتُ اللّهِ يقول: إنها أساطيرُ الأولينَ.

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ﴾: بالكي علىٰ الأنف، وقد أصاب أنفَه جراحةٌ يومَ «بدر» فبقي أثرُهُ إلىٰ أن مات!.

أو نسودُ وجهَه يومَ القيامة، ولا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة!.

أو سنجعل على أنفه علامةً يُعيَّر بها ما عاش، فحُطِم أنفُه بالسيف يومَ «بدر»!.

وعن عبدالله بنِ عمرَ رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«إن العبد يُكتب مؤمناً أحقاباً ثم أحْقَاباً، ثم يموتُ وهو عليه ساخطٌ.

وإن العبد يُكتب كافراً أحقاباً ثم أحقاباً، ثم يموتُ والله عنه راضٍ».

ومن مات همّازاً لمّازاً مُلَقِّباً للناسِ، كان علامتهُ يومَ القيامة أن يسِمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين.

قال الله تعالى

﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ١٢ وَبَنِينَ شُهُودٗا ١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ١٤ ثُمَّ يَطۡمَعُ أَنۡ أَزِيدَ ١٥ كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ١٦ سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾[1].

---

(١) المدثر: ١١ ـ ١٧.

والخطاب للرسول ـ ﷺ ـ ومعناه: خلِّ بيني وبينَ هـذا الذي خلقتُـه وحيداً، مجرداً من كل شيءٍ آخر، مما يعتز به من مال كثير ممدود، وبنين حاضرين شهود، ونِعَم يتبطر بها ويختال ويطلب المزيدَ، خلِّ بيني وبينه، ولا تَشغَل بالَـكَ بمَكْـرِهِ، وكيدِه، فأنا سأتولَّىٰ حربَه.

وهنا يرتعش الحسُّ ارتعاشةَ الفزع المُزلْزل، وهو يتصور انطلاقَ القوةِ التي لا حد لها... قوةِ الجبار القهار... لتسحقَ هذا المخلوقَ الضعيف المسكين، الهزيلَ الضئيل! وهي الرعشة التي يُطلقها النصُ القرآني في قلب القارىء والسامع، الآمنين منها، فما بالُ الذي تتجه إليه وتواجهه...

ويطيل النصَ في وصف هذا المخلوقِ، وما آتاه الله من نعمه وآلائه، قبل أن يذكر إعراضَه وعناده.

فهو قد خلقه وحيداً، مجرداً من كل شيءٍ حتىٰ من ثيابه! ثم جعل له مالاً كثيراً ممدوداً، ورزقَه بنينَ من حوله حاضرين شهوداً، فهو منهم في أُنس وعزة، ومهَّد له الحياةَ تمهيداً، ويسَّرها له تيسيراً.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ فهو لا يقنع بما أُوتي، ولا يشكر ويكتفي. اهـ من الظلال باختصار.

سبب نزول هذه الآيات:

روي أنه عليه الصلاة والسلام، قام يوماً في المسجد يقرأ قوله تعالىٰ:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

---

(١) المؤمن: ١ ـ ٣.

والـوليد بنُ المغيـرةِ قريبٌ منـه يسمع قـراءته، فلمـا فـطِن النبي ﷺ لاستماعه لقراءته، أعاد قراءة الآية. . .

فـانطلق الـوليد حتىٰ أتىٰ مجلسَ قـومِه فقـال: والله لقد سمعتُ من محمد - ﷺ - آنفاً كلاماً، ما هو من كلام البشر، ولا من كلام الجن!!.

إنَّ له لحلاوةً! وإنَّ عليه لطلاوة! وإنَّ أعلاه لمثمر! وإنَّ أسفله لمغدق! وإنه يعلو ولا يُعلىٰ عليه! ثم انصرف إلى منزله.

فقالت قريش: صبأ - والله - الوليد، والله لتصبأن قريشٌ كلُهم!.

فقام أبو جهل، وقال: أنا أكفيكمُوه. فانطلق فقعد إلى جنب الوليـد حزيناً. . . فقال الوليد: ما لي أراك حزيناً يا ابنَ أخي؟.

فقال أبو جهل: وما يمنعني أن لا أحزن، وهذه قريش يجمعون لك نفقة يُعَيِّشونَك بها على كِبَر سنِكَ، ويزعمـون أنـك زينـتَ كـلامَ محمد ﷺ لتأكلَ فضلَ طعامِه! فغضب الوليد وقال: ألم تعلم قريش أني من أكثرهم مالاً وولداً؟.

وهل شبع محمد وأصحابهُ من طعام فيكونَ لهم فضلٌ؟.

ثم قام مع أبي جهل حتىٰ أتىٰ مجلس قومِه، فقال لهم: تزعمون أن محمداً - ﷺ - مجنون؟ فهل رأيتموه يَخنُق قط؟.

قالوا: اللهم لا!.
قال: تزعمون أنه كاهن. فهل رأيتموه قط تكهَّن؟.
فقالوا: اللهم لا.
قال: تزعمون أنه كذابٌ، فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب؟.

فقالوا: اللهم لا ـ وكان ﷺ يُسمَّىٰ الأمينَ قبلَ النبوةِ ـ فقالت قريشٌ للوليد: فما هو؟ فتفكر في نفسِه وقدَّر: ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي: ما هذا إلَّا سحر ينقله محمدٌ من غيره عمن قبله ويحكيه عنهم. فهو ساحر، أما رأيتموه يفرِّق بينَ الرجلِ وأهلِه؟ والوالدِ وولده؟ ففرحوا بقوله، وتفرقوا عنه مُعْجَبينَ!.

فنزل قوله تعالى:

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ فيه ثلاثة أقوال:

١ ـ روي أنه كان يُلقبُ الوحيدُ. أي: لا نظير له في ماله وشرفه وجاهه.
٢ ـ معناه: خلَقْتُه منفرداً ذليلاً، لا مال له ولا ولد.
٣ ـ معناه: خلقتُه وحدي.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ قيل: كان مالُه ألفَ دينارٍ. وقيل: مائةَ ألفِ دينار.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي: لا يَغيبون، حضوراً عنده لا يسافرون بالتجارات؛ بل أجراؤهم وخدمُهم يتولَّوْن ذلك عنهم، وهم قعود عند أبيهم، وكانوا ثلاثةَ عشرَ. أسلم منهم ثلاثة: خالد، وعمارة، وهشام.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾: مكنتهُ من صنوف المال والأثاث وغيرِ ذلك. وبسطتُ له الرياسةَ، والمال، والجاه العريض، حتىٰ لُقِّب ريحانةَ قريشٍ، وقيل: ما زال بعدَ نزول هذه الآية، في نقصان في ماله حتىٰ هلك!.

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ويل وادٍ في جهنم، يهوي فيه الكافرُ أربعينَ خريفاً

قبلَ أن يبلغ قعرَه! والصَعودُ: جبلٍ من نار، يتصعد فيه الكافر سبعينَ خريفاً، ثم يهوي به كذلك أبداً».

وفي رواية: «صَعود جبلً في النار من نار، يُكلف أن يصعدَه، فإذا وضع يده ذابت! وإذا رفعها عادت، وإن وضع رجلَه ذابت، وإذا رفعها عادت».

﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي: أرهقناه صَعوداً لبُعده عن الإيمان؛ لأنه فكر وقدَّر، أي: تَروَّىٰ ماذا يقول في القرآن حينما سُئِل؟ ففكر ماذا يَختلقُ من المقال! ثم نظر في القرآن مرةً أخرىٰ، ثم عبس وقطَّبَ وجهَه، لما لم يجد فيه مَطعناً، ولم يدر ما يقول!.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ معنى اللواحةِ: مُغَيِّرةٌ، يقال: لوَّحه السفرُ إذا غيَّره. والبشر: جمع بشرة. وهي: الجلدة. فالمعنىٰ: أنها تحرق الجلود وتسوِّدُها، وقيل: لواحة: من لاح إذا ظهرَ. والبَشَرُ: النـاسُ، أي: تلوح للناس، فتظهر لهم.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً﴾ أي: شـديدي الخَلْق، لا يُقاوَمون ولا يُغالَبُونَ.

فقال أبو جهل: يا معشرَ قريش! أَما يستطيع كلُ عشرةٍ منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟! فنزلت...

وقد قيل: إن كلدة بن أُسيد قال: يا معشرَ قريش! أُكفوني منهم اثنين! وأَنا أَكفيكم منهم سبعةَ عشر، إعجاباً بنفسه!.

وكان قدْ بلغ من القوة، أَنه كان قد يقف على جلد البقرة، ويجاذبه عشرةُ ينزعوه من تحتِ قدميه، فيتخرقُ الجلدُ، ولا يتزحزحُ عنه.

قال الله تعالى

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ
مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾
وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا
ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴾.

البحث

هذه السورةُ مكيةُ، فهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، ولقد تأخر الوحيُ عن رسول اللَّهِ ﷺ، مدةً قدَّرها الرواة: أربعينَ يوماً. فقال المشركون: إن محمداً قلاه ربُه! يعني: بغضه؛ ولم يعد ينزل عليه الوحي بعدَ الآن.

فنزل قوله: ﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾.

أقسم الله بالضحىٰ وهو: النهار. وأقسم بالليل الساجي: الساكن، ما ودعك ربك يا محمد! وما بغضك.

وقيل: يريد الله بالضحىٰ: نورَ الجنةِ. وبالليل الساجي: المظلم، يشير إلى الدنيا، فهي كالليل الساجي إليهم.

فكل مَنْ فيها مُتحيرٌ لا يَعرف مصيرَه، ولا يدري إلى أين المستَقر؟.

فمَثَلُه كمثل من يمشي في الظلام، لا يهتدي إلى الطريق، إلا بعدَ تعبٍ وجهد...

أو الضحىٰ: نورٌ في قلوب المؤمنين، والليلُ الساجي: ظلمةٌ في قلوب الكافرين.

أو المراد بالضحىٰ: الوحي السماوي، فهو حينَ ينزل عليك، يُشبه الضُحىٰ في رابعة النهار، وانقطاعه عنك يُشبه الليلَ الساكنَ، المظلمَ الموحشَ.

واختار الله القسم بالضحىٰ والليل: يُريد الحث والترغيب على العبادة فيهما. فما أقلَ العُبَّاد في الضحىٰ؟ وما أقل العُبَّادَ والليلُ ساكنٌ مظلم؟.

ويَرىٰ بعضُ العلماءِ، أن وفداً من اليهود، سألوا النبي ﷺ عن قصة أهلِ الكهف، وعن الروح، وعن ذي القرنين؟.

فقال عليه الصلاة والسلام للوفد: «غداً أُخبركُم» ولم يقل: إن شاءَ الله، فتأخر الوحي.

فقال المشركون: إن محمداً قد قلاه ربه وبغضه. فنزل قوله تعالى: مُعلِلاً سببَ تأخيرِ الوحي:

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾.

ثم ردَّ الله على المشركينَ بقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ أي: لم يتركك يا محمد! تركَ المودع، وما بغضَك.

وكيف يكون ذلك؟ وأنت الحبيبُ المختار لرسالةٍ كبرىٰ، ومهمة عظمىٰ.

ثم قال: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

لقد أطلع الله نبيَه محمداً عليه الصلاة والسلام، على ما سينفتح لأمته في الدنيا، فَسُرَ عليه الصلاة والسلام سروراً عظيماً.

فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾.

يعني: أنَّ ما ادَّخره الله لك في الآخرة، خير وأبقىٰ وأحسنُ من ذلك.

ولقد خَص الله النبي ﷺ، بعطايا كثيرةٍ، ومزايا عِدَّة.

فهو أول مَنْ يفتح بابَ الجنان. وأعطاه الله الكوثرَ، وهو: نهر في الجنة: حافتاه من اللؤلؤ، وترابه من المسك الأذفر.

وهو صاحب الحوض المورود: ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلىٰ من العسل، كيزانُه: عدد نجوم السماءِ، مَنْ شربَ منه لم يظمأ بعدَ ذلك أبداً.

وهو صاحب الشفاعة الكُبرىٰ، في فصل القضاءِ، ففي هذا اليوم الشديدِ الكرب، تتمنىٰ الخلائق الانصرافَ ولو إلى النار؛ ليعرفَ كلٌ مصيرَه، فتقوم الخلائق إلى آدم عليه السلام، فيقولون له: يا أبا البشر! سل ربكَ الحساب.

فيعتذر آدمُ، بسبب زلةٍ ارتكبها، حيث نهاه عن الأكل من الشجرة، فأكل منها، فيقول: نفسي، نفسي!.

ثم يذهبونَ إلى أبينا إبراهيمَ عليه السلام، فيقولون له: يا خليلَ الرحمٰنِ! سل ربك الحسابَ!.

فيعتذر إبراهيم، ويذكر له ذنباً، لقد كسر إبراهيم الأصنام وحطمها، فلما سُئل مَنْ فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ قال: بل فعله كبيرُهم هذا، وأشار إلى أكبر صنم بعد أن علق الفأسَ برقبته!.

فيقول: نفسي، نفسي!.

ثم بعد ذلك تتوجه الخلائق إلى عيسىٰ عليه السلام، فيقولون له: يا روحَ اللّهِ وكلمتَه! سل ربكَ الحسابَ!..

فيعتذر عيسىٰ عليه السلام ولا يذكر ذنباً، فيقـول: أدلُكم على النبي العربي الأُمي، وهو محمدٌ عليه الصلاة والسلام، فيتـوجهونَ إلـيـه، فيقول صلوات الله وسلامه عليه: أنا لها، أنا لها!.

ثم يتوجه عليه الصلاة والسـلام إلى الله، ومعـه لواءُ الحمد، فيسجـدُ تحتَ العرش. فيقول له ربه: إرفع رأسَك يا محمد! وسـل تُعْطَ، واشفعْ تُشفَّعْ.

فيرفع رأسَه ويقول: يا رب! أسألك القضاءَ.

لقد أعطاه الله الوسيلةَ والدرجةَ الرفيعة، والمقامَ المحمودَ.

ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

روي أنه عليه الصلاة والسلام، تلا قولَ إبراهيمَ:

﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقول عيسىٰ عليه السلام:

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

فبكى عليه الصلاة والسلام، فقال اللّهُ تعالىٰ: يا جبريلُ!! سل محمداً عن سببِ بكائه ـ والله يعلم سببَ ذلك ـ.

فقال جبريل: يا رسولَ اللّهِ ما يُبكيكَ؟.

فقال النبي ﷺ: «أُمتي، أُمتي!».

صعد جبريل إلى السماءِ، ونزل بالآية الكريمـة: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

---

(١) إبراهيم: ٣٦.

(٢) المائدة: ١١٨.

فقال صلوات الله وسلامه عليه:

«إذاً، لا أرضىٰ وواحدٌ من أُمتي في النار».

ويقول صلوات الله وسلامه عليه:

«لا أزال أشفع في أُمتي، حتىٰ يقولَ لي ربي: هل رضيتَ يا محمد؟! فأقول: نعم رضيت».

ولذلك ستعم شفاعته جميعَ المؤمنين، وهذه الآية أرجىٰ آيةٍ في كتاب الله تعالىٰ. وفي رأي علي بن أبي طالب. فقد قال رضي الله عنه لأهل العراق:

يا أهل العراق! إنكم تقولون: أرجىٰ آيةٍ في كتاب الله تعالى قوله: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ...﴾ الآية[1] ولكننا أهلَ البيتِ، نعتقدُ أن أرجىٰ آيةٍ قوله تعالى:

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

ثم قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾.

لقد كنتَ يتيماً ماتَ أبوكَ، وأنتَ في بطن أُمكِ. ثم تُوفيتْ أُمك وأنت في السادسة من عمُرك، فآواك إلى عمّك أبي طالب، فتولىٰ تربيتَك.

ولقد أماتَ الله أبويك، فلا يكون لأحد حق عليك، سوىٰ خالقِك ومربيك.

ولقد قال أبو بكر للنبي ﷺ: يا رسول الله! طُفْتُ العرب، فما وجدتُ أحسنَ منك أدباً، فمن أدبك وعلمَك؟!.

---

(١) وتمام الآية: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

فقال صلوات الله وسلامه عليه: «أدبني ربي فأحسن تأديبي».

ثم قال: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾.

وجدك متحيراً، فهداك بالنبوة. أو المراد بـالضلال: ضـلالُ العرب، فكانوا على غير هُدَىٰ: فما بينَ عابدِ شجر، ومؤلِّهِ حجرٍ، وراكعٍ لحيوان! فهداهم بك، وآمنوا بربهم وأسلموا.

ثم قال: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾.

وجدك فقيراً فأغناك بالعلم والنبوة، وملأ قلبك حكمةً ونوراً، وهُـدىً ويقيناً، لم يُغنك الله بالمال: لأن المال عرض زائل، وغادٍ ورائح، أما النبوة: فباقية أبدَ الاباد؛ وذكرُك: باقٍ لا يزول، نعمة عظمىٰ، ومنةٌ كبـرى، فأنت الحبيب المختار.

ثم قال: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾.

اليتيم: من فقد أباه ولم يبلغ مبلغَ الرجال!.

فلقد ذقتَ يا محمـد مَرارةَ اليتم، فلا تقهر اليتيمَ، ولا تحتقره، فإكرامُ اليتيم واجبٌ؛ ولقد حرم الله أكل ماله، فقال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ﴾[1].

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ ضَمَّ يتيماً إليه حتىٰ يَستغنيَ وجبتْ له الجنةُ»[2].

---

(١) النساء: ١٠.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط. إلا أنه قال: له أو لغيره، حتى يغنيه الله عنه، وجبت له الجنة.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

السائل: هو صاحبُ الحاجةِ، فلا تنهر السائلَ ولا تزجره؛ بل أكرمه وأعطه؛ فإن لم يكن عندك ما يطلبُ، فرده رداً جميلاً.

ثم قال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

أي: حدِّث الناسَ بنعم اللّهِ عليك؛ لتشكرَ الله، وليعرفوا فضلَك؛ فأنت خاتم الأنبياءِ، وصاحبُ الشفاعةِ، وأعطاك اللّهُ الحوضَ الموردَ، والمقامَ المحمود، وأُعطِيتَ السبعَ المثاني، ونُصِرْتَ بالرعب، وجُعلتْ لك الأرضُ مسجداً وطهوراً، وأُحِلَّتْ لك الغنائمُ!.

وواجب علينا، أن نتحدث بنعم اللّهِ تعالىٰ: فيكون ذلك أدعىٰ للشكر، والله يحبُ أن يرىٰ أثرَ نعمتِه على عبده.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[1].

قال الله تعالى

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾[2].

البحث

روي أنه عليه الصلاة والسلام، بعدما قرأ هذه الآيةَ قال:

أما السابقُ بالخيرات: فيدخلُ الجنةَ بغير حساب!.

---

(١) إبراهيم: ٧.

(٢) فاطر: ٣٢.

وأما المقتصدُ: فيحَاسَبُ حساباً يسيراً!.

وأما الظالمُ لنفسه: فيُحبَسُ في المقام، حتىٰ يدخله الهَمُّ، ثم يدخل الجنة، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾[1].

حديث: «سابقُنا سابق، ومقتصدُنا ناجٍ، وظالمُنا مغفورٌ له!»[2].

قال عقبة: سألت عائشةَ رضي الله عنها عن هذه الآيةِ؟ فقالت: يا بُنيَّ! كلُّهم في الجنة!.

أما السابقُ: فمن مضىٰ على عهد الرسول ﷺ، وشهد له بالجنة!.

وأما المقتصدُ: فمن تبع أثرَهَ من أصحابه، حتىٰ لحقَ به!.

وأما الظالمُ لنفسه: فَمِثْلي ومِثْلُكم، فجعلتْ نفسَها رضي الله عنها معنا!.

وقيل السابق: من رجحت حسناتُه على سيئاتهِ!.

والمقتصد: من استوت حسناتُه وسيئاتُه!.

والظالم: من رجحت سيئاتُه على حسناته!.

وقيل السابق: الذي باطنه خيرٌ من ظاهره!.

والمقتصد: الذي استوىٰ باطنُه وظاهره!.

والظالم: من كان ظاهرهُ خيراً من باطنه!.

وقيل السابق: العالم!.

---

(١) فاطر: ٣٤.

(٢) رواه ابن مردويه، والبيهقي في البعث، عن عمر رضي الله عنه، ورمز السيوطي لحسنه، كما في «الجامع الصغير».

والمقتصد: المتعلم!.

والظالم: الجاهل!.

وقيل السابق: هو الذي لم يرتكب صغيرةً ولا كبيرة!.

والمقتصد: أهلُ الصغائر!.

والظالم: أهل الكبائر!.

قال الله تعالى

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾[1].

البحث

فاللَّهُ سبحانه يدعو نوحاً ـ عليه السلام ـ يومَ القيامة فيقول له:

هل بلَّغتَ قومَك الرسالةَ؟ فيقول: نعم.

فيسأل أُمتَه فتقول: ما جاءَنا نذيرٌ!.

فيقول الله لنوح: هل لك شاهدٌ على التبليغ؟.

فيقول: نعم يا ربّ! «محمد وأُمتُه».

فيجاءُ بهم فيَشهدون عليهم، بأَن نوحاً قد بلَّغهم.

يقولون: كيف يشهدون علينا مع تأَخرِهم عنا في الزمان؟!.

فتقول الأُمة المحمدية: يا ربّ! علمنا من كلامك القديم، وأَنت أَصدق القائلين: أن هؤلاءِ كانوا مكذبين.

فَتطعن أُمةُ نوحٍ في شهادتهم، إلا إذا زكاهم معصوم...

فيجيءُ محمدٌ ﷺ فيقول: «أُمتي عدول»، فتنفذ شهادتُهم.

---

(١) البقرة: ١٣٢.

وذلك معنى قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي: عدولاً!.

﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: الكفارا.

﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أي: مزكياً لكم!.

وتلك الشهادة لا تكون إلا من خيار الأمة المحمدية[1].

* * *

(١) التاج الجامع للأصول: (٤/ ٥٠).

آيات الظهار

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

سبب نزول الآيات:

روي أن خولة بنتَ ثعلبةَ، امرأةَ أوسِ بنِ الصامت، راودها عن نفسها، فأراد مواقعتَها، فأبَتْ! فغضب فظاهر منها.

فأتَتْ خولةُ رسولَ الله ﷺ، وقالَتْ:

يا رسولَ الله! إنَّ أوساً تزوجني وأنا شابةٌ مرغوبٌ فيَّ، فلما كَبِر سني،

---

(١) المجادلة: ١ ـ ٤.

وكثُر ولدي، جعلني كأمه! وإنَّ لي صبيةً صِغاراً، إنْ ضمَّهم إليه ضاعوا، وإن ضممتُهم إليَّ جاعوا!.

فقال لها عليه الصلاة والسلام: «ما عندي في أمركِ شيءٌ».

وفي رواية: «ما أراك إلا قد حَرُمْتِ عليه».

فتوقف عليه الصلاة والسلام في أمرها، ولم يبتَّ شيئاً!.

قالت خولةُ: يا رسول الله ! ما ذكر طلاقاً، وإنما هو أبو ولدي، وأحبُّ الناسِ إليَّ.

فكان لا يزيد على أن يُجيبها: «ما أراكِ إلاَّ قد حَرُمتِ عليه».

فقالت خولة: أشكو إلىٰ اللّهِ فاقتي ووجدي، وكلما قال لها رسول الله: «حرمتِ عليه» هتفت وشكت إلى الله أمرَها!.

فبينما هي كذلك حتىٰ بلغ الحزنُ منتهاه... وإذا برسول الله ﷺ، قد تربَّد وجهُه، وأخذه ما يأخذه عندَ نزولِ الوحي، فنزل جبريلُ بهذه الآيات، في أحكام الظهار، فأرسلَ عليه الصلاة والسلام إلى زوجها أوسٍ وقال: ما حملكَ على ما صنعتَ؟!.

فقال: الشيطانُ، فهل من رخصة؟.

فقال: نعم: وقرأ عليه الآيات الأربعَ.

فقال له عليه الصلاة والسلام: «هل تستطيع العتقَ»؟.

فقال: لا والله!.

فقال: «هل تستطيعُ الصومَ»؟.

فقال: لا والله! لولا أني آكل في اليوم مرةً أو مرتين لكلَّ بصري، وظننتُ أني أموتُ!.

فقال: «هل تستطيعُ أن تُطعمَ ستينَ مسكيناً»؟.

فقال: لا والله يا رسول الله! إلّا أن تُعينني منك بصدقة، فأعانه بخمسةَ عشرَ صاعاً، وأخرج أوس من عنده مِثْلَه، فتصدق به على ستينَ مسكيناً!.

وتدل هذه الواقعة، على أن من انقطع رجاؤه عن الخلق، ولم يبقَ له في قلبه سِوىٰ الخالقِ، كفاه الله ذلك المُهِمَ.

والظهار: من الكبائر لقوله تعالىٰ:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ﴾(1).

أي: إن هؤلاء المظاهرونَ، ليقولون كلاماً منكراً، تُنكره الحقيقة، ويُنكِره الشرع، وهو كذب وزور وبهتان.

روى البخاري عن عائشةَ رضي الله تعالىٰ عنها قالت: تبارك الذي وسع سمعُه الأصواتَ، ولقد جاءَت المجادِلة ـ أي: خولة ــ بنت ثعلبة، فكلمت رسولَ الله ﷺ، وأنا في جانب البيت أسمع كلامَها، ويخفىٰ عليَّ بعضُه، وتقول: يا رسول الله! أَبْلَىٰ شبابي، ونثرتُ له بطني، حتىٰ إذا كبر سني، وانقطع ولدي، ظاهر مني، إني أشكو إليك، فما برِحَتْ، حتىٰ نزل جبريل بهذه الآيات...

وقد مر بها عمر بنُ الخطابِ رضي الله عنه، في خلافته، والناسُ معه فاستوقفته طويلًا! ووعظته وقالت له:

يا عمر! قد كنت تُدعىٰ عميراً، ثم قيل لك: عمر، ثم قيل لك: أمير المؤمنين! فاتقِ الله يا عمرُ في الرعية؛ فإنه من أيقنَ بالموت، خاف الفوت، ومن أيقن بالحساب خاف العذابَ. وهو واقف يسمع كلامَها! فقيل له:

يا أميرَ المؤمنين! أتقف لهذه العجوز، هذا الوقوفَ؟!.

---

(1) المجادلة: ٢.

فقال رضي الله تعالىٰ عنه: لو حَبَسَتْني من أول النهار إلى آخره، لا زُلتُ إلا للصلاة المكتوبة! أتدرونَ من هذه العجوزُ؟ هي: «خولة بنت ثعلبة» سمعَ الله قولَها من فوقِ سبعِ سمواتٍ، أيسمعُ ربُّ العالمينَ قولَها، ولا يسمعه عمُر؟!.

صيغةُ الظهارِ: بأن يقول الرجل لزوجته المظاهر منها: أنت عليَّ كظهر أمي.

الظهارُ قبلَ الإسلام:

كان الرجل في الجاهلية يغضب لأمرٍ من امرأته فيقول لها: «أنتِ عليَّ كظهر أمي». فتحرم عليه، ولا تَطلق منه، وتبقىٰ لا هي حِلٌّ له، فتقوم بينهما الصِلات الزوجية؛ ولا هي مطلقة منه، فتجد طريقاً!.

وكان هذا طَرَفاً من العنَت الذي تُلاقيه المرأة في الجاهلية.

والكفارة تجب بالظهار مع العود، ككفارة اليمين، تجب باليمين والحَنث.

والكفارةُ: عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب.

فإن لم يجد، فصيامُ شهرين متتابعين.

فإن لم يستطع، فإطعام ستين مسكيناً، كل مسكين مدٌ، ولا يحِلُّ له وطؤها حتى يُكفِّرَ[1].

---

(١) راجع العلماء في موضوع الظهار، وعد إلى كتب الفقه، لينكشف لك أحكام هذا الباب الدقيق.

بِرُّ الوالِدَيْن

يُخشىٰ على العاق سوءُ الخاتمة:

رُوي عن عبدِ الله بنِ أبي أَوْفىٰ رضي الله تعالىٰ عنه قال: كُنَّا عِنْدَ النبي ﷺ، فأتاه آتٍ فقال: يا رسولَ اللّهِ! شاب يَجودُ بِنَفسه، فقيل له: قلْ لا إله إلا الله، فلم يستطعْ!.

فقال عليه الصلاة والسلام: «أكانَ يُصلِّي»؟. فقال: نعم.

فنهضَ رسولُ الله ﷺ: ونهضنا معه، فدخل على الشاب. وقال له:

«قل لا إله إلَّا الله»! فقال: لا أَستطيعُ.

قال: «لِمَ؟» قال: كان يَعُقُّ والدَته!.

فقال النبي ﷺ: «أحيَّةٌ والدتُه؟» قالوا: نعم؛ قال: «اُدعوها». فدعوها، فجاءَت، فقال عليه الصلاة والسلام: «هذا ابنُك؟». قالت: نعم؛ فقال لها: «أرأيتِ إن أُجِّجَتْ نارٌ ضَخْمَةٌ، فقيل لكِ: إن شَفَعْتِ له خَلَّينا عنه، وإلَّا أَحرَقْناهُ بهذه النار، أكُنْتِ تَشفعين له»؟.

قالت: يا رسول الله إذاً أشفعُ.

قال: «فأشهدي اللّهَ وأشهديني! أنَّك قد رَضيتِ عنه».

قالت: اللهم إني أُشهِدكَ، وأُشهِدُ رسولَكَ أني قد رضيت عنه!.

فقال عليه الصلاة والسلام: «يا غُلامُ! قُل: لا إله إلَّا اللّهُ وحدَه لا

شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسوله». فقالها الغُلام! فقال عليه الصلاةُ والسلام: «الحمدُ لله الذي أنقذَه بي من النار»[1].

الفروضُ لا تنفع معَ العقوقِ:

وروي عن عَمْرو بنِ مُرَّة الجُهني رضي الله تعالىٰ عنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! شَهِدتُ أنْ لا إلّه إلا الله، وأنَّك رسولُ الله، وصَلَّيتُ الخمسَ، وأدَّيتُ زكاةَ مالي، وصُمتُ رمضانَ؛ ما ليَ؟ - يعني من الأجرِ والثَّواب - فقال عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ ماتَ علىٰ هذا كان مع النَّبيينَ والصدِّيقينَ والشُّهداءِ يومَ القيامةِ هكذا - ونصَب بينَ أُصبُعيه - ما لم يَعُقَّ والديه»[2].

العقوقُ ذنب معجلٌ عقوبتُه:

وروي عن أبي بَكْرَةَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبيﷺ أنه قال:

«كلُّ الذنوبِ يُؤَخِّر منها ما شاءَ إلى يومِ القيامة، إلَّا عقوقَ الوالدين، فإنَّ الله تعالىٰ يُعَجِّلُه لصاحبه في الحياةِ قبلَ الممات»[3].

الوالدانِ هما الجنةُ والنارُ:

وروي عن أبي أُمامةَ رضي الله تعالىٰ عنه، أن رجُلًا قال: يا رسول الله! ما حقُّ الوالدينِ على ولدَيهما؟ قال: «هُما جَنَّتُك ونارُك»[4].

---

(١) رواه الطبراني، وأحمد.

(٢) رواه أحمد، والطبراني.

(٣) رواه الحاكم وقال: «صحيح الإسناد».

(٤) رواه ابن ماجه.

بِرُّ الوالدينِ من أحبِّ الأعمالِ إلىٰ الله تعالىٰ:

ورویٰ الشيخانِ مرفوعاً: أَنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ رضي الله تعالىٰ عنه قال: يا رسول الله! أيُّ العملِ أَحبُّ إلىٰ اللَّهِ تعالىٰ؟.

قال: «الصلاةُ على وقتها». قال: ثم أيُّ؟ قال: «بِرُّ الوالدَيْنِ».

الجنةُ تحتَ أقدامِ الأمهاتِ:

روى أبو يعلىٰ والطبراني؛ أَنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله! إني أشتَهي الجهادَ، ولا أَقدرُ عليه! فقال عليه الصلاة والسلام:

«هلْ بقيَ من والديْكَ أحدٌ»؟ قال: أمي. قال: «فاتَّقِ الله في بِرِّها، فإذا فعلتَ ذلك، فأَنتَ حاجٌّ ومُعتَمِرٌ ومجاهدٌ».

وفي رواية: قلتُ: يا رسول الله! إني أُريدُ الجهادَ: فقال:
«أمُّك حيةٌ؟» قلتُ: نعم: قال: «إلزَمْ رِجلَها فَثَمَّ الجنةُ».

أنتَ ومالُك لأبيك:

وروي أَنَّ رجلاً جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! إنَّ لي مالاً وولداً، وإنَّ أَبي يُريدُ أن يجتاحَ مالي!.

فقال له رسولُ الله ﷺ: «أنتَ ومالُكَ لأَبيكَ»(١).

نمـوذج شعـري:

عَلَيْـك بِبـرِّ الـوَالـدينِ كِلَيْهمـا — وبـرِّ ذَوي القُـربىٰ وبـرِّ الأَباعـدِ
ولا تَـصْحَـبَنْ إلا تَـقِيًّـا مُـهـذَّبـاً — عَفِيفـاً ذكيّـاً مُنجِـزاً للمـواعـدِ
وقـارِنْ إذا قـارنـت حُـراً مُؤدَّبـاً — فَتىً مِنْ بني الأَحْرارِ زينَ المشاهدِ

(١) رواه ابن ماجه، عن علي رضي الله عنه.

وكُفَّ الأذىٰ واحفظْ لسانَك واتَّقِ فَدَيْتُكَ في وُدِّ الخليلِ المُساعِدِ
ونافسْ ببَذْلِ المَالِ في طَلَبِ العُلا بهِمَّةِ محمودِ الخلائقِ ماجِدِ
وكُنْ وَاثِقاً باللَّهِ في كل حادثٍ يَصُنْكَ مَدى الأيامِ من شرِّ حَاسِدِ
وبالله فاستَعْصِم ولا تَرْجُ غيرَه ولا تَكُ في النَّعمَاءِ عنه بجاحِدِ
وغُضَّ عن المكروه طَرْفَكَ واجْتنبْ أذَىٰ الجارِ واستَمْسِك بحبل المحَامِدِ

وقال بعضهم:

غَذَوتُك[1] مولوداً ومُنتُكَ[2] يافِعاً تُعَلُّ[3] بما أجْني عليكَ وتُنهَلُ[4]
إذا لَيلةٌ ضافَتْكَ بالسُّقمِ لم أبِتْ لِسُقْمِك إلَّا ساهِراً أتَمَلْمَلُ[5]
كأني أنا المطروقُ[6] دونَك بالذي طُرِقْتَ بهِ دُوني، فَعيني تَهْمُلُ[7]
تَخافُ الرَّدى[8] نفسي عليكَ، وإنها لَتَعْلَمُ أنَّ الموتَ وقتٌ مُؤَجَّلُ
فلما بلغتَ السِّنَّ والغايةَ التي إليها مَدَىٰ ما كنتُ فيك أؤَمِّلُ
جعلتَ جزائي غِلظَةً وفَظَاظَةً[9] كأنكَ أنتَ المُنْعِمُ المُتفضلُ
فلَيْتَكَ إذا لم تَرْعَ حَقَّ أبوَّتي فعلتَ كما[10] الجارُ المجاورُ يَفعلُ
تَراهُ مُعَدّاً للخِلاف كأنه بِرَدٍّ علىٰ أهلِ الصوابِ مُوكَّلُ

---

(١) غذوتُ الصبي باللبن، من باب عدا، أي: ربيته.
(٢) قمت بكفاياتك.
(٣) علله بالشيء: لَهَّاه به.
(٤) من النهل وهو الشرب أولاً، من باب طرب، وهو استعارة مكنية.
(٥) إذا لم يستقر من الوجع، أتململ: أتقلب.
(٦) طرق من دخل دخل، فهو طارق إذا جاء ليلاً.
(٧) هملت عينه: إذا فاضت، وبابه نصر.
(٨) ردي: من باب صدى إذا هلك.
(٩) فظ يفظ فظاظة إذا هلك.
(١٠) الكاف: حرف جر وتشبيه، والمصدر المؤول من ما وما بعدها، في محل جر، والتقدير: فعلت كفعل الجار المجاور.

نمـــوذج نثـــري:

عن طاوسٍ عن أبيه قال: كان رجل له أربعةُ بنينَ، فمرض، فقال أحدُهم:

إما أن تُمرِّضوه ـ أي تتعهدوه بالخدمة ـ وليس لكم من ميراثه شيءٌ، وإما أن أُمرِّضه وليس لي من ميراثه شيءٌ؟!.

قالوا: بل تُمرضُه وليس لك من ميراثه شيء.
فمرَّضه حتىٰ مات، ولم يأْخذ من ميراثه شيئاً!.

قال: فأُتِيَ في المنام فقيل له: إئت مكانَ كذا وكذا، فخُذ منه مئة دينار!.
فقال: أفيها بركةٌ؟ قال: لا. فلما أُصبح ذكر ذلك لامرأته.

فقالت: خذها، فإن من بركتها أن نكتسـيَ منها ونعيشَ بها.

فلما أمسىٰ أُتيَ في النوم، فقيل له: إئتِ مكانَ كذا وكذا، فخذ منها عشرةَ دنانير!.

قال: أفيها بركةٌ؟ قالوا: لا.
فلما أُصبح ذكر ذلك لامرأته، فقالت له مثلَ ذلك.

فأبىٰ أن يأْخذَها، فأُتِـيَ في الليلة الثالثةِ، فقيل له: إئتِ مكانَ كذا وكذا، وخذ منه ديناراً!.

قال: أفيه بركةٌ؟ قالوا: نعم!.

قال: فذهب فأخذ الدينار، ثم خرج به إلى السوق، فإذا هو برجل يحمل حوتينِ، فقال: بكم هما؟ قال: بدينارٍ. فأَخذهما منه وانطلق بهما إلى بيته.

فلما شقهما، وجد في بطن كلِّ واحدٍ منهما دُرةً لم يَـرَ الناسُ مثلَها!.

فبعث المَلِكُ يطلب درةً يشتريها، فلم توجد إلا عنده. فباعها بثلاثينَ وقراً - حملاً - ذهباً! فلما رآها المَلِكُ قال:

ما تصلح هذه إلا بأختٍ، فاطلبوا أُختَها ولو أضعفتُم الثمنَ! فجاءوهُ، فقالوا: أعندك أُختها ونعطيك ضعفَ ما أعطيناك؟.

قال: نعم، فأعطاهم الثانيةَ بضعف ما باع به الأولىٰ!.

نمـــوذج:

كان في بني إسرائيل رجلٌ غني، وله ابنُ عمٍ فقير، ولا وارثَ له سواه.

فلمـا طـال عليـه مـوتُـه، قتله ليرثَـه! وحملَه إلى قـريـةٍ أُخـرىٰ، فألقاه بفنائهم. . . ثم أصبح يطلب ثأرَه، وجاء بناس إلى موسىٰ عليه السلام، يَـدَّعي عليهم القتـلَ! فسـألهـم مـوسىٰ عـليـه السـلام، فـجحـدوا. فـاشتبه أمرُ القتيل على مـوسىٰ عليه السـلام، فسألـوه أن يدعـوَ الله ليبين لهم حالَ القاتل. فأمرهم بذبح بقرة. . . فـ ﴿قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ﴾؟؟.

نحن نسألك عن أمر القتيل، وتأمرنا بذبح بقرة؟ قالوا ذلك: لبُعد ما بينَ الأمرين في الظاهر، ولم يدروا ما الحكمةُ فيه؟!.

فقال موسىٰ عليه السلام: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

أي: أن أكون من المستهزئين بالمؤمنين.

فلما علم القوم أن ذبح البقرة عزمٌ من الله عز وجل، استوصفوها!.

ولو أنهم عَمدوا إلى أدنىٰ بقرةٍ فذبحوها لأجزأتْ عنهم؛ ولكنهم شددوا على أنفسهم، فشدد اللّهُ عليهم؛ وكان تحتَ ذلك حكمةٌ، وهي: أنه كان في بني إسرائيل رجلٌ صالح، له ابنٌ طِفْلٌ، وله عِجْلَةٌ، فأتىٰ بهذه العجلة إلى غَيضةٍ وقال:

اللهم إني أستودِعُك هذه العجلةَ لابني حتىٰ يكْبُرَ! ومات الرجل، وصارت العجلة في الغيضة: (عواناً) ـ أي لا مسنّة ولا صغيرةً ـ وكانت تهرب من كل مَن رآها.

فلما كَبِرَ الابنُ، وكان بارّاً بوالدته؛ فكان يَقْسِمُ الليلةَ ثلاثَ أثلاثٍ: يصلي ثلثاً، وينام ثلثاً، ويجلس عند رأسِ أمه ثلثاً.

فإذا أصبح انطلق فاحتطبَ على ظهره، ويأتي به السوقَ، فيبيعه بما شاءَ اللَّهُ: ثم يتصدق بثلثه، ويأكلُ ثلثَه، ويعطي أمه ثلثَه.

فقالت له أمه يوماً: إن أباك ورَّثك عِجْلَة، استودعها الله في غيضةِ كذا، فانطلق وادعُ إلَهَ إبراهيمَ وإسماعيل، وإسحاق ويعقوب، أن يردَها عليك!.

وعلامتُها: أنك إذا نظرت إليها تُخيل إليك أن شُعاع الشمسِ يَخرج من جلدها.

وكانت تسمىٰ «المذهَّبة» لحُسنها وصُفْرَتها.

فأتىٰ الفتىٰ الغيضة، فرآها ترعىٰ، فصاح عليها قائلًا: أعزم عليكِ بإله إبراهيمَ وإسماعيل، وإسحاق ويعقوب!.

فأقبلت تسعىٰ حتىٰ قامت بيـنَ يديه، فقبض على عنقها يقودها، فتكلمت بإذن الله تعالىٰ وقالت:

أيها الفتىٰ البارُّ بوالدته! اركبني فإنَّ ذلك أهونُ عليك!.

فقال الفتىٰ: إن أمي لم تأمرني بذلك؛ ولكن قالت لي: خذ بعُنقِها.

فقالت البقرة: بإلهِ بني إسرائيل، لو ركبتني ما تقدر عليَّ أبداً! فانطلِقْ فإنك لو أمرتَ الجبل أن يُقْطَعَ من أصله، وينطلـقَ معك لفعل «ببرِّك بأمك»، فسار الفتىٰ بها إلىٰ أمه.

فقالت له: إنك فقير لا مالَ لك، وقد شَقَّ عليك الاحتطابُ بالنهار، والقيامُ بالليل، فانطلق فبع هذه البقرةَ!.

قال الولد: بكم أبيعها؟ قالتْ: بثلاثة دنانير، ولا تَبعْ بغير مشورتي! ـ وكان ثمنُ البقرةِ ثلاثَةَ دنانير ـ فانطلق بها إلى السوق، فبعث اللّهُ مَلَكاً لِيُري خَلْقَهُ وقُدْرَتَهُ، وليختبرَ الفتىٰ، وكيف بِرُّه بوالدته، وكان الله بهِ خبيراً.

فقال له الملَك: بكم تبيع هذه البقرةَ؟ قال: بثلاثة دنانير، وأشترط عليك رضا والدتي.

فقال الملَك: لك ستة دنانير، ولا تستأمر والدتَك!.

فقال الفتى: لو أعطيتني وزنها، لم آخذه إلا برضا أمي، فردها إلى أمه. فأخبرها بالثمن.

فقالتْ: ارْجعْ وبعها بستةِ دنانيرَ، على رضا مني!.

فانطلق بها إلى السوق؛ وأتىٰ الملكُ فقال: استأمرتَ أمَّك؟ قال: إنما أمرتني ألا أنْقُصَها عن الستة، على أن أستأمرها.

فقال الملَك: فإني أعطيك اثني عشر، على ألا تستأمرَها.
فأبىٰ، ورجع الفتىٰ إلى أمه، فأخبرها بذلك.

فقالت: إنَّ الذي يأتيك ملَكٌ في صورة آدمي، ليُجربَك! فإذا أتاك فقل له: أتأمرنا أن نبيعَ هذه البقرةَ أم لا؟ ففعل الولد.

فقال له المَلَكُ: اذهب إلى أمك وقل لها: أمسكي هذه البقرةَ! فإن موسىٰ بنَ عِمران يشتريها منكم، لقتيل يُقتل في بني إسرائيل، ولا تبيعوها إلا بملءِ مَسْكِها ـ جلدها ـ دنانيرُ! فأمسكوها.

وقدّر الله تعالىٰ على بني إسرائيل ذبحَ تلك البقرةِ بعينها، فما زالوا

يتواصفوها حتى وصف لهم تلك البقرةَ، مكافأةً للولد على برِّهِ بوالدته، فضلاً من الله ورحمة.

ثم إن الله تعالىٰ، أمر موسىٰ عليه السلام، أن يأمر قومه بضرب القتيل ببعضها، فلما فعلوا ذلك، قام القتيل حياً بإذن الله تعالىٰ، وأوداجُه تَشخُبُ دماً وقال: قتلني فلان ـ أي ابنُ عمِه ـ ثم سقط ميتاً مكانه.

فحُرِم قاتِلهُ مِيراثه!.

عقوبة العاقِ في القبر:

وعن العوَّام بن حَوْشبٍ رضي الله تعالىٰ عنه قال: نزلتُ مرةً حياً، وإلى جانب ذلك الحي مَقبرةٌ، فلما كان بعد العصر، انشق منها قبرٌ فخرج رجل: رأسهُ رأسُ حمارٍ، وجسدُه جسدُ إنسانٍ، فنَهَق ثلاثَ نهقاتٍ، ثم انطبق عليه القبر!.

فإذا عجوز تغزُل شَعراً، أو صوفاً، فقالت امرأةٌ: ترىٰ تلك العجوزَ؟. قلت: ما لها؟ قالت: تلك أُمُّ هذا؟ قلت: وما كانت قصتُه؟.

قالت: كان يشرب الخمرَ، فإذا راحَ تقول له أُمُّه: يا بُنَيَّ! اتقِ اللّهَ إلى متىٰ تشرب هذه الخمرَ؟.

فيقول لها: إنما أنتِ تنهقينَ كما ينهق الحمارُ!.

قالت: فمات بعدَ العصر. قالت: فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل يوم، فينهق ثلاثَ نهقات، ثم ينطبق عليه القبر[1].

---

(١) «الترغيب والترهيب» (٣/٣٣٢).

ولقد ذكرنا في قسم التفسيرِ من هذا الكتابِ، معنى قوله تعالى:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ ﴾.

فارجع إليه إن شئتَ، ولو أردنا بسطَ هذا الموضوعِ، والتعرضَ لمعاني بعضِ الآيات المتعلقة به، لضاق بنا هذا الكتاب[1].

(١) راجع كتابي «صوت المنبر» ص [٢٠٨] تحت عنوان: «الولد والوالدان» جـ ١.

الوعظ والرقائق[1]

الأبرص[2] - والأقرع[3] - والأعمى[4]:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول:

«إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيلَ: أبرصَ، وأقرعَ، وأعمىٰ بدا[5] لله عز وجل أن يَبتليَهم[6]، فبعثَ إليهم مَلَكاً: فأتى الأبرصَ.

فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟.

قال: لونٌ حسنٌ، وجِلدٌ حسنٌ، قد قذِرَني[7] الناسُ!.

قال: فمَسَحَ فذهَبَ عنه، فأُعطيَ لوناً حَسَناً، وجِلداً حَسناً.

---

(١) والرقائق: جمع رقيقة، وهي ما تُرقق القلبَ وتؤثر فيه: آية قرآنية، أو حديث نبوي، أو موعظة خطيب؛ أو آية كونية: كحيوان عجيب الخِلقة، أو رؤيةِ الجبال الشاهقة، أو البحار الزاخرة، أو رؤية مبتلىٰ، ونحوِ ذلك، مما يجلب الخوفَ والخشية من الله تعالىٰ اهـ. من التاج باختصار.

(٢) الأبرص: هو الذي ابيض ظاهر بدنهِ لفساد مِزاجه.

(٣) الأقرع: هو من ذهب شعرُ رأسهِ بآفة.

(٤) الأعمى: معروف، هو من ذهب بصره.

(٥) بدا: أي سبق في علم الله، فأراد إظهارَه، لا أنه ظهر له بعد أن كان خافياً، إذ ذاك محال في حق الله تعالىٰ.

(٦) يبتليهم: أي يختبرهم ليميز الخبيث من الطيب، وليظهر الشاكر من غيره.

(٧) قذرني: أي اشمأزوا من رؤيتي، وعدوني في نظرهم مستقذَراً، وكرهوني لما نزل بي من البلاء!.

قال: أيُّ المالِ أحبُّ إليكَ؟.

قال: الإبل، فأُعطي ناقةً عُشَراءَ[1]، فقال: يُبارَكُ لك فيها.

وأتى الأقرعَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟.

فقال: شَعرٌ حسن، ويَذهبُ عني هذا، قد قَذِرَني الناسُ!.

قال: فمَسَحَه فذَهَبَ عنه، وأُعطيَ شَعراً حسناً.

قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ. فأَعطاهُ بقَرةً حاملاً، وقال: يُبارَكُ لك فيها.

وأتى الأعمىٰ، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟.

قال: يَرُدُّ اللَّهُ إليَّ بَصري، فأُبصِرُ به الناسَ.

قال: فمَسَحَهُ فردَّ لـه إليه بصرَه.

قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الغَنمُ. فأَعطاه شاةً والداً[2]، فأُنتج هذان، وولد هذا، فكان لهذا وادٍ من الإبلِ، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغَنم.

ثم إنه أتى الأبرصَ في صُورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكينٌ، تقطَّعتْ بيَ الحِبالُ في سَفَري، فلا بلاغ[3] اليومَ إلَّا بالله ثم بكَ، أسأَلُك بالذي أعطاكَ اللوْنَ الحسنَ، والجلدَ الحسنَ، والمالَ: بَعيراً أتبَلَّغُ عليه في سفري!.

---

(١) عشراء: بضم العين وفتح المعجمة، هي الحامل التي أتىٰ على حملها عشرةُ أشهر من يوم طروقها الفحل، وهي أنفَسُ الإبل عند العرب.

(٢) الوالد: هي ذاتُ الولد، أو ما كانت حاملاً.

(٣) البلاغ: هو ما يبلغ به الإنسان غرضه، أي: فلا كفاية لي إلا بالله، ثم بك.

فقال له: إن الحقوقَ كثيرةٌ. فقال له: كأني أعرفُكَ! ألم تكن أبرصَ يَقذَرُكَ الناسُ، فقيراً فأعطاك الله!.

فقال: لقد وَرِثْتُ كابراً عن كابرٍ[1]! فقال: إن كنتَ كاذباً فَصَيَّرك[2] الله إلى ما كنتَ!.

وأتىٰ الأقرعَ في صورته وهيئته، فقال له مثلَ ما قال لهذا؛ فرد عليه مثلَ ما رد عليه هذا! فقال: إن كنتَ كاذباً، فصيرك الله إلى ما كنتَ!.

وأتىٰ الأعمىٰ في صورته، فقال: رجلٌ مسكينٌ، وابنُ سبيل، تقطَّعَتْ بي الحِبالُ في سفري، فلا بلاغَ اليومَ إلا بالله، ثم بك؛ أسألك بالذي ردَّ عليك بصرَكَ: شاةً أتبَلَّغُ بها في سفري!.

فقال: قد كنتُ أعْمَىٰ فردَّ الله بصري، وفقيراً فقد أغناني، فخُذ ما شئْتَ! فوالله لا أجْهَدُك[3] اليومَ بشيءٍ أخذتَه لله!.

فقال: أمْسِكْ مالَكْ! فإنما ابتليتُم؛ فقدْ رَضِيَ الله عنك، وسَخِطَ على صاحبيك»[4].

---

(١) كابراً عن كابر، أي: ورثت المال عن آبائي وأجدادي، حالَ كونِ كل واحدٍ منهم كبيراً، ورث عن كبير فكذب ـ والله ـ وجحد نعمة الله، وكفر بها فاستحق السلب.

(٢) فصيرك الله: عبر بالماضي لقصد المبالغة في الدعاء عليه، ولتحقق وقوعه. والشرط ليس على حقيقته؛ لأن «الملك» لم يشك في كذبه.

(٣) أجهدك، أي: أشق عليك في رد شيء تطلبه مني، ولا أمنعك شيئاً تأخذه، معترفاً بالماضي، وشاكراً للحاضر.

(٤) رواه البخاري.

أسلوب رائع في الترغيب في العلم:

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، أنه مرَّ بسوق المدينةِ، فوقف عليها فقال: يا أهلَ السوقِ ما أعجزَكُم؟ قالوا: وما ذاكَ يا أبا هريرةَ؟.

قال: ذاكَ ميراثُ «محمدٍ» ﷺ، يُقْسَمُ وأنتم هنا، ألا تَذهبونَ فتأخذونَ نصيبَكم منه! قالوا: وأينَ هو؟.

قال: في المسجد. فخرجوا سِراعاً، ووقف أبو هريرةَ لهم حتىٰ رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ فقالوا: يا أبا هريرة! لقد أتينا المسجدَ، فدخلنا فلم نرَ فيه شيئاً يُقسَمُ!.

فقال لهم أبو هريرة: وما رأيتم في المسجد أحداً؟.

قالوا: بلىٰ؛ رأينا قوماً يُصلون، وقوماً يَقرؤُن القرآن، وقوماً يتذاكرون الحلالَ والحرام.

فقال لهم أبو هريرة: وَيْحَكم! فذاك ميراثُ «محمدٍ ﷺ»[1].

المسجدُ مدرسة الإيمان:

عن أبي أُمامةَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ غدا إلى المسجد لا يُريد إلا أن يتعلمَ خيراً، أو يعلمَه، كان له كأجرِ حاجٍّ تامةً حِجتُه»[2].

ريـاض الجنـة:

عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) رواه الطبراني.

«إذا مررتم برياضِ الجنةِ فارتعوا! قالوا: يا رسولَ الله! وما رياضُ الجنةِ؟ قال: مجالسُ العلمِ»(١).

موعظةُ لقمانَ لابنه:

عن أَبي أمامةَ رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن لقمانَ قال لابنه: يا بُنيَّ عليكَ بمجالسة العلماءِ! واسمعْ كلامَ الحكماءِ! فإنَّ الله ليُحْيي القلبَ الميتَ بنور الحكمةِ، كما يُحيي الأَرضَ الميتة بوابل المطر»(٢).

خيـر الجلسـاء:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله! أيُّ جلسآئنا خيرٌ؟ قال:

«مَنْ ذكَّركُم اللهَ رؤيتُه، وزادَكم في علمكم منطقُه، وذكركم بالآخرة عَمَلُه»(٣).

أَدَبُ المتعلـمِ:

عن أَبي هريـرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«تعلَّموا العلمَ، وتعلَّموا للعلم: السكينةَ، والوقارَ، وتواضعوا لِمَن تَعلَّمون منه»(٤)!.

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) لقمان: حكيم، وليس بنبي، باتفاق الجمهور، وهو من أسرة إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان يوآزر سيدنا داودَ عليه السلام؛ وسئل: فيما بلغتَ الحكمة؟ قال: بصدق الحديث، وأداء الأمانةِ، وتركِ ما لا يعنيني.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) رواه الطبراني.

التعوذُ من العلم الذي لا ينفعُ:

عن زيدِ بنِ أرقمَ رضي الله تعالىٰ عنه أن رسولَ الله ﷺ كان يقول:

«اللَّهمَّ إني أعوذُ بكَ من علمٍ لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نفسٍ لا تشبعُ، ومن دعوةٍ لا يُستجابُ لها»(١).

الصبرُ على ثلاثة أقسام:

صبرٌ على البلاءِ، وصبرٌ على الطاعة، وصبرٌ عن المعصية.

والذي يعين على الأول ثلاثةُ أشياء:

١ ـ ملاحظةُ حُسنِ الجزاءِ، بأن يُلاحظَ مَنْ أُصيب ببلاءٍ أنه بصبره عليه يؤجره اللهُ أجراً جزيلاً، كما وعد بقوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾(٢).

يُحكىٰ عن امرأةٍ من العابدات، أنها عثَرتْ فانقطعت أُصبعُها فضحكتْ! فقيل لها: أتضحكين وقد انقطعت أُصبعُك؟.

فقالت: حلاوةُ أجرِها، أنستني مرارةُ ذِكْرِها!.

٢ ـ انتظار الفرج، فإن انتظارَ الفرجِ ومراقبتَه يخفف حملَ المشقةِ مَعَ قوةِ الرجاءِ.

قال بعض الأدباء:

يـا صـاحـبَ الـهـمِّ إنَّ الـهـمَّ مُـنْـقَـطِـعٌ
أَبْـشِـرْ بـخـيـرٍ فـإنَّ الـفـارِجَ الله

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الزمر: ١٠.

اليَأْسُ يَقْطَعُ أحياناً بِصاحِبِه
لا تَيْأَسَنَّ فإنَّ الصَّانِعَ اللَّهُ
قد يُحْدِثُ اللَّهُ بَعدَ العُسْرِ مَيْسَرةً
لا تَجْزَعَنَّ فإنَّ الكافيَ اللَّهُ

٣ ـ ذِكْرُ النِعَم، لأن مَنْ عدَّ نِعَمَ اللَّهِ عليه، هان عليه ما هو فيه من البلاَءِ، ورآه بالنسبة إلى أيادي اللَّهِ ونعمِه: كقطرةٍ في بحر.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1].

والذي يعين على الثاني ثلاثةُ أشياءَ:

١ ـ بالمحافظة عليها دواماً.

٢ ـ برعايتها إخلاصاً.

٣ ـ بتحسينها علماً.

وللصبر عن المعصية: سببان، وفائدة.

أما السببان:

١ ـ الخوف من الوعيد المترتب عليها.

٢ ـ الحياءُ من الله تعالىٰ

والثاني: أقرب من الأول، لأن صاحبه حاضرٌ معَ الله، والأول حاضر مع العقوبة.

وأما الفائدة:

فالإبقاء على الإيمان، لأن المعصية لا بد أن تُنقِصَ الإيمانَ، أو تَذهبَ به رأساً، أو تُضعفَ قوتَه، أو تُطفِىءَ نورَه.

---

(١) النحل: ١٨.

القلب وأقسامه:

أخرج الإمامُ أحمدُ بإسناد جيد؛ عن النبي ﷺ أنه قال:

«القلوبُ أربعة: قلبٌ أجردُ فيه مثلُ السراجِ يَزهَرُ، وقلبٌ أغلفُ مربوطٌ على غِلافه، وقلبٌ منكوسٌ، وقلبٌ مصفَّح».

١ ـ فأما القلب الأجرد: فقلبُ المؤمنِ، سراجُه فيه نورُه، أي أجرد عن الصفاتِ الذميمة، لا حقدَ فيهِ ولا غِش ولا مكْرَ ولا حسد.

٢ ـ وأما القلب الأغلفُ: أي مختومٌ عليه، وهو قلب الكافر.

٣ ـ وأما القلب المنكوس: فهو قلب المنافق، عرف ثم انتكس.

٤ ـ وأما القلب المُصَفَّحُ: ففيه إيمانٌ ونفاق!.

فَمثَل الإيمانِ فيه: كمثل البقلةِ يمدها الماءُ الطيب.

ومثَل النفاقِ فيه: كمثل القَرْحةِ[1] يمدها القيحُ، فأي المادتين غلبت على الأخرىٰ غلبت عليه!.

فإن غلبت مادة الإيمانِ، أُثبت في ديوان المؤمنين.

وإن غلبت مادة النفاقِ، أُثبت في ديوان المنافقين[2].

موت القلب:

حُكِي عن شقيقٍ البلخي أنه قال: كان إبراهيم بنُ أدهَم يمشي في البصرة، فاجتمع إليه الناسُ فقالوا:

ما بالُنا ندعو فلا يُستجابُ لنا؟ وإن الله تعالىٰ يقول:

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾[3].

---

(١) القرح بالفتح الجراح، وبالضم ألم الجراح.

(٢) «الرياض النضرة، في تفسير الفاتحة والبقرة»: (١/٢٢٣).

(٣) المؤمن: ٦٠.

فقال: يا أَهلَ البصرةِ! قد ماتت قلوبُكم بعشرة أشياءَ، فكيف يُستجابُ لكم؟.

١ ـ عرفتُم اللَّهَ، ولم تُؤدوا حقَّه!.
٢ ـ قرأتم القرآنَ، ولم تَعملوا به!.
٣ ـ ادعيتم حبَّ الرسولِ ﷺ، وتركتُم سنتَه!.
٤ ـ ادعيتُم عداوةَ الشيطانِ، وأَطعتموه!.
٥ ـ ادعيتم دخولَ الجنةِ، ولم تَعملوا لها!.
٦ ـ ادعيتم النجاةَ من النار، ورميتُم فيها أَنفسَكم!.
٧ ـ قلتم الموتُ حق، ولم تستعدوا له!.
٨ ـ اشتغلتم بعيوب الناسِ، وتركتم عيوبَكم!.
٩ ـ دفنتم الأمواتَ، ولم تعتبروا!.
١٠ ـ أَكلتم نعمةَ اللَّهِ، ولم تشكروه عليها[١]!.

دواء القلوب:

قال سيدي إبراهيمُ الخواص رحمه الله تعالى، دفين منطف[٢]: دواءُ القلب خمسة أَشياءَ:

---

(١) فرضي الله تعالى عن هذا العالم النحرير، والزاهد الكبير، والطبيب الوقاف، الذي شخص المرض، ووقف على الداء، وبين بأن أبواب السماء مفتوحة، وعطاء الله محقق، وكرمه واسع، وغناه لا يدخل تحت حد!.
إلا أن الإجابة لم تتأخر إلا بما قدمته أيدينا، من اجتراح السيئات، وفعل المخالفات، وأكل الحرام!.
(٢) قرية شرقي جبل أريحا، بسورية.

١ ـ قراءة القرآن بالتدبر.

٢ ـ وخلاءُ البطنِ.

٣ ـ وقيام الليل.

٤ ـ والتضرع عند السحر.

٥ ـ ومجالسةُ الصالحينَ.

وقال بعضهم:

القلبُ لا يخلو من حلاوة المحبة؛ إما محبةَ الدنيا، وإما محبةَ الله.

وهما في القلب: كالماءِ، والهواءِ في القدح، فالماءُ إذا دخل في القدح خرج الهواءُ، ولا يجتمعان[1].

من روائع الأسلوب الحكيم:

عن عبدالله بن سلمان، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: جاءَ رجلٌ يومَ خيبر إلى النبي ﷺ فقالَ: يا رسول الله! لقد ربحتُ اليومَ رِبْحاً، ما ربحه أحدٌ من أهل هذا الوادي، قال عليه الصلاة والسلام:

«وَيْحَكَ وما ربحتَ؟». قال: ما زلتُ أبيع وأبتاع؛ حتى ربحتُ ثلاثمائة أوقيةٍ!.

---

(١) لا علاج للقلب أنجع من الإعراض عن الدنيا، والإقبال على الآخرة، مع الاشتغال بالذكر الدائم، حتىٰ ينطبع حب المذكور في قلبه!.

فإذا ذاق القلب حلاوةَ حبِ الله، أعرض عن حب غيرهِ، وإلا فمن لازِمِهِ التعلق بالمكونات والاشتغال بها عن المكون!.

وقد قال «حَبر الأمة» سيدي ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما: الدنيا خمر، فمن شرب منه لم يُفق إلا وهو في عسكر الموتىٰ خائب، خاسر، نادم!.

فقال ﷺ: «أفلا أُنبِئُك بخيرِ ربحٍ؟». فقال: ما هو يا رسول الله؟! قال: «ركعتين بعدَ صلاة»[1].

المؤمن والإيمان:

عن صهيب بنِ سِنانٍ رضي الله تعالىٰ عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«عجباً لأمر المؤمن! إنَّ أمره كلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاءُ شكرَ، فكان خيراً، وإن أصابته ضراءُ صبرَ، فكان خيراً»[2].

عن عبدالله بنِ مسعود رضي الله تعالىٰ عنه: وسأله رجل: ما الصراط المستقيمُ؟.

قال: تركَنا محمدٌ ﷺ في أدناه، وطرفُه في الجنة، وعن يمينه جوادٌّ، وعن يساره جوادٌّ. وثَمَّ رجالٌ يدعونَ مَنْ مرَّ بهم! فمن أُخذ في تلك الجوادِّ انتهت به إلى النار!.

ومَنْ أُخذ على الصراط المستقيم، انتهىٰ به إلى الجنة؛ ثم قرأ ابنُ مسعود:

---

(١) فصلوات الله وسلامه عليك يا سيدي يا رسول الله! يا فخر الأنبياء، وإمام الأتقياء، وأشرف الموجودات! ويا مربي البشرية! ومهذب الإنسانية! ويا من غرس في قلوب طلابه حبَّ الله والدارِ الآخرة! ويا من حطم بإيمانه، بإخلاصه، بصدقه: الماديات التي تحجب العبد عن خالقه، وتصده عن طريق الهداية والحق.
وأعلمتَ الناس بأن الدنيا لا تزن شيئاً في نظر العقلاء، لأنها فانية وأن ما يتعلق في الآخرة من صلاة، وذكر، ودعاء، هو الباقي، الذي يجد الإنسان غداً ثوابه أفقرَ ما يكون. والحديث رواه أبو داود.

(٢) أخرجه مسلم.

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[1] [2].

وعن وهب بنِ منبه، وقيل له: «أليس لا إله إلا الله مفتاحَ الجنّةِ؟».

قال: بلىٰ؛ وليس مفتاحٌ إلا وله أسنان؛ فإذا جئْتَ بمفتاحٍ له أسنان فتحَ لكَ، وإلا لم يُفْتَح لك[3].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال: قلت يا رسول الله: من أسعدُ النَّاسِ بشفاعتك يومَ القيامة؟ قال:

«لقد ظننتُ أن لا يسألَني عن هذا أولُ منك، لِمَا رأيتُ من حرصك على الحديث! أسعدُ الناسِ بشفاعتي يومَ القيامة، مَنْ قال: لا إله إلا الله، خالصاً من قلبه»[4].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا رأيتم الرجلَ يعتاد المسجدَ فاشهدوا له بالإيمان، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[5]»[6].

محــاورة طريفــة:

حكي أن سيدنا علياً ـ كرم الله وجهه ـ دخل مقابرَ المدينة، ونادىٰ: يا

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) أخرجه رزين.

(٣) أخرجه البخاري معلقاً.

(٤) رواه البخاري.

(٥) التوبة: ١٨.

(٦) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب.

أهلَ القبورِ السلامُ عليكم ورحمةُ اللّهِ، تُخبرونا بأخباركم، أم نُخبركم بأخبارنا؟ فسمعَ صوتاً يقول: وعليكَ السلام، أخبرنا بما كان بعدَنا؟!.

فقال سيدنا علي: أما أزواجُكم: قد تزوجتْ! وأما أموالُكم: قد قُسِمت! وأما الأولاد: فقد حُشروا في زُمرة اليتامىٰ! وأما البناء الذي شيَّدتم: فقد سكنه أعداؤكم. فهذه أخبارُ ما عندنا، فما أخبارُ ما عندكم؟ فأجابه الميت:

قد تخرقتِ الأكفانُ، وانتشرتِ الشعورُ، وتقطعتِ الجلودُ، وسالتِ المناخيرُ بالقيح والصديد، فما قدمناه وجدناه، وما تركناه خسرناه.

قيل لأويس القرني رضي الله تعالىٰ عنه: كيفَ أصبحتَ؟.

فقالَ: إن أصبحتُ ما ظننتُ أني أمسي، وإن أمسيتُ ما ظننتُ أني أصبح!.

قال داودُ لسليمان عليهما الصلاة والسلام: يُستدلُ على تقوىٰ المؤمن بثلاث:

١ ـ حُسنِ التوكل فيما لم ينل.

٢ ـ وحسنِ الرضا فيما نال.

٣ ـ وحسنِ الصبر فيما فات.

قال بعضهم:

لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعةَ غيرِه، وطاعةُ نفسِه ممتنعةٌ عليه!.

وقال بعضهم:

عجباً ممن يحتمي من المآكل الرديئةِ، مخافةَ الضُرِّ، ولا يدعُ الذنوبَ مخافةَ الآخرةِ!.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى

﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ

فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

أتى رجلٌ إبراهيمَ بنَ أدهمَ رضي الله تعالىٰ عنه فقال:

يا أبا إسحاقَ! إني مسرفٌ على نفسي، فاَعرض عليَّ ما يكون لها زاجراً ومستنقِذاً!.

فقال إبراهيمُ: إن قبلتَ خمسَ خصالٍ، وقدَرتَ عليها لم تضرُّك المعصيةُ.

قال: هاتِ يا أبا إسحاق!.

قال أما الأُولىٰ: فإذا أردتَ أن تعصيَ اللّهَ تعالىٰ، فلا تأْكلْ رزقَه!.

قال: فمِنْ أينَ آكلُ؟! وكل ما في الأرض رزقُه؟!.

قال: يا هذا! أفيحسنُ بك أن تأْكلَ رزقَه وتعصيَهُ؟!.

قال: لا، هاتِ الثانيةَ!.

قال: وإذا أردتَ أن تعصيَه فلا تسكنْ شيئاً من بلادِهِ؟!.

قال: هذه أعظمُ! فأينَ أسكنُ!.

قال: يا هذا! أفيحسنُ بك أن تأْكلَ رزقَه، وتسكنَ بلادَه، وتعصيَه؟.

قال: لا، هاتِ الثالثةَ!.

قال: وإذا أردتَ أن تعصيَه، وأنت تأْكلُ رزقَه، وتسكن بلادَه، فانظر مَوْضِعاً لا يراكَ فيه فاعصهِ فيه؟!.

قال: يا إبراهيمُ! ما هذا؟ وهو يطَّلع على ما في السرائر؟!.

قال: يا هذا! أفيحسنُ بك أن تأْكلَ رزقَه، وتسكنَ بلادَه، وتعصيَه وهو يراك، ويعلم ما تُجاهرُ به؟!.

قال: لا، هاتِ الرابعةَ!.

قال: فإذا جاءَكَ ملَكُ الموتِ ليقبضَ رَوحك، فقل له: أخرني حتىٰ أتوبَ توبةً نصوحاً، وأعملَ لله صالحاً!.

قال: لا يقبل مني؟.

قال: يا هذا! فأنتَ إذا لم تقدرْ أن تَدفعَ عنك الموتَ لتتوبَ، وتعلمُ أنه إذا جاءَك لم يكن له تأْخير، فكيف ترجو وجهَ الخلاصِ؟!.

قال: هاتِ الخامسةَ!.

قال: إذا جاءَك الزبانيةُ يومَ القيامة، ليأْخذوك إلى النار، فلا تذهبْ معهم؟!.

قال: إنهم لا يَدَعوني، ولا يَقْبَلُونَ مني؟!.

قال: فكيف ترجو النجاةَ إذن؟!.

قال: يا إبراهيم! حسبي، حسبي! أنا أستغفر الله وأتوبُ إليه.

فكان لتوبته وفيّاً، فلزم العبادةَ، واجتنب المعاصيَ حتىٰ فارق الدنيا.

من مظاهر النجدة والسخاء:

حكي أن عبدَ الله بنَ عامر، اشترىٰ من خالد بنِ عقبة دارَه، بتسعين ألفَ درهمٍ، وكانا جارين، فلما كان من الليل، سمع عبدُالله بنُ عامر، بكاءَ أهلِ خالد، فقال عبدُالله لزوجه: ما هذا البكاءُ؟.

قالت: يبكون لدارهم، ولولا الحاجةُ ما باعوها!.

فقال: يا غلامُ! ائتهم فأعلمهم أن المال والدارَ لهم!.

من مظاهر الحب والإخاء:

وحكي أن رجلاً أتى صديقاً له، فدق عليه البابَ.

فقال: أهلاً وسهلاً، ما جاءَ بك؟.

قال: عليَّ أربعُمائة درهمٍ دينٌ. فدخل مسرعاً وأخرج أربعمائة درهم، ثم عاد يبكي!.

فقالت امرأته: لِمَ أعطيتَه إذ شقَّ عليك ذلك؟ فقال: إنما أبكي لأني لم أتفَقدْ حالَه؛ حتىٰ احتاجَ إلى مفاتحتي!.

من مظاهر الجود والإعطاء:

وقام رجل إلى سعيد بنِ العاص فسأله، فأمر له بمائة ألفِ درهم، فأخذها السائل وبكىٰ!.

فقال له سعيد بن العاص: ما يُبكيك؟ قال السائل: أبكي على الأرض أن تأكلَ مثلَك. فأمر له بمائة ألفٍ أُخرىٰ!.

ما هو أشرف شيء؟:

عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال:

«أشرفُ الإيمانِ، أن يأمَنك الناسُ، وأشرفُ الإسلام، أن يَسلم الناسُ من لسانك ويدِك، وأشرفُ الهجرةِ، أن تهجرَ السيئاتِ، وأشرفُ الجهادِ، أن تُقْتلَ وتُعقرَ فرسُك، وأشرفُ الزهدِ، أن يَسكُنَ قلبُك على ما رُزِقْـتَ، وإن أشرفَ ما تسألُ اللّهَ عز وجل: العافيةَ في الدين والدنيا»[1].

---

(١) رواه البخاري في الأدب، والطبراني في الكبير.

يا ابن آدم!:

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن الله عز وجل يقول: يا ابنَ آدمَ! مرضتُ فلم تعُدني.

قال: يا ربِّ! كيفَ أعودُك وأنت ربُّ العالمينَ؟.

قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مرِضَ فلم تعُده، أما علمتَ أنَّك لو عُدْتَه لوجدتني عنده؟.

يا ابن آدم! استطعمتُكَ فلم تُطعِمْنِي.

قال: يا ربِّ! كيف أُطعمُك وأنت ربُّ العالمينَ؟.

قال: أما علمتَ أنه استطعمَك عبدي فلاناً فلم تُطعمه، أما علمتَ أنك لو أطعمته لوجدتَ ذلك عندي.

يا ابن آدم! استسقيتك فلم تَسقني.

قال: يا رب! كيف أسقيك وأنت ربُّ العالمين؟.

قال: استسقاك عبدي فلاناً فلم تَسقِه، أما أنك لو سقيتَه وجدتَ ذلك عندي»[1].

---

(١) رواه مسلم.

فوائد التقوى

اعلم أيها الأخُ المسلم! أن التقوىٰ هي الوسيلة العظمىٰ؛ لنيل مرضاةِ اللّٰهِ تعالىٰ، والقربِ من جنابه، والفوز بسعادة الدنيا، وكرامةِ الآخرة.

وهي بغيةُ السالكين، وأُمنيةُ الذاكرين، وهدفُ العابدينَ، وزاد الصالحين.

وها أنذا أُقدم لك فوائدَها؛ لتكونَ من طلابها.

وقد كان عليه الصلاة والسلام، يُكثر طلبَها بدعواته الكثيرة المأثورة.

فأقول:

١ ـ منها: الحفظُ والحِراسةُ من الأعداءِ، لقوله تعالى:

﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾(١).

٢ ـ ومنها: إصلاحُ العملِ، وغفرانُ الذنوب، لقوله تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾(٢).

٣ ـ ومنها: المحبةُ لقوله تعالىٰ:

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٣).

---

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١.

(٣) آل عمران: ٧٦.

٤ - ومنها: الإكرامُ، لقوله تعالىٰ:

﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[(١)].

٥ - ومنها: البشارةُ عندَ الموتِ، لقوله تعالىٰ:

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ﴾[(٢)].

٦ - ومنها: النجاةُ من النار، لقوله تعالى:

﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾[(٣)].

٧ - ومنها: الخلودُ في الجنة، لقوله تعالىٰ:

﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[(٤)].

٨ - ومنها: النجاةُ من الشدائد، وحصولُ الرزقِ الحلال، لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[(٥)].

هذه الآية نزلت في عوف بنِ مالك الأشجعي رضي الله عنه.

رُوِيَ أن المشركين أسروا ابناً له، فأتىٰ رسولَ الله ﷺ، وشكا إليه الفاقة، وأخبره بأسْرِ ولده، وجزَعِ الأم.

---

(١) الحجرات: ١٣.
(٢) يونس: ٦٢ - ٦٤.
(٣) مريم: ٧٢.
(٤) آل عمران: ١٣٣.
(٥) الطلاق: ٢ - ٣.

قال عوف: فما تأمُرنا يا رسولَ اللّه؟! فقال عليه الصلاة والسلام: «اتقِ واصبر، وآمرك وإيَّاها أن تستكثرا من قول: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله».

فعاد لبيته، وقال لامْرأته: إن رسولَ الله ﷺ أمرني وإياك: أن نستكثرَ من قول: لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله. فقالتْ: نِعْمَ ما أمرنا به. فجعلا يقولان ذلك، فغَفل العدو عن ابنه، فساق غنَمهم، وجاءَ بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاةٍ! فنزلت الآية... اهـ.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: عند قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾.

هو: أن يطاع فلا يُعصىٰ، ويُشكرَ فلا يُكفر، ويُذكرَ فلا يُنسى.

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه، معرِّفاً التقوىٰ بقوله:

هي: الخوف من الجليل، والعملُ بالتنزيل، والقناعةُ بالقليل، والاستعدادُ ليوم الرحيل.

وقال أنس رضي الله تعالىٰ عنه:

لَا يَتَّقي الله عَبْدٌ حقَّ تُقَاتِه، حتَّى يَخزُن لِسَانَه.

صـورة الأعمـال:

قال أبو بكر الكتاني: رأيت في المنام شاباً لم أرَ أحسنَ منه، فقلت: مَنْ أنت؟ فقال: التقوىٰ. قلت: فأينَ تسكنُ؟ قال: في كل قلبٍ حزين.

ثم التفتُّ، فإذا امرأةٌ سوداءُ كأوحشَ ما يكون! فقلتُ من أنتِ؟.

فقالت: الضحكُ. فقلت: وأينَ تسكنين؟ فقالت: في كل قلب فَرِحٍ مرحٍ!.

للسافـرة عقوبتـــان! :

قال الرافعي: لو كنتُ قاضياً، ورُفِعَ إليَّ شابٌ تجرأ علىٰ امرأة، فمسها أو احتك بها! وتحقق عندي أن المرأة كانتْ سافرةً متبرجـة! لعاقبت هـذه المرأةَ عقوبتين:

١ ـ **إحداها**: أنها اعتدت على عِفَّةِ الشابِّ!.

٢ ـ **والثانية**: أنها خَرْقاءُ حمقاء، كشفتِ اللحمَ للهر! فما رأيُكَ؟!.

فكـاهـة طـريفـة! :

روىٰ أبو نُعيم عن شجاع بنِ الوليد قال: كان فيمن كان قبلكم، رجل حلف لا يتزوج حتىٰ يستشير مائةَ نفسٍ!.

وإنه استشار تسعةً وتسعينَ رجلاً، واختلفوا عليه: فَمِنْ مُرَغِّبٍ، ومن محذِّر.

فقال: بقي واحدٌ، وهو أول من يطلع من هذا الفج، وآخذ بقوله ولا أعدوه، فبينما هو كذلك، إذ طلع عليه رجل راكب قصبةً، فأخبره بقصته! فقال: النساءُ ثلاثٌ:

١ ـ واحدة لك.

٢ ـ وواحدة عليك.

٣ ـ وواحدة لا لك، ولا عليك!.

فالبكر لك، وذاتُ الولدِ من غيرك عليك، والثيب لا لك، ولا عليك!.

ثم أُطلق الجواد وعاد إلى طبيعته، فقلت: أُخبرني بقصتك!.

فقال: أنا رجل من علماءِ بني إسرائيل، مات قاضيهم، فركبتُ هذه القصبةَ وتهابلت ـ أي: أظهرت الهَبل والهذيان ـ لأَخلص من القضاءِ! كيف أُخلص من القضاءِ؟!.

وفي البكر ثلاث فوائد:

١ ـ إحداها: أن تُحب الزوج الأَول وتألفه، والطباعُ مجبولة على الأُنس بأول مألوف، وأما التي مارستِ الرجالَ، فربما لا ترضىٰ ببعض الأَوصاف التي تخالف ما أَلفته، فتكره الزوج الثاني!.

٢ ـ وأما الفائدة الثانية: أن ذلك أكملُ في مودته لها.

٣ ـ وأما الثالثة: لا تحِنُّ إلا للزوج الأول.

ولذلك قال بعضهم:

نَقِّلْ فُؤادَك حيثُ شئتَ مِنَ الهوىٰ
ما الحُبُّ إلا للحبيبِ الأَولِ
كَمْ مَنزلٍ في الأَرض يأْلفُه الفتىٰ
وحنينُه أبداً لأَولِ مَنْزِلِ[1]

الآيات الخمس:

عن ابن مسعود رضي الله تعالىٰ عنه قال:

«خمسُ آياتٍ ما يَسُرني أَنَّ لِيَ بهنَّ الدنيا وما فيها.

١ ـ ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[2].

٢ ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[3].

---

(١) من البجيرمي على الخطيب.
(٢) النساء: ٣١.
(٣) النساء: ٤٠.

٣ - ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾(١).

٤ - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾(٢).

٥ - ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(٣).

الصـــدق:

عن عبدالله بنِ عمرَ رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال:

«أربعٌ إذا كُنَّ فيكَ فلا عليكَ ما فاتَكَ من الدنيا: حِفْظُ أمانةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحسنُ خَليقَةٍ، وعِفَّةٌ في طُعْمةٍ»(٤).

وعنه رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال: قال النبي ﷺ:

«إذا كذبَ العبدُ تباعد المَلَكُ ميلاً من نتن ما جاءَ به»(٥).

وعن شهر بن حوشب رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«ما لي أُراكم تتهافتونَ في الكذب، كما تهافتُ الفَراشُ في النار؟ أَلا إنَّ كل كذبٍ مكتوبٌ على ابنِ آدمَ إلَّا في ثلاثٍ: كذبِ الرجلِ امرأتَه

(١، ٢، ٣) النساء: ٦٤، ١١٦ و ١١٠.

(٤) رواه الطبراني، والحاكم.

(٥) رواه الترمذي، وأبو نعيم في «الحلية».

لِيُرضيهَا، وكذب الرجلِ في الحرب، فإن الحرب خدعة، وكذبِ الرجل في الإصلاح بين الزوجين، فإن الله تعالىٰ يقول:

﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1، 2].

وعن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ رضي الله تعالىٰ عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«عليكم بالصِّدق! فإنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إلى البِرِّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنة، ولا يزال العبد يَصْدُق ويتحرَّىٰ الصِدقَ حتى يُكتَبَ عند الله صديقاً، وإياكم والكذبَ! فإنَّ الكذبَ يَهدي إلىٰ الفُجور، وإن الفجورَ يهدي إلى النار، ولا يزال العبدُ يكذِبُ ويتحرَّى الكَذبَ حتى يُكتبَ عندَ الله كذاباً»[3].

وعن أبي أُمامةَ رضي الله تعالىٰ عنه، أن النبي ﷺ قال:

«أنا زعيمٌ ببيتٍ في وسطِ الجنةِ، لِمَنَ تركَ الكذبَ وإن كان مازحاً»[4].

وقال بعضهم:

مَنْ لم يؤدِّ الفرضَ الدائمَ، لا يُقبل منه الفرضُ المؤقت.

قيل: ما الفرضُ الدائمُ؟ قال: الصدقُ.

---

(١) النساء: ١١٤.

(٢) أخرجه ابن جرير في تهذيبه، والخرائطي في مساوي الاختلاف، والبيهقي في شعب الإيمان.

(٣) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.

(٤) رواه أبو داود.

وقيل: إذا طلبتَ اللّٰهَ بالصدق: أعطاكَ مِرْآةً تُبصر فيها كلَّ شيءٍ من عجائب الدنيا والآخرة!.

وقيل عليك بالصدق! حيث تخاف أنه يضرك، فإنه ينفعك، ودع الكذبَ! حيث ترىٰ أنه ينفعك فإنه يضرك!.

الذكر القلبي:

روى أبو عوانةَ، وابنُ حِبَّان في صحيحيهما، والبيهقي:

«خَيْرُ الذكرِ الخَفيُّ، وخيرُ الرِّزقِ ما يكفي».

وقال: «الذكرُ الذي لا تسمعه الحَفَظةُ، يزيد على الذكر الذي تسمعُه الحفَظَةُ سبعينَ ضعفاً»[1].

وقالوا: من أراد الله به خيراً، فتح له قُفلَ قلبِه، وجعل فيه اليقينَ.

وقال السيد أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالىٰ عنه:

الذرة من أعمال القلوبِ؛ أفضلُ من أمثالِ الجبالِ من أعمال الجوارح.

وقال بعضهم:

بقَلْبٍ فاذكرِ اللّٰهَ خَفِياً ... عن الخَلْقِ بلا حَرْفٍ وقالِ
وهذا الذِكْرُ أفضَلُ كُلِّ ذكرٍ ... بهذا قد جَرىٰ قولُ الرجالِ

وعن عائشة رضي الله تعالىٰ عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«يَفْضُلُ الذكر ـ أي: الخفيُّ ـ على الذكر ـ أي: الجهري ـ بسبعين ضعفاً! إذا كان يومُ القيامة رجع الخلائق إلى حسابه، وجاءَت الحفظة بما حفظوا وكتبوا، قال الله تعالىٰ: «انظروا هل بقي لعبدي من شيءٍ!».

---

(١) رواه البيهقي.

فيقولون: ما تركنا شيئاً مما علمناه وحفظناه، إلَّا وقد أحصيناه وكتبناه، فيقول الله تعالىٰ: إن لك عندي حُسْناً، وأنا أجزيك، وهو الذكر الخفي[1].

وورد في الصحاح: عن النبي ﷺ أنه قال:

«قال الله تعالىٰ: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معَه إذا ذَكَرني، فإنْ ذكرني في نفسه، ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في مَلإ ذكرتُه في مَلإ خيرٍ منه»[2].

وقال بعضُ العارفينَ:

الذكرُ بالقلب: سيفُ المريدينَ، به يقاتِلُون أعداءَهم، به يدفعون الآفاتِ التي تقصدهُم.

وإن البلاءَ إذا أُدخِلَ على العبد، وفَزِعَ بقلبه إلىٰ الله تعالىٰ يُمْنَع عنه في الحال ما يكرهه.

وقال ذو النون رحمه الله تعالىٰ:

صلاحُ القلبِ ساعةً، أفضلُ من عبادة الثقلينِ[3].

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه البخاري، وغيره.

(٣) من «تنوير القلوب» باختصار.

التلميذ النابغ

حُكِيَ أن حاتماً الأصم، كان تلميذاً لشقيق البلخي رحمهما الله تعالىٰ، قال له يوماً: منذ كَمْ صَحِبْتَني؟.

قال: منذ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً.

قال: فما تعلمتَ مني في هذه المُدةِ؟.

قال: ثمانَ مسائلَ!.

قال شقيق: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ ذهب عُمْرِي معك، ولم تتعلم إلا ثمانَ مسائلَ! فما هي؟ قال:

الأولىٰ: نظرتُ إلى هذا الخلقِ، فرأيتُ كلَّ واحدٍ يُحب شيئاً، فلا يزال محبوبه معه، فإذا ذهب إلى قبره، فارقه محبوبُه! فجعلتُ الحسناتِ محبوبي، فإذا دخلت قبري، دخل محبوبي معي.

قال: أحسنتَ، فما الثانيةُ؟

قال: **الثانية**: نظرتُ في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾، فعلمتُ أن قوله تعالىٰ حق، فأجهدتُ نفسي في دفع الهوىٰ، حتىٰ استقرتْ على طاعة الله تعالىٰ.

الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شيءٌ له قيمة، وله عنده مقدار يحفظه، ثم نظرت في قول اللّهِ عز وجل: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ

وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ﴾، فكلما وقع لي شيءٌ له قيمة ومقدار، وجهته إلى الله تعالىٰ ليبقىٰ لي عنده.

الرابعة: نظرتُ إلى هذا الخلق فرأيت كلَ واحد منهم يرجع إلى المال والحسب، والشرف والنسب.

فنظرتُ فإذا هي لا شيء، ثم نظرتُ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، فعمَدتُ إلى التقوىٰ حتىٰ أكون عند الله كريماً.

الخامسة: نظرتُ إلىٰ هذا الخلقِ، فوجدت بعضَهم يطعن في بعض، ويلعن بعضُهم بعضاً! فعلمت أن أصل ذلك كلِّه الحسدُ، فنظرت إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾... فتركت الحسد، وعداوةَ الخلقِ، وعلمتُ أن الذي قُسِمَ لي كائن لا بد منه.

السادسة: نظرت إلى هذا الخلقِ يبغي بعضُهم على بعض! ويعادي بعضهم بعضاً! فنظرت إلى عدوي في الحقيقة؛ فإذا هو الشيطانُ، وقد قال اللّهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، فعاديتُه وأحببت الناسَ أجمعينَ.

السابعة: نظرت إلى الخلق، فوجدتهم يَطلبونَ الكثرةَ، ويُذِلون أنفسَهم بسببها! ثم نظرتُ قولَه تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾، فعلمتُ أني من جملة المرزوقين، فاشتغلت بالله عز وجل، وتركتُ ما سواه.

الثامنة: نظرتُ إلى هذا الخلقِ، فرأيتُهم يتوكلُ بعضُهم على بعض! ويتوكلُ هذا على تجارته، وهذا على صنعته، وهذا على صحته! وكل مخلوق يتوكل

على مخلوق! فرجعتُ إلى قوله عز وجل: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ فتوكلت على الله تعالىٰ.

فقال شقيق:

« وَفَّقَكَ اللهُ ياحاتِمُ! فَلَقَدْ جَمَعْتَ الأُمُورَ كُلَّها ».

الفِتَن والأهواء[1]

فتنةُ الشيطانِ وقَسَمُه الكاذبُ:

قال الله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾[2].

معنى الآية: أن إبليس ـ عليه اللعنة ـ غرَّ سيدنا آدم باليمين الكاذبةِ! وكان آدم عليه السلام يظن ويعتقد، أن أحداً لا يحلفُ بالله كاذباً!.

وإبليسُ أولُ مَنْ حلف بالله كاذباً، فلما حلف إبليسُ، ظن آدم أنه صادقٌ، فاغترَّ به!.

---

(١) الفتن: جمع فتنة، وهي المحنة والشدة والعذاب، وكلُ مكروهٍ، فإن كانت من الله تعالىٰ: كالأمراض، فهي لحكمة ممدوحةٌ، وإن كانت من الإنسان، فهي مذمومةٌ.
والهَوىٰ: مقصورٌ هوىٰ النفس. والجمعُ أهواء. فالهوىٰ: هو الدافع القوي لكل طغيان وكل تجاوز، وكل معصية، وهو أساس البلوىٰ، وينبوع الشر.
قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ ولذا تعرضت في كتابي هذا لهما لاستفحالهما في الأمة، وانتشارِهما في الناس، وليكون المسلم على حذر ووجل من شرهما، ولله در القائل:

إني بليتُ بأربع ترمينني ... بالنَبلِ قد نَصبوا عليَّ شِراكا
إبليسَ.. والدنيا ونفسيَ والهَوىٰ ... من أينَ أرجو بينهن فَكاكا
يا رب، وفقني لعفوك إنني ... أصبحتُ لا أرجو لهذا سِواكا

(٢) الأعراف: ٢١ ـ ٢٢.

فدلاهما: أي حطهما عن منزلتهما من العلوِ، وهو: الجنةُ، إلى السفلِ، وهو الأرضُ، بغرورٍ منه.

إغواؤه لآدمَ عليه السلام:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾.

خُطْبَتُهُ في أَهْلِ النَّارِ:

وورد عند قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١).

ومعنى قُضي: أي فُرِغَ منه، بأن دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ.

---

(١) إبراهيم: ٢٢.

أخذ أهلُ النار في لوم إبليسَ وتقريعِه وتوبيخِه، فيقـومُ فيها خـطيباً، يوضع له مِنبرٌ في النار من النار، فيجتمعُ عليه أهلُ النارِ يلومونه، فيقول لهم هذه الآية! . اهـ.

غُرورهُ للمُشْركينَ:

﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾(١).

غرَّهم ـ عليه اللعنة ـ في «بدر» حتى ساروا، وسار معهم منزلةً منزلةً، ومعه جنودُه وراياتُه، فأسلمهم إلى مصارعِهم!.

فلما رأى الجندَ والملائكةُ تنزل للنصر، وعاين جبريـلَ، نكص على عقبيه! وهذا كقوله تعالى:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٢).

فتنــة الدنيــا:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

يقول الله تعالى: «ابنَ آدمَ! تفرَّغْ لعبادتي أمـلأْ صدرَك غِنىً، وأسُـدَّ فقرَكَ، وإن لا تفعلْ أملأْ يدَيْكَ شُغلاً، ولم أسُدَّ فقرك!»(٣).

---

(١) الأنفال: ٤٨.

(٢) الحشر: ١٦.

(٣) رواه الترمذي.

من مظاهر تربية النفس:

عن عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما، أن أبا طلحة الأنصاريَّ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ كان يصلي في «حائطٍ» له، فطار «دُبْسيٌّ» فَطَفِقَ يتردَّدُ ويلتمس مَخْرجاً فلا يجدُ!.

فأعجبَ أبا طلحة ذلك، فتبعه بصرهُ ساعةً، ثم رجع إلى صلاته! فإذا هو لا يدري كَمْ صلىٰ؟.

فقال: فقد أصابتني في مالي هذا فتنةٌ! فجاءَ إلى رسول الله ﷺ! وذكر له الذي أصابه في صلاته، وقال: يا رسول الله!.

«هو صدقةٌ فَضَعْهُ حيثُ شِئتَ»[1].

وعن حذيفةَ رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:
«الخمرُ جِماعُ الإثم، والنساءُ حبائل الشيطان، وحُبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ»[2].

روى الإمام أحمد في «مسنده» عن النبي ﷺ أنه قال:
«مَنْ أَحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومَنْ أَحبَّ آخرته أضرَّ بدنياه، فآثروا ما يبقىٰ على ما يَفنىٰ!».

أقول: لأنهما متضادتان:

١ ـ كالضرتين، مهما أرضيتَ إحداهما سَخِطَتِ الأُخرىٰ!.

٢ ـ وككفتي الميزان، مهما رجحَتْ إحداهما خفَّتِ الأُخرىٰ.

---

(١) أخرجه مالك.

(٢) أخرجه رزين.

٣ ـ وكالمشرق والمغرب، مهما قربْتَ من أحدهما بعُدتَ عن الآخر.

٤ ـ وكقَدَحين، أحدُهما مملوءٌ والآخر فارغ، فبقدر ما تصب منه في الآخر حتىٰ يمتلىء، يفرَغ الآخر.

وعن أنس رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من كانت الآخرةُ همَّه، جعل اللّٰه غناه في قلبه، وجمع عليه شملَه، وأتْته الدنيا وهي راغمةٌ.

ومن كانت الدنيا همَّه، جعل اللّٰهُ فقرَه بينَ عينيه، وفرَّق عليه شملَه، ولم يأْته من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له، فلا يُمسي إلا فقيراً، ولا يُصبحُ إلَّا فقيراً، ولا أَقبلَ عبدٌ على الله بقلبه، إلَّا جعل اللّٰهُ قلوبَ المؤمنين تنقادُ إليه بالمودة والرحمة، وكان الله بكلِّ خير إليه أسرعَ»(١).

فتنـــة القبــر:

رُوي عن هانىء مولى عثمانَ بنِ عفان قال: كان عُثمـانُ ـ رضي الله تعالىٰ عنه ـ إذا وقف على قبر، بكىٰ حتىٰ يَبُلَّ لحيتَه.

فقيل له: تذكرُ الجنةَ والنارَ فلا تبكي؟ وتذكُرُ القبرَ فتبكي!.

قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«القبرُ أولُ منزلٍ من منازلِ الآخرةِ؛ فإنْ نجا منه، فما بعدَه أيسرُ، وإن لم ينْجُ منه، فما بعده أشدُّ منه!».

وقال عليه الصلاةُ والسلام:

«ما رأيتُ منظراً قطُّ، إلّا والقبرُ أفظعُ منهُ».

---

(١) أخرجه الترمذي.

قال هانئ: سمعتُ عثمانَ رضي الله تعالىٰ عنه ينشد:

فإنْ تَنْجُ مِنْها تَنْجُ مِنْ ذي عَظيمةٍ   وإلا فإني لا إخالُكَ ناجيا[1]

وعن علي رضي الله تعالى عنه قال: ما زِلْنا نَشُك في عذاب القبرِ حتى نزلَ: ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾[2].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالىٰ عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«يُسلِّطُ اللَّهُ على الكافر في قبره تسعةً وتسعينَ تنِّيناً، تنهَشُه وتلدغه حتىٰ تقومَ الساعةُ، لو أن تنِّيناً منها نفخ على الأرض ما أَنْبَتَتْ خَضْرَاءَ»[3].

وقد روىٰ الشيخانِ حديثاً: في أنه عليه الصلاة والسلام مرَّ بقبرينِ فقال:

«إنهما يُعذَّبانِ، وما يُعذَّبانِ في كبير، كان أحدُهما لا يستبرىءُ من بوله! وكان الآخر يمشي بالنميمة».

قال الله تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[4].

فتنة الآخرة:

رُوي عن أُم المؤمنينَ عائشةَ رضي الله تعالىٰ عنها قالت: ذكرتُ النارَ فبكَيْتُ، فقال رسولُ الله ﷺ:

«ما يُبكيك يا عائشةُ؟».

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) أخرجه ابن ماجه.

(٤) المؤمن: ٤٦.

قلتُ: ذكرتُ النارَ فبكيت، فهل تذكرونَ أهليكم يومَ القيامة؟.

فقال عليه الصلاة والسلام:

«أما في ثلاثة مواطنَ، فلا يذكرُ أحدٌ أحداً، عندَ الميزان حتىٰ يعلَم أيخفُّ ميزانُه أم يثقلُ؟ وعندَ تطاير الصحفِ حتىٰ يعلمَ أينَ يقعُ كتابُه في يمينه، أم في شماله، أم من وراءِ ظهره؟ وعند الصراط إذا وُضِعَ بينَ ظَهْرَي جهنَم، حتىٰ يجوزَ»[1].

الخوف من الفتنة:

حكي أنه قيل لإبراهيم بنِ أدهمَ: اجلسْ إلينا فَحدثْنا!.

قال: حتى أفْـرَغَ من ثلاثٍ. قيل: وما هي؟ قال:

١ ـ **الأولى**: لمَّا نزل الملَكُ لتصويري في الرحم، وقال: يا ربِّ! أشقيٌ أم سعيدٌ؟ فما أدري ما كان الجوابُ؟.

٢ ـ **الثانية**: حينما ينزل الملَكُ لقبض روحي ويقول: يا ربِّ! على الإيمان أم على الكفر؟ فما أدري ما يكون الجوابُ؟.

٣ ـ **الثالثة**: لما يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النارِ النارَ، وينادي المنادي يا أهلَ الجنة! خلودٌ بلا موتٍ، ويا أهلَ النارِ! خلودٌ بلا موتٍ، فما أدري معَ أي الفريقينِ أكونُ؟[2].

---

(١) رواه أبو داود، والحاكم.

(٢) «الرياض النضرة، في تفسير الفاتحة والبقرة» (١/٣٣٩).

فتنــة التسويــف:

رُوي عن ابن عباسٍ رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«النادِمُ ينتظرُ من الله الرحمة، والمُعْجَبُ ينتظـرُ من الله تعالىٰ المَقْتَ! واعلموا عبادَ الله! أنَّ كل عاملٍ سَيَقْدَمُ على عمله، ولا يخرجُ من الدنيا حتىٰ يرىٰ حُسنَ عملِه، وسوءَ عمله، وإنمـا الأعمال بخـواتيمها، والمليـلُ والنهار مطيتانِ، فأحسِنوا السَّيرَ عليهما إلى الآخرة، واحذروا التسويفَ! فإنَّ الموتَ يأتي بغتـةً، ولا يغترنَّ أحدُكم بحِلم اللّهِ عز وجل، فإنَّ الجنةَ والنارَ أقربُ إلى أحدِكم من شِرَاك نعله، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾[1]».

فتنــة الطعــام:

قال بعضُ الحكماءِ: مَنْ كثُر أكلُه كثر شربهُ، ومن كثُـر شربُـه، كثُر نومُه، ومن كثُر نومُه كثُر تُخمهُ، ومن كَثُر تخمُه قسا قلبهُ، ومن قسا قلبُه غرِق في الآثام! قال بعضُهم:

يُميتُ الـطعامُ القلبَ إنْ زادَ كثـرةً ... كـزرْعٍ إذا بـالمـاءِ قَـدْ زادَ سَقْيُـه
وإنْ لَبيبـاً يـرتَضِي نَقصَ عَـقْلِه ... بـأكـلِ لُقَيماتٍ لقـد ضَـلَّ سعيُـه

قيل: لو سُئل أهلُ القبورِ! ما سببُ قِصَرِ آجالِكم؟ لقالـوا: التُخمـةُ.

وروي عن أنس مرفوعاً:

«أصلُ كلِ داءٍ البَردَةُ»[2].

---

(١) رواه الأصبهاني.

(٢) بمعنى التخمة؛ لأنها تبـرد حرارة الشهوة، أو لأنها ثقيلة على المعدة، بطيئة الذهاب. من برد إذا ثبت وسكن. اهـ من كشف الخفاء (١/١٧٤).

وأخرج أحمدُ بإسنادٍ جيِّدٍ، أنه عليه الصلاة والسلام نَظَرَ إلى رجلٍ سمينِ البطن، فأَوْمَأَ إلى بطنه بأُصبعه وقال: «لو كان هذا في غيرِ هذا، لكان خيراً لك».

أي: لو قدمتَه لآخرتِك، وآثرتَ به غيرَك، لكان خيراً لك وأفضلَ.

وروى الشيخانِ:

«المؤمن يأكل في مِعىً واحدٍ، والمنافقُ يأكل في سبعة أمعاء».

أي: يأكل سبعةَ أضعاف ما يأكلُ المؤمن! أو تكون شهوته سبعةَ أضعافِ شهوته.

وقال سيدنا عمر رضي الله تعالىٰ عنه: إياكم والبِطْنَةَ! فإنها ثِقَلٌ في الحياة، نَتنٌ في الممات!.

وقال لقمانُ لابنه:

يا بُنيَّ! إذا مُلئتِ المعدةُ، نامتِ الفكرةُ، وخرستِ الحكمةُ، وقعدتِ الأعضاءُ عن العبادة!.

وقال أبو سليمان:

لأَنْ أترُك لقمةً من عَشائي، أحبُّ إليَّ من قيام ليلةٍ إلىٰ الصُبْح![1].

---

(١) وأخرج البخاري في كتاب «الضعفاء» وابن أبي الدنيا في كتاب «الجوع»، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: «أولُ بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها: الشبعُ، فإن القوم لما شبعتْ بطونُهم، سمنت أبدانُهم، فضعفت قلوبُهم، وجمحَت شهواتُهم! كذا في «الترغيب»: (٣/ ٤٢٠).
وللتوسع انظر «حياة الصحابة» للشيخ محمد يوسف رحمه الله تعالىٰ... وهكذا تضافرت أقوال الحكماء، واتفقت أراء العلماء، بأن فتنة الطعامِ من الفتن الجسام، التي تذهب بدين الرجل، وهو لا يعلم. =

فتنـــة النســـاء:

تلا عبدُاللَّهِ بنُ مسعود رضي الله تعالىٰ عنه هذه الآية: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

كانت امرأةٌ ترعىٰ الغنمَ، وكان لها إخوة أربعةٌ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهبٍ، قال: فنزل الراهبُ ففجر فيها، فحملت!.

= لأن من اعتاد التوسع في شهوة البطن، حتى أصبحَ أسيراً لها، صرعته نفسُه، وغلبته شهوته، ولو من طريق غير مشروع، أو موردٍ غير صحيح، فلا يُقبل له عند ذلك عملٌ، ولا يرفع له دعاء!.

وإذا شبعت البطن جاعت الأعضاء، فتندلع من هذه المجاعة، شهوةٌ خطرُها أعظمُ، وأمرُها أجسم، وهي شهوة الفرج، ولهذا أعقبتها بفتنة النساء، وهي أدهىٰ وأمر من الأولىٰ، فهما أختان في الإغواء، وشقيقتان في الافتتان.

ولو أجلنا نظرَنا اليوم، لرأينا العالَم الإسلامي من أقصاه لأقصاه، يموج بهاتين الفتنتين! والواقعُ يؤكد هذا ويكشفه.

فنرىٰ الكبار والصغار، والنساء والرجال، والفقراء والأغنياء، والعلماء جُلُّ حديثهم يدور حول هذا، وقَصُرَ نظرُهم عن غيره!.

فظهر التفاخر، ووقع التحاسد والتباغض، فكلٌ في هذا الميدان يتسابق، وفي المجالس يتفاخر، بأن مصروفه اليومي، يُعادل مصروفَ غيره الشهري، وزواجَه كلفه ما كلف العشرات ممن سواه.

فقامت الفتنة على قدم وساق، حتىٰ أصبح الكثيرُ منا يأكل كما تأكل الأنعامُ، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) الحشر: ١٦ ـ ١٧.

فجاءَ الشيطانُ فقال له: أُقْتلها ثم ادفنها! فإنك رجلٌ تُصَدَّق ويُسمع قولُك! فقتلها ثم دفنها.

قال: فأتى الشيطانُ إخوتَها في المنام فقال لهم:

إن الراهب صاحبَ الصومعةِ، فجرَ بأُختكم، فلما أحبلها قتلها، ثم دفنها في مكانِ كذا وكذا!.

فلما أصبحوا قال رجل منهم: ـ والله ـ لقد رأيتُ البارحةَ رؤيا ما أدري أقصُّها عليكم أم أتركُ؟!.

قالوا: لا؛ بل قصها علينا. قال: فقصها.

فقال الآخر: وأنا ـ والله ـ لقد رأيتُ ذلك!.

قالوا: ـ فوالله ـ ما هذا إلا لشيءٍ. فانطلقوا فاستَعدَوْا ملِكَهُم على ذلك الراهب! فأتوه فأنزلوه، ثم انطلقوا به، فأتاه الشيطان، فقال: إني أُوقعتُك في هذا، ولن يُنجيكَ منه غيري، فاسجُدْ لي سجدةً واحدةً، وأُنجيكَ مما أُوْقعتُك فيه!.

قال: فسجد له! فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه الشيطان وأُخِذَ فقُتل.

وفـي روايـة:

أن راهباً عَبَدَ الله ستينَ سنةً، وإن الشيطانَ أراده فأعياه، فعمد إلى امرأةٍ فأجنَّها، ولها إخوة، فقال لإخوتها: عليكم بهذا القِسِّ! فيداويَها.

قال: فجاؤا بها إليه فداواها، وكانت عنده، فبينما هي يوماً عنده؛ إذ أعجبته فأتاها فحملت، فعمد إليها فقتلها! فجاءَ إخوتُها.

فقال الشيطان للراهب: أنا صاحبُك إنك أعييتني! أنا صنعتُ هذا بك، فأطعني! أُنْجِكَ مما صنعتُ بك، أسجد لي سجدة! فسجد له.

قال: إني بريءٌ منك، إني أخاف اللَّهَ ربَّ العالمينَ.

وهذا الراهب يقال له: «برصيصا»[1].

وعن أُسامَةَ بنِ زيد رضي الله تعالىٰ عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النساءِ»[2].

وقــال بعضهـــم:

إن الشيطان يقول للمرأة: أَنْتِ نِصْفُ جُندي، وأَنتِ سَهْمي الذي أرمي به فلا أُخْطِىءُ، وأَنتِ موضعُ سِري، وأَنتِ رَسُولي في حاجتي! فنصفُ جندِه الشهوةُ، وهذا مصداقُ قولِه عليه الصلاة والسلام:

«النساءُ حبائلُ الشَّيطانِ[3]، ولولا هذه الشهوةُ، لما كان للنساءِ سَلطنةٌ على الرِّجال».

وأوصىٰ سيدُنا داودُ ابنَه قائلاً:

«يا بُني! امشِ خلفَ الأَسدِ والأَسْودِ، ولا تمشِ خلفَ المرأةِ».

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

«اتقوا فتنةَ الدُّنيا، وفتنةَ النِّساءِ، فإنَّ أولَ فتنةِ بني إسرائيلَ كانت في النِّساءِ»[4].

ولقد تعرضنا في هذا الكتاب، في موضوع [التفسير] عند قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ لبعض ما ورد نقلاً، وذكرنا ما يَنجُمُ من جرَّاءِ هذه الفتنةِ فارجعْ إليه تَجِدْ ما تَقرُّبه عينك، إن شاءَ اللّٰهُ تعالىٰ ص ٢١٠.

---

(١) البداية والنهاية: (٢/١٣٦).
(٢) رواه الستة، إلا مسلم.
(٣) أخرجه الأصفهاني.
(٤) رواه مسلم.

فتنـــةُ المـــالِ :

روى البغوي عن أبي أُمامةَ الباهلي رضي الله تعالىٰ عنه قال:

جـاءَ ثعلبةُ بنُ حـاطب الأنصاري، النبيَّ ﷺ فقـال: يـا رسـولَ اللّهِ! أُدعُ اللّهَ أن يرزقني مالاً! فقال رسول الله ﷺ:

«ويحكَ يا ثعلبةُ! قليلٌ تؤدي شكرَه خيرٌ مِنْ كثيرٍ لا تُطيقه».

ثم أتـاه بعد ذلـك فقال: يـا رسـول الله! أُدْعُ الله أن يـرزقني مـالاً! فقال ﷺ:

«أما لكَ فيَّ أُسوةٌ حسنةٌ؟ والذي نفسي بيده! لو أردتُ أنْ تسيرَ الجبالُ معي ذهباً وفضةً لسارتْ».

ثم أتاه بعدَ ذلك فقال: يا رسول الله! أُدْعُ الله أنْ يرزقني مالاً! والذي بعثك بالحق، لئن رزقني اللّهُ لأُعْطِينَّ كلَّ ذي حقٍ حقه.

فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ ثَعْلَبَةَ مالاً».

قال: فاتخذ غَنماً، فَنَمَتْ كما ينمي الدودُ، فضـاقتْ عليه المـدينةُ، فتنحىٰ عنها، فنزل وادياً من أُوديتها، وهي تنمي كمـا ينمي الدودُ، فكـان يُصلي معَ الرسولِ ﷺ: الظهرَ والعصرَ، ويصلي في غنماته سائرَ الصلوات!.

ثم كَثرتْ ونَمتْ حتىٰ تباعدَ عن المدينة، فصار لا يشهـد جمعةً ولا جماعة! فكـان إذا كان يـومُ الجمعة، فخـرج يتلقى الركبـانَ، يسألهم عن الأخبار؟ فذكره رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ فقال:

«ما فعلَ ثعْلَبَةُ؟».

فقالوا: يا رسول الله! اتخذ ثعلبةُ غنماً ما يسعها وادٍ!.

فقال رسولُ الله ﷺ:

«يا ويحَ ثعلبة، يا ويحَ ثَعْلَبة!».

نزول آية الزكاة:

فأنزلَ الله آيةَ الصدقةِ(١). فبعث رسولُ الله ﷺ رجـلاً من بني سُليم، ورجلًا من بني جُهَينةَ، وكتب لهما أسنانَ الصدقةِ، وكيف يأخذانهـا؟ وقال لهما: مُرَّا على ثعلبةَ بنِ أبي حاطب! وَمُرَّا على رجل من بني سُليم، فخذا صدقاتِهما!.

فخرجا حتىٰ أتيا ثعلبةَ، فسألاه الصدقةَ، وأقرآه كتابَ رسولِ الله ﷺ.

فقال: ما هذه إلَّا جزيةٌ! ما هذه إلا أُختُ الجزيةِ! انطلقـا حتىٰ تفرُغا، ثم عودا إليَّ!.

فـانطلقـا، وسمع بهمـا السُلَمي، فنظر إلى خِيـار أسنان إبِلِه فعـزلها للصدقة ثم استقبلَهما بها! فلما رأياه قالا: ما هذه عليك!.

قال: خذاه فإن نفسي بذلك طيبةٌ.

فمَرَّا على الناس، وأخذا الصدقاتِ، ثم رجعا إلى ثعلبةَ.

فقال: أروني كتابَكما! فقرأه فقال: ما هذه إلا جزية! ما هذه إلا أُختُ الجزيةِ! اذهبا حتىٰ أرىٰ رأيي!.

قال: فأقبلا، فلما رآهما رسولُ الله ﷺ قال قبل أن يتكلما:

«يا ويحَ ثعلبةَ، يا ويحَ ثعلبةَ!».

ثم دعا للسُلَمي بخير. فأخبراه في الذي صنع ثعلبةُ! فأنـزل الله في حقه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾(٢) الآيات.

---

(١) وهي قوله سبحانه: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾.. الآية.

(٢) التوبة: ٧٥ ـ ٧٨.

وكان عندَ رسولِ الله رجلٌ مِنْ أقاربه، فسمع ذلك، فخرج حتىٰ أتاه فقال: ويحك يا ثعلبةُ! لقد أنزل الله فيك: كذا وكذا.

الرسولُ يردُ صدقةَ ثعلبةَ:

ثم جاءَ ثعلبةُ بزكاته، غيرَ تائب في الباطن، فقال عليه الصلاة والسلام:

«إنَّ الله مَنَعني أنْ أقْبَلَ مِنْكَ!».

فجعل يحثو الترابَ على رأسه، أيْ: تستراً وخوفاً من أن يُنظم في سلك الكفار، ويُخْرَجَ من سلك المؤمنين، ويعامله معاملةَ الكفار!.

الصِّديق يردها أيضاً:

فلما قُبض رسولُ الله ﷺ. فأتىٰ أبا بكر رضي الله تعالىٰ عنه فقال: اقبل صدقتي!.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: لم يَقبلها رسولُ الله ﷺ منك، وأنا لم أقبلها منك، فلم يقبلها.

الفاروق يردها أيضاً:

فلما قُبض أبو بكر وَوَلِيَ عمرُ ـ رضي الله عنهما ـ أتاه فقال: اقبل صدقتي! فقال: لم يقبلها رسولُ الله، ولا أبو بكر، فأنا لم أقبلها منك، فلم يقبلها.

هلاكه في خلافة عثمان:

ثم ولي عثمان رضي الله تعالىٰ عنه، فأتاه فلم يقبلها منه. وهلك في خلافة عثمان.

قال بعض العلماءِ: وإنما لم يقبلها رسولُ الله ﷺ؛ لأن الله تعالىٰ منعه

من قبولها، مجازاةً على خلاف ما عاهد الله عليه، وإهانةً له على قوله: إنما هي جزية، أو أخت الجزية!.

فلما صدر هذا القولُ منه، رُدَّتْ صدقتُه عليه، إهانةً له، وليعتبر غيرُه.

حمامــةُ المسجــدِ:

كـان ثعلبةُ هـذا ملازمـاً مسجدَ رسـولِ الله ﷺ، حتى لُقِّب بحمامـة المسجد! ثم رآه عليه الصلاة والسلام يُسـرع الخروجَ من المسجـد عقبَ الصلاةِ، فقال عليه الصلاة والسلام:

«ما لكَ تفعلُ فِعْلَ المنافقينَ»[1].

فقال: إني افتقرتُ! ولي ولامرأتي ثوبٌ واحد، أجيءُ به للصلاة، ثم أذهبُ فأنزِعُه لتلبسَه وتصلي، فادعُ اللَّهَ تعالىٰ أن يوسع عليَّ رزقي! ثم ذكر قصته[2].

الفتــن العامــة:

عن أبي أُميْمةَ الشعباني قال: قلتُ يا أبا ثعلبة! كيف تقولُ في هذه الآية: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾[3].

---

(١) ملاحظة: وقع خلاف في ثعلبةَ هذا من هو؟.
والصواب: بعد البحث والتثبت فيه، بأن «ثعلبة بنَ حاطب» هو بدري شهد بدراً وقُتِل في «أُحُد»، وهذا لا يتفق مع فضل أهل «بدر» والحالةُ هذه.
وأمـا المنافق المنوه بذكره في هذه الآيات: هو «ثعلبة بن أبي حاطب» الأنصـاري الذي تعاون ببناء مسجدِ الضرار. اهـ الإصابة: (١: حرف الثاء).

(٢) حاشية الجمـل على الجلالين، مـع ذكر بعض الـزيادات: (٢/ ٣١٤)، وأخـرجه الطبراني، والبيهقي في الدلائل، وابن المنذر، وغيرُهم.

(٣) المائدة: ١٠٥.

فقال: أَمَا والله لقد سألتُ عنها خبيراً، سألتُ عنها رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال:

«ائتَمِروا بالمعروف، وانتَهُوا عن المُنْكَر، حتىٰ إذا رأيْتُم شُحًّا مُطاعاً، وهوىً مُتَّبعاً، ودُنيا مُؤْثَرةً، وإعجابَ كلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليكَ بنَفْسِك، وَدَعْ عنكَ أمْرَ العوام! فإنَّ مِنْ ورائكم أياماً، الصبرُ فيهنَّ كالقبض على الجمْرِ، للعامل فيهن مِثْلُ أجرِ خمسينَ رجلاً يعملونَ مثلَ عملِكم!»[1].

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«يوشِكُ أن يكونَ خيرُ مالِ المُسْلمِ: غَنَماً يتَّبعُ بها شَعَفَ[2] الجبالِ، ومواضِعَ القَطْرِ يَفِرُّ بدينه مِنْ الفِتن»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«بادروا بالأعمال! فِتناً كقطع الليلِ المظلمِ، يُصبحُ الرجلُ مؤمناً، ويُمسي كافراً، ويُمسي مؤمناً، ويُصبحُ كافراً، يبيعُ دينَه بِعَرَضٍ من الدنيا»[4].

وعن مَعْقِل بنِ يسار رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«العِبادةُ في الهَرْجِ، كَهِجْرةٍ إليَّ».

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي.

(٢) شعفةُ كل شيء: أعلاه. وجمعُها: شِعاف، يريد به رأس جبل من الجبال، وهو معتزل الناس، حتى يأتيه الموتُ وهو على ذلك. انتهى من النهاية في غريب الحديث.

(٣) أخرجه البخاري.

(٤) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي.

(٥) الهرج: الاختلاف والفتن، وأصل الهرج: الكثرة في الشيء والاتساع فيه. ورويَ «بين يدي الساعة هرج» أي: قتال واختلاط. والحديث رواه أحمد، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

عن حذيفةَ رضي الله تعالىٰ عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول:

«تُعرضُ الفِتنُ على القلوبِ كالحصيرِ عَوْداً عَوْداً[(١)]، فأيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَها نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وأيُّ قلبٍ أنكرَها نُكِتَتْ فيه نُكْتَةٌ بيضاءُ، حتى يصيرَ على قلبينِ: على أبيضَ مثلِ الصَّفا، فلا يَضرُّه فتنةٌ ما دامتِ السَّمواتُ والأَرْضُ، والآخرِ أَسْوَدُ مُرْبادًّا[(٢)] كالكوزِ مُجَخِّياً[(٣)] لا يعرفُ معروفاً، ولا يُنْكِرُ مُنْكَراً، إلَّا ما أُشْرِبَ مِنْ هَواه»[(٤)].

وفيه قال حذيفةُ لعمرَ: إنَّ بينَكَ وَبينَها باباً مغلقاً، يوشِكُ أن يُكسرَ. قال عمر: أكسراً ـ لا أباً لك ـ! فلو أنه فُتِحَ، لعله كان يعاد. قلت: لا؛ بل يُكْسَرُ[(٥)].

وعن أبي هريرةَ رضي الله تعالىٰ عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال:

«لا تقومُ الساعةُ، حتىٰ يَمرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ فيقول: يا ليتني مكانَه!».

---

(١) هذه الرواية بالفتح، أي: مرة بعد مرة، وروي بالضم، وهو واحد العيدان، يعني: ما ينسج به الحصير من طاقاته. اهـ من النهاية في غريب الحديث.

(٢) وفي رواية: مربداً، هما من اربد وارباد، ويريد اربداد القلب من حيث المعنىٰ، لا الصورة، فإن لون القلب إلى السواد ما هو. ومن حديث عمرو بن العاص، أنه قام من عند عمرَ مربد الوجهِ في كلام أسمعه. اهـ من النهاية.

(٣) المجخي: المائل عن الاستقامة والاعتدال، فشبه القلبَ الذي لا يعي خيراً بالكوز المائل، الذي لا يثبت فيه شيء!.

وهو: بضم أوله، وفتح ثانيه، وكسر ثالثه مع الشَدةِ. اهـ من النهاية.

(٤) رواه مسلم.

(٥) التاج الجامع للأصول: (٥/٣١٠) باختصار.

وفـي روايـة:

«والـذي نفسي بيده، لا تـذهبُ الدنيـا حتىٰ يمرَّ الـرجلُ على القبـر فيَتمـرَّغُ، ويقولُ: يـا ليتني كنتُ مكانَ هـذا القبـرِ! وليس بـه الـدينُ، إلا البلاءُ»(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله تعالىٰ عنه قال:

كان الناس يسألونَ رسولَ الله ﷺ عن الخَير، وكنتُ أسألُه عن الشـرِّ مخافةَ أن يُدْرِكَني!.

فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! إنا كنَّا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءَنا اللَّهُ بهذا الخيرِ، فهل بَعْدَ هذا الخيرِ من شرٍّ؟.

قال: «نعم».

قلتُ: وهل بعدَ ذلك الشرِّ من خيرٍ؟.

قال: «نعم، وفيه دَخَنٌ»، قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قومٌ يَهـدونَ بغيرِ هَدْي، تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ».

فقلتُ: فهل بعد ذلك الخيرِ من شر؟.

قال: «نعم، دعاةٌ على أبواب جهنَّمَ، مَنْ أجابَهم إليها قذفوه فيها».

قلت: يا رسولَ الله! صِفْهُمْ لنا!.

قال: «هُم من جِلْدَتِنا، ويتكلمونَ بألسنتنا!».

قلتُ: فما تأمرني إنْ أدركَني ذلك؟.

قال: «تلزمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعـةٌ ولا إمامٌ؟.

---

(١) رواهما مسلم.

قال: «فاعتزلْ تلك الفِرَقَ كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدرِكَكَ الموتُ وأنتَ على ذلك»[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال:

«يُوشِكُ أن يأتي زمانٌ يُغربَلُ فيه الناسُ غربلةً، وتبقى حُثالةٌ من الناس، قد مَرِجَتْ عُهودُهم وأماناتُهم، واختلفوا، فكانوا هكذا» ـ وشبَّك بينَ أصابعِه ـ.

قالوا: كيف بنا يا رسول الله؟! قال:

قال: «تَأْخذونَ ما تَعْرِفونَ، وتَدعونَ ما تُنْكِرون، وتُقْبِلونَ على أمرِ خاصتكم، وتَذَرون أمرَ عامتِكم»[2].

روي عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«يأتي على الناس زمانٌ يُتزَوَّجُ الغلامُ كما تُتزوج المرأةُ!»[3].

وروي عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي أنه قال:

«يأتي على الناس زمانٌ: يَحُجُّ أغنياءُ أمتي للنزهة، وأوسطُهم للتجارة، وقراؤهم للرياءِ والسمعة، وفقراؤهم للمسألة»[4].

روي عن أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«يأتي على الناس زمانٌ، لأنْ يُربّيَ أحدُكم جَرْوَ كلبٍ، خيرٌ له من أن يُربي ولداً»[5].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم.

(٣) رواه الديلمي.

(٤) رواه الخطيب، والديلمي.

(٥) رواه الديلمي.

«يأتي على الناس زمانٌ: همُّهم بطونُهم، وشرفهم متاعُهم، وقِبْلَتُهم نساؤهم، ودينُهم دراهمُهم ودنانيرهم، أولئك شرُّ الخَلْقِ لا خَلاقَ لهم عند اللّهِ تعالىٰ»[1].

روي عن حذيفةَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«يأتي على الناس زمانٌ، يتمنَّىٰ فيه الرجالُ الموتَ، لِما يَلْقَوْنَ في الدُّنيا، من الزلازلِ والفِتنِ والبلايا!»[2].

وعن أنس رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي أنه قال:

«الصَّابرُ فيهم على دينه كالقابضِ على الجمْرِ»[3].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

«يُقبضُ العِلْمُ، ويَظهَرُ الجهلُ والفِتنُ، ويَكْثرُ الهرْجُ»[4].

وعن ثوبانَ رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«يوشِكُ الأُمَمُ أنْ تَداعىٰ عليكم، كما تَداعَىٰ الأكلةُ إلى قصعتها!».

فقال قائل: ومِنْ قلةٍ نحنُ يومَئذٍ؟

قال: «لا! بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْل! وَلَينزِعَنَّ اللّهُ من صُدورِ عدُوِّكم المهابَةَ منكم، وَلَيقْذِفَنَّ في قلوبِكم الوَهْنَ»، قيل: وما الوَهْنُ يا رسول اللّهِ؟ قال: «حُبُّ الدنيا، وكراهيةُ الموتِ»[5].

---

(١) رواه السلمي عن علي رضي الله عنه. هذه الأحاديث الأربعة: ظاهرة المعنى مجلية الوضوح، محققة الوقوع، وقد يكون في سندها شيء. نسأله تعالىٰ الوقاية من المعاصي، والحفظ من الفتن!.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه أبو داود.

خمس بخمس:

رُوي عن ابن عمرَ رضي الله تعالىٰ عنهما قال: كنا عند رسولِ الله ﷺ فقال:

«كيفَ أنتم إذا وَقعتْ فيكم خَمسٌ؟ وأعوذُ بالله أن تكـونَ فيكم، أو تُدركوهن:

١ ـ ما ظَهرتِ الفاحشةُ في قوم قَطُّ، يُعمَلُ بها فيهم علانيةً، إلا ظهرَ فيهم الطاعونُ والأوجاعُ، التي لم تكن في أسلافِهم.

٢ ـ وما مَنَعَ قومٌ الزَّكاةَ، إلَّا مُنِعوا القَطْرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَروا.

٣ ـ وما بَخَس قومٌ المِكيالَ والميزانَ إلا أُخِذوا بالسنينَ، وشدَّةِ المُؤنة، وَجَوْرِ السُّلطان.

٤ ـ ولا حَكَم أُمراؤهم بغير ما أنزلَ اللَّهُ، إلا سَلَّطَ عليهمْ عَدوَّهم، فاستَنقذُوا بعضَ ما في أيديهم.

٥ ـ وما عطَّلوا كتابَ اللَّهِ، وسُنَّةَ نبيهِ، إلَّا جَعلَ بأْسَهُم بينَهم»[1].

عن ابن عَمْرو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«ليأْتينَّ على أُمتي ما أتىٰ على بني إسرائيل حِذوَ النعلِ بالنعلِ! حتى إن كان منهم من أتىٰ أُمَّه علانيةً، ليكونَنَّ في أُمتي مَنْ يصنع ذلك!.

وإنَّ بني إسرائيل تفرقتْ على اثنتينِ وسبعينَ مِلَّةً، وستفترقُ أُمتي على ثلاثٍ وسبعينَ مِلَّةً، كلُّها في النار إلَّا واحدةً!.

قالوا: ما هي؟.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، والطبراني.

قال: «مَنْ كان على ما أنا عليه وأصحابي»[1].

وعن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا كانت أمراؤكُم خيارَكم، وأغنياؤكُم سمحاءَكُم، وأمورُكم شورَىٰ بينكم، فظهرُ الأرضِ خيرٌ لكم من بطنها!.

وإذا كان أمراؤكُم شراركم وأغنياؤكُم بخلاءَكم وأمورُكم إلى نسائكُم، فبطنُ الأرضِ خير لكم من ظهرها»[2].

روى أبو قلابةَ عن أنس رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«لا تقوم الساعةُ حتىٰ يتباهىٰ الناس في المساجدِ»[3].

وفي رواية: «تُزَخْرَفُ المحاريب، وتُخْرَبُ القلوب».

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا فَعلتْ أُمتي خمسَ عشرة خصلةً حلَّ فيها البلاءُ!!.

قيل: وما هي يا رسولَ الله؟.

قال: إذا كان المغنمُ دُوَلًا! والأمانةُ مَغنماً! والزكاةُ مَغرَماً! وأطاع الرجلُ زوجتَه! وعقَّ أُمَّه! وبَرَّ صَديقَه! وجفا أباه! وارتفعتِ الأصواتُ في المساجدِ، وكان زعيمُ القوم أرذَلهم، وأُكرِمَ الرجلُ مخافةَ شرِّه، وشُربتِ الخمورُ، ولُبِس الحريرُ، واتُخِذَتِ القيناتُ والمعازفُ، ولعن آخرُ هذه الأمةِ أَوَّلَها، فليرتقبوا عندَ ذلك ريحاً حَمْراءَ، أو خَسْفاً، أو مَسْخاً»[4].

---

(١) أخرجه الترمذي.

(٢) أخرجه الترمذي.

(٣) رواه أبو داود، والنسائي، وابنُ ماجه.

(٤) رواه الترمذي وقال: «حديث غريب».

وعن أسامةَ بن زيد رَضِيَ الله عنهما قال: أشرفَ النبيُّ ﷺ على أُطُم[1] من آطام المدينةِ فقال: «هل ترونَ ما أرىٰ»؟.

قالوا: لا.

قال: فإني لأرىٰ الفتنَ تقعُ خِلالَ بيوتِكم، كَوقْعِ القَطْرِ».

وفي رواية:

«يتقاربُ الزمانُ، وينقصُ العلمُ، ويُلْقَىٰ الشحُ، وتظهر الفتنُ، ويَكثر الهرْجُ. قالوا: يا رسول الله! أيَّما هو؟ قال: القتل»[2].

وعن الزبير بن عدي قال: أتينا أنسَ بنَ مالك رضي الله عنه، فشكونا إليه ما نلقىٰ من الحَجَّاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي على الناس زمانٌ، إلاَّ الذي بعده شرٌّ منه، حتىٰ تَلْقَوْا ربَكم، سمعتُه من نبيكم ﷺ[3].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«ستكون فتن، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائم فيها خيرٌ من الماشي، والماشي فيها خيرٌ من الساعي»[4].

وعن أنس رضي الله عنه قال: «لا تقوم الساعةُ حتى يُرفعَ العلمُ، ويظهرَ الجهلُ، ويقلُّ الرجالُ، ويكثرُ النساءُ، حتىٰ يكون قَيِّمَ خمسينَ امرأةٍ رجلٌ!».

---

(١) الأطم: كل حصن مبني بحجارة، وكل بيت مربع.

(٢) رواهما البخاري، ومعنى تقاربِ الزمن: محقُ بركته، حتىٰ تكون السنَة كالشهر، والشهرُ كالأسبوع، والأسبوعُ كاليوم، واليومُ كالساعة، فينطوي العمرُ طياً، من غير حصولٍ على ما يُطلب ويراد. فلا حول ولا قوة إلا بالله!.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) رواه البخاري.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال:

«لا تقومُ الساعةُ حتىٰ يُقاتِلَ المسلمونَ اليهودَ، فيقتُلهم المسلمون، حتىٰ يختبىءَ اليهوديُ من وراءِ الحَجر والشجرِ، فيقول الحجرُ أو الشجر: يا مسلمُ! يا عبدَ الله! هذا اليهودي مِنْ خلفي، فتعالَ فاقتله! إلَّا الغرقدَ فإنه من شجر اليهود»[1].

فهذه الأمور عَلَمٌ من أعلام النبوة ونبأٌ من أنباءِ الغيب، التي تفوه بها رسولُ الله ﷺ الصادقُ المصدوقُ، الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إنْ هو إلَّا وحيٌ يُوحَىٰ.

فلم يترك عليه الصلاة والسلام أمراً من الأمور، أو خَطْباً من الخطوب، حتىٰ انتهاءِ الدنيا، إلَّا ذكرَه للناس، وبيَّنه لأمته.

وقد كان حذيفةُ بنُ اليمان رضي الله عنه، التلميذَ الأول لرسول الله ﷺ، المتفوقَ في هذا الحقل الواسع، الواعي له، الخائف منه.

ثبت عنه أنه قال: كان الناس يسألون رسولَ الله عن الخير، وكنتُ أسألُه عن الشر مخافةَ أن يُدركَني... الحديث.

وقد بلغ رضي الله عنه في الأمانة مَبْلَغاً كبيراً، حتىٰ كان أمينَ سرِّ رسولِ الله في المنافقينَ، أعداءِ الإسلام والمسلمين، يعرفهم بأسمائهم وذواتهم، فكان عمر رضي الله عنه، يأتي حذيفةَ مرتعدةً فرائصُه، خائفاً قلبُه، يقول لحذيفة بصوت منخفض، ونفسٍ خاشعة: هل لي اسمٌ عندك يا حذيفة؟.

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده: (٢/٢١٧) في حديث طويل أوله: «لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض».

هكذا كان شيوخ الصحابةِ وكبارُهم، كلٌّ يَخشَىٰ النفاقَ، ويخافُ الفتنةَ. فما بالك ـ يا أخي المسلم ـ ونحن الآن أصبحنا في دبر الزمن، عم فيه الجهلُ، وتغلب الهوىٰ، واستعصت الشهواتُ في النفوس، وتزلزلتِ العقيدةُ من القلوب، سادت السفهاءُ، وذلت العلماءُ، كلٌّ مُعْجَبٌ في رأيه، مغرور بسيره، منتقد لغيره، مُدَّعٍ الصوابَ في جانبه، والخطأَ في باقي الجوانب.

والبعض استحلَّ الحرامَ! وحرَّم الحلال! فتح للناس بابَ الإباحة، وأن الأصل في الأشياءِ الحِلُّ! فتكشُّف المرأةِ عن أطرافها حلال! اختلاطها بالرجال الأجانب حلال! بروزها في الشوارع العامة والدوائر الرسمية والخاصة حلال! النظر إلى التليفزيون مع مختلف برامجه حلال! التصوير على اختلاف أنواعِه حلال! تخنث الرجلِ ومزاحمته المرأة في أزيائها، وتكسرِها في مِشيتها وملبسها حلال! استرجالُ المرأة حلال! معاملة المصارف بالفوائد حلال!.

والبعض من أبناءِ هذا الزمن، طعن في رأي السلف، والأئمة المجتهدين، والعلماءِ الأعلام العاملين، المتفق على فضلهم وعلوِّ كعبهم، في العلم والورع والدين، يَدعي هذا البعضُ الاجتهادَ في الحكم، والأخذ بالقرآن والسنة فحسب، يدعو إلى اللامذهبيةِ في الإسلام، التي هي قنطرة الإلحاد، وخطوة إلى اللادينية، والإسلامُ منه براء!.

وهكذا انتشرت «الفتن والأهواء» انتشاراً واسعاً، حتى في الفئة الصالحة من الناس، فضلاً عن غيرهم، ممن أعرض وتولىٰ.

ولهذا جئتُ لك بهذا المختصرِ المفيدِ، وذكرتُ موجزَ الفتن: خاصَّها وعامَّها، لتكونَ على حذر من ذلك، داعياً لي وللمسلمين بالحفظ والوقاية والسلامةِ، والعصمةِ من ظواهرها وبواطنها، جليها وخفيها.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1]

جوامعُ الدّعاء

الحمدُ لله السميعِ البصيرِ، الغنيِّ الكريم، القريبِ المجيب.

وأشهد أن لا إله إلاَّ الله، الواحد المعبود، الملك المقصود، القائل في محكم تنزيله: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[2].

والصلاة والسلام الأتمَّانِ الأكملانِ على سيدنا محمدٍ أفضلِ مَنْ تبتَّل ودعا.

ورضي الله تعالىٰ عن صحابتِه الكرام، وعن التابعينَ وتابعيهم بإحسان.

وبعد؛ فقد تم ـ والحمد لله ـ كتابُ «سمير المؤمنين» وكان ختامه «بجوامع الدعاءِ» المنقولة عن أشرف الأنبياءِ صلى الله عليه وآله وسلم.

فأفضلُ ما يدعو العبدُ به ربَّه، بما دعا به نبيُّه ﷺ، متبركاً بألفاظه وكلماته، متحلياً بأوصافه وعاداته.

---

(١) المؤمن: ٦٠.

(٢) البقرة: ١٨٦.

فالدعاءُ ـ معشر الإخوان ـ مُخُّ العبادةِ، ورأْسُ المعرفة والزَهـادةِ، فهو اعترافٌ بالفقر والافتقار، اللتان هما من لوازم العبودية:

فالعبدُ يفزع إلى مولاه في الشدة والرخاءِ، والمنع والعطاءِ، والصحةِ والسَقم، والفقر والغِنىٰ . . .

فهو يتقلبُ بينَ الحمدِ والشكرِ، والضراعةِ والصبرِ: فإذا أُعْطِيَ شَكرَ، وإذا مُنِع فزِع إلى الله وصبرَ.

ولقد اخترتُ لك كلماتٍ منتخبَةٍ، وأُدعية منتقاة، تحتاجها في جميع أُمورك: في حضرك وسفرك، في صحتك وسَقمك، في فَقْرك وغناك، في صلاتك وعبادتك، في نومك ويقظتك، في فراغك وشغلك . . .

فالدعواتُ المأثورةُ عنه عليه الصلاة والسلام، عَقاقيرٌ للنفس، وشفاءٌ للروح.

تمسَّكْ بها تَظفرْ، وحافِظْ عليها تُنصَرْ.

فأقول: مستفتحاً ومتبركاً بأسمائه تعالىٰ الحسنىٰ:

بسم الله الرحمن الرحيم

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى

فَادْعُوهُ بِهَا هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

الرحمن *

الرحيم * الملك * القدوس * السلام

المؤمن * المهيمن * العزيز * الجبار * المتكبر

الخالق * الباري * المصور * الغفار * القهار * الوهاب

الرزاق * الفتاح * العليم * القابض * الباسط * الخافض

الرافع * المعز * المذل * السميع * البصير * الحكم * العدل

اللطيف * الخبير * الحليم * العظيم * الغفور * الشكور * العلي

الكبير * الحفيظ * المقيت * الحسيب * الجليل * الكريم * الرقيب

المجيب * الواسع * الحكيم * الودود * المجيد * الباعث * الشهيد * الحق

الوكيل * القوي * المتين * الولي * الحميد * المحصي * المبدي * المعيد

المحيي * المميت * الحي * القيوم * الواجد * الماجد * الواحد * الصمد

القادر * المقتدر * المقدم * المؤخر * الأول * الآخر * الظاهر

الباطن * الوالي * المتعالي * البر * التواب * المنتقم * العفو

الرؤوف * مالك الملك * ذو الجلال والإكرام * المقسط

الجامع * الغني * المغني * المانع * الضار * النافع

النور * الهادي * البديع * الباقي

الوارث * الرشيد

الصبور *

رَوى البُخَارِيُّ ومُسْلِمُ

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

«إنّ للَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْماً

مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنةَ».

* * *

الشرح الموجز لأسماء اللَّهِ تعالىٰ:

الله : هو علمٌ على الذات العلية، الواجبِ الوجود. وقال بعضُهم: إنه الاسم الأَعظم.

الرحمٰن : هو المنعم بجلائل النعم وعظيمِها.

الرحيم : هـو المنعم بدقـائق النِعم. فهما من الـرحمة، بمعنى مُـريد الإِحسان، أو محسن بالفعل، والأمران واقعان، فهما: صفة ذاتٍ على الأول، وصفةُ فعلٍ على الثاني.

الملك : ذو المُلك. أو المتصرفُ في ملكه، بالإِيجاد والإِعدام.

القدوس : أي المُطهَّرُ والمنزه عن سِماتِ النقصِ والحدوث؛ بل هو مبرأٌ عن أن يُدركه حسٌّ، أو يتصوره خيالٌ، أو يُحيط به عقل. فهو من أسماءِ التنزيه.

السلام : أي ذو السلامِ من كل نقصٍ وآفة: في ذاته وصفاته، وأفعاله.

المؤمن : المصدِقُ لرسله بخَلْقِ المُعْجِزَات لهم.

المهيمن : أي الرقيبُ، المبالغُ في المراقبة والحفظِ، فهو العالِمُ الشاهد لا يغيب عنه مِثْقالُ ذرةٍ.

العزيز : هو الغالبُ، فمرجعُه للقدرة المتعاليةِ عن المعارَضةِ.

الجبار : هو المصلحُ لأمور عبادِه، المتكفلُ بمصالحِهم.

المتكبر : هو مَـنْ يَرىٰ غيـرَه بالنسبـة إليه رؤيةَ مالكٍ لعبيده. وهو مِنْ أسماءِ الذاتِ.

الخالق، البارىءُ، المصورُ: هي ألفاظٌ متـرادفة على معنى واحـد، وهو: الإيجادُ من العدم، والإبداعُ كما شاءَ. وقيل: غير ذلك.

الغفار : أي كثيرُ الغَفْرِ، وسترِ القبائح على العباد، بدون مؤاخذة فضلاً منه تعالىٰ.

القهار : الذي كلُ مخلوقٍ في قبضته، ومسخَّرٌ لقضائه، ومقهورٌ بقدرته.

الوهاب : كثيرُ النعمِ، دائم العطاءِ والهباتِ.

الرزاق : خالقُ الأرزاقِ وأسبابِها كلِّها، ومفيضُها على عباده.

الفتاح : الحاكمُ بينَ العباد، أو الناصرُ لمن شاءَ، أو مَنْ يفتح خزائنَ رحمته لعباده. قال الله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ فهـو اسـمُ ذاتٍ على الأول، واسمُ فعلٍ على ما بعده.

العليم : الذي علم ما كان، وما يكون، أولاً وآخِراً، ظاهراً وباطناً، في الملك والملكوت؛ لأنَّه خلق الأشياءَ كلَها.

القابض : مضيِّقُ الرزقِ علىٰ مَنْ شاءَ.

الباسط : موسعُ الرزقِ علىٰ مَنْ شاءَ.

الخافض : مَنْ يخفض القسطَ، أو مَنْ يَخْفضُ الكفارَ والفجارَ، بالخزي والذل والصغارِ، وعذابِ النار.

الرافع : يرفع القسطَ، ويرفع الأبرارَ بالإجلال في دار السلام.

المعز : لمن شاءَ بتوفيقه للفعل المليح، فهو المعز لمن شاءَ إعْزازَهُ.

المذل : لمن شاءَ بهديه للقبيح، والمذل لمن شاءَ إذلاله.

السميع : الذي يسمع كُلَّ شيءٍ من الأَصواتِ وغيرِها بدون حواس.

البصير : الذي يُبصر كلَّ شيءٍ، ولو صوتاً بدون حاسة.

الحَكَم : الحاكمُ الذي لا مَردَّ لقضائه، ولا مُعَقِّبَ لحكمه، فمرجعه للقول الفاصلِ بينَ الحقِ والباطلِ، والبَرِ والفاجرِ.

العدل : مصدرٌ وُصِفَ به للمبالغةِ، أي العادل المبالغِ في العدل.

اللطيف : بأوليائه، الخبيرُ بهم، أو اللطيف: العالم بخفيات الأُمور ودقائقها.

الخبير : العليمُ ببواطن الأَشياءِ.

الحليم : الذي لا يستفزه غضبٌ، ولا يَحْمله على استعجال عقوبةٍ.

العظيم : البالغ أَقْصَىٰ مراتبِ العظمةِ، فلا يتصوره عقلٌ، ولا تُحيط بكنهه بصيرةٌ.

الغفور : كثيرُ الغفران واسعُ المغفرة.

الشكور : الذي يُعطي الجزيلَ على العمل القليل.

العلي : البالغُ في علوِ الرتبةِ بلا نهايةٍ، فما من شيءٍ إلا وهو منحط عنه سبحانه.

الكبير : في كل شيءٍ؛ لأنه أزلي وغني على الإطلاق.

الحفيظ : الذي يحفظ الأَشياءَ من الزوال والاختلال ما شاءَ ذلك.

المقيت : خالقُ الأَقواتِ بدنيةً وروحانيةً، وموصلُها للأَشباح والأَرواحِ.

الحسيب : الكافي لعبده، أو الذي يُحاسِب الخلقَ يومَ القيامة.

الجليل : المتصفُ بصفات الجلال، قال الإمام الرازي: الفرق بينه وبينَ الكبيرِ والعظيمِ، أن الكبيرَ: الكاملُ في الذات، والجليل: الكاملُ في الصفات. والعظيمُ: الكامل فيهما.

الكريم : المتفضلُ المعطي، من غير سؤالٍ، ولا عِوض.

الرقيب : الذي يُراقب الاشياءَ ويُلاحظها، فلا يَغيب عنه ذرةٌ.

المجيب : الذي يُجيب الداعِيَ إذا دعاه.

الواسع : المحيطُ بكل شيءٍ عِلْماً.

الحكيم : ذو الحِكْمة، وهي: كمالُ العلمِ، وإحسانُ الفعل، وإتقانُه.

الودود : مبالغةٌ في الود، أي: الذي يُحب الخيرَ لكل خلقه.

المجيد : الماجدُ البالغ في المجد والشرفِ.

الباعث : باعثُ الرسلِ للأمم، وباعثُ الهِمَمِ للترقي في ساحاتِ التوحيد.

الشهيد : من الشهود والحضور، أي العالِمُ بكل مخلوقٍ الحاضرُ معه.

الحق : أي الثابتُ الذي لا يتحول، أو المظهرُ للحق.

الوكيل : القائم بأمور عبادِه، وتسخيرِ ما يحتاجون إليه.

القوي : ذو القُدرةِ التامةِ البالغةِ للكمال.

المتين : البالغُ في الشدة من المتانة، وهي شدةُ الشيءِ واستحكامُه.

الولي : المحبُ الناصر، المتولي أمرَ خَلْقِه.

الحميد : المحمودُ المستحق لكل ثناءٍ؛ لأنه الموصوفُ بكلِ كمالٍ.

المحصي : الذي أحصىٰ بعلمه كلَ شيءٍ.

المبدئ : الذي أظهر الأشياءَ من العدم.

المعيد : والذي يُعيدها بعدَ العدمِ.

المحيي المميت : الذي خلقَ الحياةَ في كلِ حيٍ، وخلق الموتَ في كلِ مَنْ أماته.

الحي : ذو الحياةِ الدائمة، وهذه صفةٌ قائمة بذاته.

القيوم : القائمُ بنفسه، والمقيمُ لغيره ذاتاً وتدبيراً.

الواجد : الذي يَجد كلَّ ما أراده، فلا يُعْوِزه شيءٌ.

الماجد : من المجد والشرف، كالمجيد؛ ولكنه أبلغُ منه.

الواحد : الذي لا ينقسم بحال: فهو واحد في ذاته، وصفاته، وأفعاله.

الصمد : السيدُ، الذي يُصمَدُ ويُفْزَع إليه في الشدائد.

القادر، المقتدر : ذو القدرةِ البالغة، إلا أن المقتدر أبلغ.

المقدم، المؤخر : الذي يقدم بعضَ الأشياء على بعض في الوجود: كتقديم الأسبابِ على مسبباتِها، أو في الشرفِ والقُربة: كتقديم الأنبياء والصالحينَ على مَنْ عداهم.

الأول : القديمُ السابقُ على كل شيءٍ، فهو أولٌ بلا بدايةٍ.

الآخر : الباقي وحدَه بعدَ فناءِ كلِ شيءٍ، وهو آخِرُ بلا نهايةٍ.

الظاهر : الجلي وجودُه بآياته الباهرةُ؛ فليس فوقَه شيءٌ.

الباطن : فليس دونَه شيءٌ، فهو الخفي بكُنْهِ ذاتِه عن نظر الخلائق إليه.

الوالي : الذي تَولَّى كلَ شيءٍ ومَلَكَه.

المتعالي : المرتفعُ عن النقائص، البالغُ في العلاءِ.

البر : المحسنُ العظيم في إحسانه.

التواب : الذي وفق المذنبين للتوبة، وقَبِلَها منهم.

المنتقم : المعاقِبُ للظلَمة والعصاةِ الشاردين.

العفو : الذي يمحو السيئاتِ عمن تاب إليه، فهو أبلغ من الغفور، لأن الغفر السترُ، والعفوَ المحوُ.

الرؤوف : شديدُ الرأفةِ والرحمةِ، فهو أبلغُ من الرحمٰن الرحيم.

مالك الملك : الذي يُجري الأمورَ فيه كما يشاء، لا مَردَّ لقضائه ولا مُعقِّبَ لِحكْمِه.

ذو الجلال والإكرام : الذي لا شرفَ ولا كمالَ إلا له وحدَه، ولا كرامةَ ولا مَكْرُمة إلا وهي منه سبحانه وتعالى.

المقسط : العادل الذي يُنصفُ المظلومينَ، ويَكْسِرُ شوكةَ الظالمينَ.

الجامع : المؤلف بينَ شَتات حقائقَ مختلفةٍ، وجامعُ الناسِ ليوم القِصاص: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ ﴾.

الغني : المستغني بذاته وأسمائه وصفاته، عن كل ما عداه، المفتقرُ إليه كل ما سواه.

المغني : الذي يُغني بفضله مَنْ شاءَ مِنْ عبادِه.

المانع : الذي يدفع أسبابَ الهلاكِ والنقصانِ.

الضار النافع: فلا ضُرَّ ولا نفعَ، ولا شر ولا خيرَ، إلا وهو بإرادته: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾، ولكن الأدب أن يُنْسَبَ الشرُ للعبد، والخيرُ لله، ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾.

النور : الظاهرُ بنفسه، المظهرُ لغيره.

الهادي : الذي أعطىٰ كلَّ شيءٍ خَلْقَه ثم هَدَىٰ.

البديع : المبدعُ الذي يأْتي بما لم يُسْبَقْ إليه.

الباقي : الموجود وحدَه بعدَ فناءِ كلِ شيءٍ.

الوارث : الباقي بَعْدَ فناء الموجوداتِ، فتبقىٰ بيده الأَمْلاَكُ بعدَ فَناءِ المِلاَّك.

الرشيد : المرشدُ لعباده.

الصبور : الذي لا يُعاجِلُ بالقِصَاصِ مَنْ عَصَاهُ.

ولهذه الأسماءِ الرفيعةِ، معانٍ وأسرارٌ، لا يَعْلَمُها إلا اللّٰهُ تعالىٰ، ومَنْ ارتضاهم مِنْ عِباده؛ ولها مؤلفاتٌ خاصةٌ للعلماءِ[1].

فضلُ الدعاءِ:

عن أبي هريرةَ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال: «ليس شيءٌ أكرمَ على الله تعالىٰ من الدعاء»[2].

---

(١) راجع التاج الجامع للأصول: (٥/٩١).

(٢) رواه الترمذي، والحاكم، وأحمد.

وعن أنس رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:
«الدعاءُ مُخُّ العبادةِ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:
«من سَرَّهُ أن يَستجيبَ الله له عند الشدآئدِ والكُرَب، فليُكثِر مِنَ الدعاءِ في الرخاءِ»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله تعالىٰ عنهما، عن النبي ﷺ قال:
«مَن فُتِح له منكم بابُ الدعاءِ، فتحتْ له أبوابُ الرحمةِ، وما سُئل اللَّهُ شيئاً يُعطي أَحَبَّ إليه من أن يُسأل العافية»(٣).

وعنه ـ أيضاً ـ عن النبي ﷺ قال:
«إنَّ الدعاءَ ينفع مما نزل، ومما لم يَنزِلْ، فعليكم عبادَ اللَّهِ بالدعاءِ»(٤).

---

(١) وإنما كان الدعاء مخ العبادة، لأن كل عابد لله ربما غاب قلبهُ، وغفل لبُه، إلا الداعي، فإنه حاضر معَ الله بقوله، وظاهره، وباطنه.
فهو في هذه الحال؛ عَبَدَ اللَّهَ بكل جوارحه، وهذه أسعدُ أحوال الإنسانِ وأشرفُها.
ويُطلق المخُ على الخالص مِنْ كل شيءٍ. والحديثُ رواه الترمذي.

(٢) وهذا كحديث الإمام أحمد: تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفْكَ في الشدة.
فالإنسان في هذه الحياة يتراوحُ بينَ عسر ويسرٍ، وصحةٍ وسقم، وغنىً وفقرٍ، وعزٍ وذلٍ، وشبابٍ وهرم. فإذا لم يَغفُلْ عن الله في الأحوال الأُول، وقام بشكرها حقَ القيامِ، فإن الله لا يتركه عند تحول النعمة، ووقوع الشدة. والحديث رواه الترمذي.

(٣) من الإثم بمحوه والعفو عنه، والعافية للجسم، لأنها تعينه على طاعة الله. فجمعت العافية: خيرَ الدنيا والآخرة؛ والحديث رواه الترمذي.

(٤) رواه الترمذي.

دواءُ الهمِّ والكَرْب:

عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما، أن رسولَ الله ﷺ كان يقولُ عند الكَرْبِ:

«لا إله إلَّا اللَّهُ العظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيمِ، لا إله إلا الله ربُّ السَّمواتِ السَّبعِ وربُّ الأَرضين، وربُّ العرشِ الكريم»[1].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالىٰ عنه، أن النبي ﷺ قال: «دعواتُ المكروب: اللهم رحمَتَك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عينٍ، وأصلحْ لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت»[2].

دواءُ الهَمِّ والدَّيْنِ:

عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله تعالىٰ عنه قال: دخل رسولُ الله ﷺ ذاتَ يومٍ المسجدَ؛ فإذا هو برجل من الأنصار، يُقالُ له أبو أمامةَ.

فقال: يا أبا أمامَةَ! ما لي أراكَ في المسجد في غير وقتِ الصلاة؟.

فقال: همومٌ لزمتني وديونٌ، يا رسولَ اللَّهِ! فقال عليه الصلاة والسلام: «أفلا أعلمُكَ كلاماً، إذا أنتَ قلتَهُ أذهبَ اللَّهُ عز وجل همَّكَ، وقضىٰ عنك دينَك؟» قال: قلتُ بلىٰ يا رسولَ اللَّهِ! قال:

«قل إذا أصْبَحتَ وإذا أمسيْتَ: اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من الهمِّ والحَزَنِ، وأعوذُ بكَ من العَجْزِ والكسَلِ، وأعوذُ بكَ من الجُبْنِ والبُخْلِ، وأعوذُ بك من غَلَبَةِ الدَّيْنِ وقَهْرِ الرجالِ».

قال: ففعلتُ ذلك، فأذهبَ اللَّهُ هَمِّي، وقضىٰ عني دَيْني[3].

---

(١) رواه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه أبو داود.

(٣) رواه أبو داود.

دواءُ الفقرِ:

عن ابن عمرَ رضي الله تعالىٰ عنهما، أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! إنَّ الدنيا أدبرتْ عني وتولت...

قال له عليه الصلاة والسلام:

«فأينَ أنت من صلاة الملائكةِ، وتسبيح الخلائقِ، وبه يُرزقونَ؟ قل عندَ طلوع الفجرِ: سبحانَ اللّهِ وبحمده، سبحانَ الله العظيم، أَستغفرُ الله، مائةَ مرةٍ، تأتِكَ الدنيا صاغرةً».

أي: ذليلةً وحقيرة؛ فولَّىٰ الرجلُ فمكثَ ثم عاد؛ فقال: يا رسولَ اللّهِ! لقد أقبلتْ عليَّ الدنيا، فما أدري أينَ أضعُها![1].

دواء وجع الضرس:

روي أن عبدَالله بنَ رواحة رضي الله تعالىٰ عنه، شكا إلى النبي ﷺ وجعَ ضرسه؛ فوضع ﷺ يده على خده الذي فيه الوجعُ وقال:

«اللهم أذهِبْ عنه سوءَ ما يجد، وفُحشَه، بدعوة نبيك المكِين المباركِ عندك» سبع مرات، فشفاه اللّهُ قبلَ أن يبرحَ[2].

دواء أم الصبيان:

عن علي رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«من وُلد له مولود، فأذَّن في أُذنه اليمنىٰ، وأقام في اليسرىٰ، لم تضرَّه أمُّ الصبيان»[3].

---

(١) رواه الخطيب.

(٢) رواه البيهقي.

(٣) وأم الصبيان: هي: الريح التي تعرض لهم، فربما يخشىٰ عليهم منها. =

الدعاء لمن وجد ألماً:

عن عثمانَ بن أَبي العاص رضي الله تعالىٰ عنه، أَنه شكىٰ الى النبي ﷺ وجعاً يجده في جسده. فقال عليه الصلاة والسلام:

«ضع يدَك على الذي تألم من جسدك وقل: بسم الله، ثلاثاً، وقل سبع مرات: أعوذُ بعزة الله وقُدرته من شرِّ ما أَجدُ وأُحاذِر»[1].

دعاء الأرَقِ:

عن زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله تعالىٰ عنه قال: شكوتُ إلى النبي ﷺ أَرَقاً أَصَابني فقال:

«قل: اللهم غارتِ النجُومُ، وهدأَتِ العُيونُ، وأَنتَ حَيٌّ قَيومٌ، لا تأْخذُكَ سِنةٌ ولا نوم، يا حيُّ يا قيومُ! أَهْدِىء ليلي وأَنِم عيْني».

فقلتُها فأَذْهَبَ اللَّهُ عني ما كنتُ أَجِدُ!.

وشكا خالد بنُ الوليدِ رضي الله عنه، إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ما أَنام الليلَ من الأَرَقِ!.

فقال: «إذا أَويتَ إلى فراشِكَ فقل: اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ وما أَظَلتْ، وربَّ الأَرضِينَ وما أَقلتْ، وربَّ الشياطين وما أَضَلتْ، كن لي جاراً

= وقال في «فتح العلام» باب الأذان: (١/٦١٤) أم الصبيان: هي التابعة من الجن، وهي المسماة عند الناس بالقرينة. وعلى كلٍ فالأذان والإقامة في أذن «المولود» سُنة، ليكونَ أولَ ما يطرق سمعه ذكرُ اللّهِ تعالىٰ، والحديث رواه ابن السني.

(١) رواه مسلم.

مِنْ شَرِ خَلْقِكَ كلِّهِم جَميعاً، أن يَفْرُطَ عَليَّ أحدٌ أو يَبْغي عليَّ، عزَّ جَارُكَ، وجَلَّ ثناؤكَ، ولا إلهَ غيرُكَ، ولا إلهَ إلاَّ أنْتَ»[١].

الدعاء بعد الطعام:

عن معاذ بنِ أنسٍ رضي الله تعالىٰ عنه، أن رسولَ الله ﷺ قال:

«مَنْ أكلَ طَعَاماً، ثم قال: الحمدُ للَّهِ الذي أطْعَمني هذا الطعامَ ورزَقنيه، من غيرِ حولٍ مني ولا قوةٍ، غُفِرَ له ما تَقَدمَ مِنْ ذَنْبِهِ»[٢].

الدعاء بعد لبس الثوبِ الجديدِ:

وفي كتاب ابنِ السني، عن معاذِ بنِ أنسٍ رضي الله تعالىٰ عنه، أن رسول الله ﷺ قال:

«مَن لبسَ ثَوْباً جديداً فقال: الحمدُ لله الذي كساني هذا، ورَزقنيه مِنْ غير حولٍ مني ولا قوة، غُفر له ما تَقدمَ مِنْ ذنبهِ وما تأخرَ»[٣].

الدعاء عندَ رؤيةِ الْهِلالِ:

عن طلحةَ بنِ عُبيدِ الله رضي الله تعالىٰ عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ كان إذا رأىٰ الهلالَ قال:

«اللهمَّ أهِلَّه علينا باليُمنِ والإيمانِ، والسلامةِ والإسلام، ربي وربُّك اللَّهُ»[٤].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي.

(٣) رواه أبو داود، والحاكم.

(٤) رواه الترمذي.

وعن قتادةَ رضي الله تعالىٰ عنـه، أن نبيّ الله ﷺ، كان إذا رأىٰ الهلالَ قال:

«هلالُ خيرٍ وَرُشدٍ، هلالُ خيرٍ ورشدٍ، هلالُ خيرٍ ورُشدٍ، آمنتُ بالذي خَلقَكَ ـ ثلاثَ مراتٍ ـ الحمد للّٰهِ الذي ذَهَبَ بشهرِ كذا، وجاءَ بشهر كذا»[١].

دعاء سيدِنا آدمَ عليه السلام:

«اللهمَّ إنـك تعلمُ سري وعـلانيَتي فَاقْبَـلْ مَعْـذِرَتي، وتَعلمُ حـاجتي فأَعطني سُؤْلي، وتعلمُ ما في نفسي فاغفِرْ لي ذَنْبِي.

«اللهمَّ إني أسأَلُكَ إيماناً يُباشِرُ قلبي، ويقيناً صَادِقاً حَتَىٰ أَعلَمَ أنه لا يُصيبُني إلا مـا كتبتَ عليَّ، ورضِّني بمـا قَسَمْـتَ لي، يا ذا الْـجَـلَالِ والإكرامِ»[٢].

الدعاء عند رؤيةِ مُبْتَلىٰ:

عن أبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«مَنْ رأى مُبتلىٰ فقال: الحمدُ للّٰهِ الذي عافَاني مما ابْتَلاكَ به، وفَضَّلني علىٰ كَثيرٍ ممَّنْ خَلَقَ تَفضِيلاً، لم يُصِبه ذلكَ البلاءُ»[٣].

الدعاء عندَ دخولِ المدفنِ:

عن عائشةَ رضي الله تعالىٰ عنها قالتْ: كان رسول الله ﷺ ـ كلما كان ليلتُها من رسول الله ﷺ ـ يخرج من آخر الليلِ إلى البقيع فيقول:

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه الطبراني عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه الترمذي.

«السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنينَ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون، وإنا إنْ شَاءَ اللَّهُ بكُمْ لاحِقُون، اللهم اغفِرْ لأهلِ بقيع الغرقد»[1].

الدعاء عندَ النومِ:

عن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله تعالى عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا أوى إلى فراشه نام على شقه الأيمن، ثم قال:

«اللهم أَسْلَمْتُ نفسي إليك، ووجَّهتُ وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأً منك إلا إليك، آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ، ونبيك الذي أرسلت»[2].

الدعاء عند جمود العين:

«اللهم ارزقني عينين هطَّالتين، تشفيانِ القلبَ بذُروفِ الدُّموعِ من خشيتِكَ، قبلَ أن تكونَ الدموعُ دماً، والأضراسُ جمْراً»[3].

الدعاء لكفارة المجلس:

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال:

«من جلسَ في مجلسٍ فكثر فيه لَغَطُهُ، فقال قبل أن يقومَ من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدِك، أشهدُ أنْ لا إله إلا أنت، أستغفركَ وأتوبُ إليك؛ إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسه ذلك»[4].

---

(١) رواه مسلم. وفي رواية: «نسأل الله لنا ولكم العافية».
(٢) رواه البخاري.
(٣) رواه الطبراني، وأبو نعيم، وابن عساكر، عن ابن عمر رضي الله عنهما.
(٤) رواه أصحاب السنن.

الدعاء عند الخلاء:

عن أَنس بن مالك رضي الله تعالىٰ عنه قال: كان النبيُّ ﷺ إذا دخل الخلاءَ قال:

«اللهمَّ إني أعوذُ بك من الخُبُثِ والخبائث»[1].

سيد الاستغفار:

عن شداد بن أوسٍ رضي الله تعالىٰ عنه، عن النبي ﷺ قال:

«سيِّدُ الاستغفارِ[2] أنْ تقولَ: اللهم أَنتَ ربي لا إِلَهَ إلا أَنتَ، خلقْتني وأَنا عبْدُك، وأنا علىٰ عهدِكَ ووعدِكَ[3] ما استطعتُ، أعوذُ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ[4] لك بنعمتك عليَّ وأبوءُ بذنبي[5] فاغفِر لي، فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت».

وقال عليه الصلاة والسلام:

«مَنْ قالها موقناً[6] بها، فمات من يومه قبلَ أن يُمسيَ فهو مِنْ أهلِ

---

(١) ذكران الشياطين وإناثهم، وهو بضم الخاء والباء، والحديث رواه البخاري.

(٢) أفضله وأعظمه أجراً وأكثره ثواباً وأشده تأثيراً.

(٣) ما عاهدتك ووعدتك عليه من الإيمان والاستقامة على الأعمال، التي ألقاك وأنت راضٍ عني.

(٤) أعترف بما أسبغت عليَّ من نعم.

(٥) أعترف بما أحمله برغمي من ذنب وتقصير في جانبك، فلا أستطيع صرفَه عني إلا بمعونة منك.

(٦) قالها مخلصاً مبتغياً بها وجه الله تعالىٰ.

الجنة[1]، ومَنْ قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها، فماتَ قبلَ أن يُصبحَ فهو من أهل الجنةِ»[2].

الدعاء عندَ خوفِ الأعداء:

عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله تعالىٰ عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا خاف قوماً قال:

«اللهم إنا نجعلُك في نحورهم، ونعوذُ بك من شرورهم»[3].

«فائدة» للفزع في النوم:

عن عمرو بنِ شُعيبٍ، عن أبيه عن جده، رضي الله تعالىٰ عنهم، أنَّ رسول الله ﷺ قال:

«إذا فزع أحدُكم في النوم، فليقل: أعوذُ بكلمات اللّهِ التَامَّاتِ من غضبهِ وعقابهِ، وشرِ عباده، ومن همزاتِ الشياطين، وأن يَحضرون، فإنها لن تضرَه».

قال: وكان ابنُ عمرو يُعلمها مَنْ بلَغ من ولده، ومَنْ لم يبلغ منهم كتبها في صَكٍّ وعلقها في عُنقِه[4].

---

(١) الداخلين لها ابتداء من غير دخول نار أو سبق عذاب.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

(٤) رواه أصحاب السنن.

دعاء الاستخارة:

عن جابر رضي الله تعالىٰ عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارةَ في الأُمور كلِّها، كما يعلمنا السورةَ من القرآن، ويقول:

«إذا همَّ أَحدُكم بالأَمر، فليركعْ ركعتينِ من غيرِ الفريضةِ، ثم ليقُل: اللهم إني أَستخيرُكَ بعلمِكَ، وأَستقدِرُكَ بقُدرتِكَ، وأَسأَلُكَ من فضلكِ العظيمِ، فإنَّك تَقدِرُ ولا أَقدرُ، وتعلمُ ولا أَعلمُ، وأَنتَ علاَّم الغيوبِ.

اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أَنَّ هذا الأَمرَ خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبةِ أَمري، فاقدُره لي، ويَسِّرْه لي، ثم بارك لي فيه.

وإن كنتَ تعلمُ أَنَّ هذا الأَمرَ شرٌّ لي في دينِي ومعاشي وعاقبةِ أَمري، فاصرفه عني، واصرفني عنه، واقدُرْ ليَ الخيرَ حيثُ كانَ، ثم رضِّني به».

استحباب تكرار الدعاء:

روينا عن ابن مسعود رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان يُعجبه أن يدعوَ ثلاثاً، ويستغفرَ ثلاثاً)(١).

الحث على حضور القلب في الدعاء:

اعلم أن مقصودَ الدعاء هو حضور القلب كما سبق بيانه، والدلائل عليه أَكثرُ من أَن تُحصرَ، والعلم به أَوضحُ من أَن يذكر، لكن نتبرّك بذكر حديث فيه.

روِّينا عن أَبي هريرة رضي الله تعالىٰ عنه قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه.

«ادْعُوا الله وأَنْتُمْ مُوقِنُون بالإجابَةِ، واعْلَمُوا أن الله تَعالىٰ لا يَسْتَجيبُ دُعاءً مِنْ قَلْبٍ غافِلٍ لاهٍ»(١).

فضل الدعاء بظهر الغيب:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾. وقال تعالىٰ إخباراً عن إبراهيم: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾.

روينا عن أبي الدرداء رضي الله تعالىٰ عنه أنه سمعَ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «ما مِنْ عَبْدٍ مُسْلمٍ يَدْعُو لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ، إلَّا قالَ المَلَكُ وَلكَ بِمِثْلٍ»(٢).

وفي رواية أُخرىٰ لمسلم: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجابَةٌ عِنْدَ رأسهِ مَلَكٌ مُوكَّلٌ، كُلَّما دَعا لأَخِيه بِخَيْرٍ، قالَ المَلَكُ المُوكَّلُ به: آمينَ وَلكَ بِمِثْلٍ»(٣).

وروينا عن ابن عمرَ رضي الله تعالىٰ عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أَسْرَعُ الدُّعاء إجابَةً دَعْوَةُ غائِبٍ لِغائِبٍ»(٤).

---

(١) أخرجه الترمذي وفي إسناده ضعفٌ.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

(٤) أخرجه أبو داود والترمذي وسنده ضعيف.

الدعاء لمن أحسن إليه:

عن أُسامةَ بن زيد رضي الله تعالىٰ عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إليهِ مَعْرُوفٌ فَقالَ لِفاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً، فَقَدْ أَبْلَغَ في الثَّناء»[1].

وقد قدّمنا في كتاب حفظ اللسان قولَه ﷺ: «وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكافئُوهُ، فإنْ لَمْ تَجدُوا ما تُكافِئُونَهُ فادْعُوا لَهُ حتَّى تَرَوا أَنَّكُمْ قَدْ كافأْتُمُوهُ».

رفع اليدين بالدعاء ثم المسح بهما:

روينا عن عمرَ بن الخطابِ رضي الله تعالىٰ عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء، لم يحطَّهُما حتىٰ يمسحَ بهما وجهَه).

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ نحوَه.

«فائدة» آياتُ الشفاء:

نقل عن الشيخ الإمام أبي القاسم القشيري ـ رحمه الله تعالىٰ ـ أن ولَده مرضَ مرضاً شديداً، قال: حتىٰ أيستُ منه، واشتد الأمرُ عليَّ! فرأيت النبيَ ﷺ في منامي، فشكوتُ له ما بولدي، فقال لي:

«أين أنتَ من آيات الشفاءِ؟ فانتبهتُ، ففكرتُ فيها فإذا هي في ستة مواضعَ من كتاب اللَّهِ تعالىٰ، وهي قوله تعالىٰ:

١ ـ ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾.

٢ ـ ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾.

٣ ـ ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي بسند صحيح.

٤ ـ ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

٥ ـ ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾.

٦ ـ ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾.

من دعاء الحبيب المصطفى ﷺ:

كان رسولُنا ومرشدُنا وسيدُنا محمد صلوات الله وسلامه عليه يدعو بما يلي:

اللَّهُمَّ: إني أعوذُ بكَ من عِلمٍ لا يَنْفَعُ، وعَمَلٍ لا يُرفعُ، ودعاءٍ لا يُسْمَعُ.

اللَّهُمَّ: أَحْيني مِسْكيناً، وتوفَّني مِسْكيناً، واحْشُرني في زُمرةِ المساكين.

اللَّهُمَّ: اجعلني من الذينَ إذا أَحْسَنُوا، استبشَروا، وإذا أساءُوا استَغْفَروا.

اللَّهُمَّ: اغفِرْ لي وارحمْني، وأَلحِقْني بالرَّفيقِ الأَعلى[1].

اللَّهُمَّ: اغفِرْ لي ذنبي، ووسِّع لي في داري، وبارِكْ لي في رزقي.

اللَّهُمَّ: لا تَكِلْني إلى نَفْسي طَرْفَةَ عينٍ، ولا تَنزِعْ مني صالحَ ما أَعْطَيتَني.

اللَّهُمَّ: اجعلْني شَكُوراً، واجْعَلْني صَبوراً، واجْعَلْني في عَيْني صغيراً، وفي أَعْيُنِ النَّاسِ كبيراً.

اللَّهُمَّ: أَصْلِحْ ذاتَ بينِنا، وأَلِّفْ بينَ قُلوبِنا، واهدِنا سُبُلَ السلامِ، ونجِّنا من الظُّلماتِ إلى النور.

اللَّهُمَّ: اجعل أَوْسعَ رِزْقِكَ عليَّ عندَ كِبرِ سني، وانقطاعِ عُمُرِي.

اللَّهُمَّ: إني أسأَلُكَ إيماناً يُباشِرُ قَلْبِي، حَتَّى أَعْلَمَ أنه لا يُصيبني إلا ما كتبتَ لي، ورَضِّني من المَعِيشةِ بما قَسمْتَ لي.

(١) قاله حين الاحتضار.

اللّهُمَّ: اجعلني أُعْظِم شُكْرَكَ، وأُكْثِرُ ذِكْرَكَ، وأتَّبِعُ نصيحتَكَ، وأحْفَظُ وصيَّتَكَ.

اللّهُمَّ: إني أسألُكَ الهُدَى، والتُّقىٰ، والعفَافَ، والغِنىٰ.

اللّهُمَّ: استُرْ عوْرتي، وآمِنْ روْعَتي، واقْضِ عني ديْني.

اللّهُمَّ: افتح مَسامعَ قلبي لذِكرِكَ، وارْزُقني طاعتَكَ وطَاعةَ رسولِكَ.

اللّهُمَّ: اعفُ عني، فإنك عفُوٌ كريمٌ.

اللّهُمَّ: الطُفْ بي في تيسيرِ كلِّ عسيرٍ، فإن تيسيرَ كلِّ عسيرٍ عليكَ يَسيرٌ.

اللّهُمَّ: إني أعوذُ بك من فِتْنةِ النساءِ، وأعوذُ بك مِنْ عذابِ القبرِ.

اللّهُمَّ: آتِ نفسي تَقْواهَا، وزكِّها أنتَ خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها.

اللّهُمَّ: إني أعوذُ بك من الشِّقاقِ والنفاقِ وسوءِ الأخلاقِ.

اللّهُمَّ: زَيِّنا بزينة الإيمانِ، واجعلنا هُدَاةً مُهْتَدينَ.

اللّهُمَّ: ربَّ الناسِ، مُذهِبَ البأسِ، اشفِ أنتَ الشَّافي، لا شافيَ إلا أنتَ، اشفِ شِفاءً لا يُغَادِرُ سَقَماً.

اللّهُمَّ: إني أعوذُ بكَ من خليلٍ ماكِرٍ، عيناهُ تَرياني، وقلبُهُ يَرعاني، إنْ رأىٰ حسنةً دفَنَها، وإن رأىٰ سيئةً أذاعها.

اللّهُمَّ: أغْنِني بالعِلم، وزيِّني بالحِلم، وأكرمني بالتقوى، وجمِّلْني بالعافية.

إلى هنا انتهى كتابُ: «سمير المؤمنين»

بحمد اللّهِ تعالىٰ، تَمَّ تصحيحُ هذا الكتابِ للطبعة السادسة

والحمدُ لله حَمْداً يليقُ بنعمه، وصلى اللّهُ وسلمَ

علىٰ سيدِنا وَموْلانَا محمدٍ، كُلَّما ذكرَهُ

ذاكرٌ، وغَفَلَ عن ذِكْرِهِ

غافلٌ

الفهرس

الموضوع	الصفحة

تقريظ ٤
المقدمة ٥
الخطب والوصايا ٧
أول خطبة للنبي ﷺ ٧
خطبة الوداع، خطبة النبي ﷺ في النساء ٨
خطبة الصديق أبو بكر ٩
رثاء السيدة عائشة، خطبة الفاروق عمر، خطبة عمر بن عبدالعزيز . ١٠
خطبة طارق بن زياد، خطبة أبي طالب ١١
مدح أبي طالب للنبي ﷺ، خطبة قس بن ساعدة الإيادي ١٢
وصية سيدنا نوح عليه السلام ١٣
وصية سيدنا يحيى عليه السلام ١٤
وصية عمر لأبي موسى الأشعري ١٥
وصية عثمان ذي النورين، وصية أبي عبيدة بن الجراح ١٦
وصية لقمان لابنه، وصية ابن عباس، معاوية يستوصي عائشة ... ١٧
وصية الحسن البصري ١٨
وصية الفضيل بن عياض، وصية مالك بن دينار ١٩
وصية إبراهيم بن أدهم، وصية السلطان محمد الفاتح ٢٠

وصية أسماء بنت خارجة، وصية علي الخواص ٢٢

الشعر الأدبي
روائع شعرية ٢٣

شعر لابن المبارك ٢٥
عتاب أدبي، احذر البغي، معانق الدنيا، ذم الحرص، الزهد في الزهد ٢٦
الموت والغفلة، الموت كالبحر، القناعة، اغتنام الوقت ٢٧
شعر للأعشى، البُهلول يخاطب الرشيد، شعر لابن عصرون، الخليل لا يدوم، القدوم على الكريم ٢٨
قبض الكف وبسطها، الاستعداد للموت، الشح في السلام، التزود للآخرة ٢٩
إذا أعجبك شيء فقل، الضحك والبكاء، الحب الباقي ٣٠
المبادرة إلى العمل، عز العلم، فرس المرء، الرضا والتسليم ٣١
لولا فئة لعذب الآخرون، شعر للجوهري، العز في العزلة، دواء القلب، الموت باب ٣٢
القلب القاسي، أصول الدين، آداب الزيارة، الغناء والبقاء ٣٣
الصيف والشتاء، الحيلة في الرزق، التنفير من شرب الدخان، أنا أغنى الناس ٣٤
الورع لطلاب العلم، العجلة في طلب الرزق، من الغنيُّ يا ترى؟، لا تسأل غير الله ٣٥
سراقة المؤمن وأبو جهل الكافر، قصة سراقة ٣٦
الدفن بعد العز في التراب، شروط شراء الدار ٣٧
اشترى ميت من ميت ٣٨
حاضر لكنه غائب ٣٩
عظ نفسك ٤٠
أبيات في التصوف، على هامش الهجرة لجني مؤمن، عمر ورسول كسرى ٤١

المال سلاح ولسان ٤٢
سخاء وحلم ٤٣
هارون الرشيد ومتوكل على الله ٤٤
التوكل على الرحمن، أثر الصاحب وموقعه، معاشرة حمار، طين
لكنه على الرؤوس ٤٥
من حكم ابن عطاء الله، معاوية وميسون ٤٦
من الأدب العربي ٤٧
علموا أولادكم الأدب ٤٨
حذيفة وابن أدهم، اللهم أنت المقصود ٤٩
احذر صغائر الذنوب، آثار المعاصي ٥٠
الفرح بولادة النبي ﷺ ٥٢
في الصبر ٥٣
الإنسان مرآة أخيه، في الحج المبرور، ابتداء الإنسان وانتهاؤه ٥٤
رثاء رقيق، الحب اللطيف، الثناء الرقيق ٥٥
السيرة النبوية ٥٦
نسب النبي ﷺ ٥٦
أولاده الكرام رضي الله عنهم ٥٧
أزواجه الطاهرات رضي الله عنهن ٦٠
فضل أم المؤمنين خديجة، قصة سودة أم المؤمنين ٦١
قصة عائشة أم المؤمنين، قصة حفصة أم المؤمنين ٦٢
قصة أم سلمة أم المؤمنين، قصة أم حبيبة أم المؤمنين ٦٣
قصة زينب أم المؤمنين ٦٤
قصة زينب الهلالية أم المؤمنين، قصة ميمونة أم المؤمنين ٦٥
قصة جويرية أم المؤمنين ٦٦
قصة صفية أم المؤمنين ٦٧
رد شبهة ٦٨

حكمة تعدد الزوجات ٧٠
سراريه ﷺ، أعمامه ﷺ، عماته ﷺ، من شمائله ﷺ ٧١
من مظاهر عفو النبي ﷺ ٧٤
قصة رُكانة ٧٥
أبطال المسلمين ٧٧
رضي الله تعالى عنهم
عمر الفاروق ٧٧
عمر يضرب أخته، أخته تظهر إسلامها ٧٨
أخته تطمع في إسلامه، عمر يمدح القرآن، عمر يدخل على النبي ﷺ ٧٩
موقف حمزة أسد الله، الرسول ﷺ يأذن لعمر بالدخول، أبو جهل يضرب الباب ٨٠
عمر يعلن إسلامه في مجمع قريش، كلمة ابن مسعود في عمر، فضل عمر ٨١
خوفه من الله تعالى ٨٣
وضعه التراب على رأسه، عمر يتعهد العجوز، نظره للدنيا، زهده فيها ٨٤
فرار الشيطان من عمر ٨٥
من مظاهر عدله ٨٨
حمزة بن عبد المطلب ٩٠
أسد الله ورسوله
دفاعه عن الرسول ﷺ ٩٢
حمزة يعلن إسلامه ٩٤
حمزة ورؤية جبريل، حمزة يجاهد في سبيل الله ٩٥
البطل الشهيد في أحد ٩٦
زهده حياً وميتاً ٩٧

موجز من حياته المباركة، أولاد حمزة وأزواجه ٩٨
أحفاده، الذين نزلوا قبره ٩٩

عبد الله بن عباس ١٠١
حبر الأمة

ولادته، نشأته ١٠١
دعاء النبي ﷺ له ١٠٢
تعلمه العلم، شهادة بعض الصحابة له ١٠٣
تقديم عمر له، وصية أبيه له، حكمته ١٠٤
شمائله ١٠٥
وفاته ١٠٦

عثمان بن مظعون ١٠٧

الوليد بن المغيرة يمدح القرآن، عثمان وزوجه ١٠٧
زهده، تقبيل النبي ﷺ له ١٠٨
جري عمله بعد موته، رثاء زوجه له عند موته، شهادة الرسول له ١٠٩
دخوله بجوار الوليد، رد جواره على الوليد ١١٠
موقفه مع لبيد الشاعر ١١١
عزته بالله تعالى ١١٢

سعد بن أبي وقاص ١١٤

بعد عن الأمراء، دعوة النبي ﷺ له ١١٤
بعده عن الفتنة، شجاعته، دعوته المجابة ١١٥
زيارته مكة ١١٦

سلمان الفارسي ١١٧
«سلمان منا أهل البيت»

وصيته لسعد ١١٧
امتناعه عن الطعام، اشتياق الجنة له، وصيته وتقسيمه الناس .. ١١٨

مثله الرائع ١١٩
موجز حياته ١٢٠

عمرو بن الجموح ١٢٧

نشأته، سنّه ١٢٧
الإسلام في يثرب ١٢٨
دعوة الأسرة لأبيهم ١٢٩
الصنم المستشار، موقف الأولاد ١٣٠
إعلان إسلامه ١٣١
طلبه الشهادة ١٣٢
ذكر المؤرخون ١٣٣

عمير بن سعد ١٣٤

سعد بن الربيع ١٤١

حارثة ١٤٣

سعد بن عبادة ١٤٤

غيرته، كرمه ١٤٤

أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ١٤٦
رضي الله عنه

موقف مع ابنه، حاله في القبر ١٤٧
قول رعاة الشاء، زهده ١٤٨
حاله بعد الخلافة، سببُ إنابته، حياته العلمية ١٤٩

الإمام الشافعي ١٥٣

عبادته، زهده، سخاؤه ١٥٣
ورعه، خوفه ١٥٤
إرادته بعلمه وجه الله، شهادة أهل الفضل له ١٥٥

وعظه وإرشاده ١٥٦
حاله عند موته ١٥٧
شرحه لحاله، شعره الرائع ١٥٨
داود الطائي ١٦٣
سبب إنابته، زهده ١٦٣
حزنه، عزلته، خوفه ومحاسبته ١٦٤
غيبوبته، وعظه، سخاؤه ١٦٥
بطولة في السخاء ١٦٦
البطولات الرائعة في الإيثار ١٦٨
قمة الإيثار ١٦٩
التوحيد ١٧٢
أركان الدين، أركان الإسلام، معنى الشهادة ١٧٢
معنى إقام الصلاة، معنى إيتاء الزكاة، معنى الصوم، معنى الحج،
الإيمان من أركان الدين، الإيمان بالله تعالى ١٧٣
ما يستحيل على الله تعالى، الإيمان بالملائكة، الإيمان بالكتب . ١٧٤
الإيمان بالرسل، عدد الأنبياء، الإيمان باليوم الآخر ١٧٥
التصديق بما في يوم القيامة، الإيمان بالقدر، الإحسان ١٧٦
الإيمان بالجن، رؤية الله تعالى ١٧٧
الجنة والنار ١٧٩
منكر ونكير ١٨١
الملائكة يزورون النبي ﷺ ١٨٢
الصلاة ١٨٣
حكم تاركها ١٨٥
رأي العلماء في تاركها ١٨٦

فضل جماعتها ١٨٧
حكم المتخلف عنها، تهديد كبير للمتخلف عن جماعتها ١٨٨
قول الشعراني في العهود ١٨٩
قول الحبيب الحداد في النصائح ١٩٠
تسوية الصفوف وحكمها ١٩٢
فضائل بعض السور ١٩٤
فضل سورة الفاتحة، فضل آية الكرسي ١٩٥
فضل سورة الكهف، فضل سورة الدخان، فضل سورة آل عمران، فضل سورة الواقعة ١٩٥
فضل سورة يس، فضل سورة تبارك ١٩٦
فضل سورة قل هو الله أحد ١٩٧
فضل سور: التكوير، الانفطار، الانشقاق، فضل سور: الزلزلة، الإخلاص، الكافرون، فضل سورة التكاثر ١٩٨
حكم سماع القرآن من المذياع ٢٠١
البدع المستحدثة ٢٠٢
التفسير ٢٠٣
تفاوت الناس في البلاء ٢٠٦
حكمة تحريم الزنا، حكم الحد ٢١١
التحذير من الزنى ومقدماته ٢١٢
شهادة الجوارح ٢١٣
خذلان الكافر خليله ٢٢٠
فائدة الصدقة ٢٢١
تفسير سورة الضحى ٢٣١
السابق والمقتصد والظالم ٢٣٧
آيات الظهار ٢٤١

بِرُّ الوالِدَيْن ٢٤٥

يخشى على العاق سوء الخاتمة ٢٤٥
الفروض لا تنفع مع العقوق، العقوق ذنب معجل عقوبته، الوالدان هما الجنة والنار ٢٤٦
بر الوالدين من أحب الأعمال ٢٤٧
الجنة تحت أقدام الأمهات، أنت ومالك لأبيك، نموذج شعري ... ٢٤٧
نموذج نثري ٢٤٩
نموذج قصة البقرة في القرآن الكريم ٢٥٠
عقوبة العاق في القبر ٢٥٣

الوعظ والرقائق ٢٥٥

أبرص، وأقرع، وأعمى ٢٥٥
أسلوب رائع في الترغيب في العلم ٢٥٨
المسجد مدرسة الإيمان، رياض الجنة ٢٥٨
وصية لقمان لابنه خير الجلساء، أدب المتعلم ٢٥٩
التعوذ من العلم الذي لا ينفع، الصبر وأقسامه ٢٦٠
يا صاحب الهم ٢٦٠
القلب وأقسامه ٢٦٢
موت القلب ٢٦٢
دواء القلوب ٢٦٣
من روائع الأسلوب الحكيم ٢٦٤
المؤمن والإيمان ٢٦٥
من مظاهر النجدة والسخاء ٢٦٩
الحب والإخاء، الجود والعطاء، ما هو أشرف شيء؟ ٢٧٠

فوائد التقوى ٢٧٢

صورة الأعمال ٢٧٤
للسافرة عقوبتان، فكاهة طريفة ٢٧٥
في البكر ثلاث فوائد، الآيات الخمس ٢٧٦
الصدق ٢٧٧
الذكر القلبي، قول بعض العارفين ٢٧٩
التلميذ النابغ ٢٨١
الفتن والأهواء ٢٨٤
فتنة الشيطان وقسمه الكاذب ٢٨٤
إغواؤه لآدم عليه السلام، خطبته في أهل النار ٢٨٥
غرور الشيطان للمشركين ٢٨٦
من مظاهر تربية النفس الضرتان: دنيا وآخرة ٢٨٧
فتنة القبر ٢٨٨
فتنة الآخرة ٢٨٩
الخوف من الفتنة ٢٩٠
فتنة التسويف، فتنة الطعام ٢٩١
فتنة النساء، راهب فاجر ٢٩٣
فتنة المال، قصة ثعلبة ٢٩٦
نزول آية الزكاة ٢٩٧
هلاك ثعلبة ٢٩٨
حمامة المسجد، الفتن العامة ٢٩٩
خمس بخمس ٣٠٥
جوامع الدعاء ٣١٠
أسماء الله الحسنى ٣١٣
شرح أسماء الله الحسنى ٣١٤
فضل الدعاء ٣١٩
دواء الهم والكرب، دواء الهم والدَّيْن ٣٢١

دواء الفقر، دواء وجع الضرس، دواء أم الصبيان ٣٢٢
الدعاء لمن وجد ألماً، دعاء الأرق ٣٢٣
الدعاء بعد الطعام، دعاء الثوب الجديد، الدعاء عند رؤية الهلال . ٣٢٤
دعاء آدم، الدعاء عند رؤية مبتلى، الدعاء عند دخول المدفن ٣٢٥
الدعاء عند النوم، الدعاء عند جمود العين، الدعاء لكفارة المجلس ٣٢٦
الدعاء عند الخلاء، سيد الاستغفار ٣٢٧
الدعاء عند خوف الأعداء، «فائدة» للفزع في النوم ٣٢٨
دعاء الاستخارة، استحباب تكرار الدعاء، الحث على حضور القلب ٣٢٩
فضل الدعاء لظهر الغيب ٣٣٠
الدعاء لمن أحسن إليه، رفع اليدين في الدعاء، «فائدة» آيات الشفاء ٣٣١
من دعاء الحبيب المصطفى ﷺ ٣٣٢
الفهرس ٣٣٤